... نقف بإجلال أمام التضحيات الجسيمة التى قدمها الأخ المهندس حسام خوشنويس فى خدمة المقاومة وأهلها وكل لبنان بعد الحرب الإسرائيلية فى سنة 2006. إن حضوره السريع، وقدرته المميّزة على إنجاز مشاريع عمرانية، وبُنى تحتية، كان له الأثر الطيب وعبّر مرّة أخرى عن الحضور الصّادق والمحب للجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى جانب الشعب اللبنانى المقاوم، وأثبت أن الوفاء للتضحيات، والحفاظ على الانتصارات، يحتاج إلى همم عالية ونفوس كبيرة كنفَس وهمّة الحاج حسام الذي كلَّل عطاءاته بوسام الشهادة المباركة إثباتاً للإخلاص، والمضى على درب سيد الشهداء أبى عبد الله عليه السلام، إنّ شهادته كما إنجازاته وروحيته مفاخر سنبقى نعتزُّ بها ونذكرها عنواناً للمحبة والصدق والمقاومة.

حسن نصر الله

ذو الحجة ١٤٣٥ هـ

من كلام الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله (دام حفظه) حول الأخ الشهيد العزيز المهندس حسام خوشنويس

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر لعائلة الشهيد، لكل الأهل والأصدقاء الذين قدّموا شهاداتهم، وخالص الشكر لفريق عمل الهيئة الإيرانية للمساهمة في إعمار لبنان وشركة معمار للهندسة والإنماء ومؤسسة جهاد البناء ووحدة الأنشطة الإعلامية في حزب الله وكل الذين لم يكن ليصدر الكتاب لولا جهودهم.

الإهداء

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى

إلى عائلة الشهيد، الذين فقدوا بشهادته حبيباً غالياً في دار الفناء، وربحوا شفيعاً عزيزاً في دار البقاء.

إلى رفاقه في درب الجهاد والفداء.

إلى العاملين والسالكين سبيل الطاعة والقرب إلى الله عبر رعاية المحرومين والمستضعفين.

إلى أمير المجاهدين، والقائد العربي الذي أحبّه الشهيد حتّى العشق، سماحة السيد حسن نصر الله (حفظه الله).

إلى حلقة الولاية المتينة، ولي أمر المسلمين سماحة القائد الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ

إلى الأمل المنتظر الذي نؤمن بأن صبح ليل إنتظاره قد آذن بالإشراق (عجل الله تعالى فرجه.

نهدي هذه الصفحات النورانية والمربية من سيرة الشهيد حسام، وفاءً لجهوده وجهاده في "رئاسة الهيئة الإيرانية لإعادة إعمار لبنان".

الفهرس

الإهداء 5
المقدمة 8
الشهيد في سطور 12
البداية 15
الثورة والإمام 17
في الحرب المفروضة 19
هذا ما سنأكل 23
الجرار الثقيلة 25
الاعتماد على النفس 27
كنت في انتظاره على قلق 29
أتأخذ مالا من أمك؟! 31
اتركيني فالطريق شاقة 39
وعاء الذاكرة 47
أماكن قدسية 49
اعتقال مبارك 51
حديقة المعصومة (عليها السلام) 55
صلاة ووعد 59
اليوم الاول 63
شاي إيراني 65
بركة الزمان والمكان 67
باب على القلب 69
مصداقية إيران 71
ليست سوى حشرة 75
هو العشق حتما 77
ربط الأرض بالسماء 81
حديقة عيترون 83
أطفال يلعبون مقاومة 85
وللكبار نصيب 89
سياحة ذات مغزى 91
ممكن ترى إيلات 93
حلم لم يتحقق 95
طريق فلسطين 97
خادم الحجيج 99
سأحضر يا عزيزي 101
صناعة المودة 103
عوائل الشهداء 105
الحمامة 107
تشكو بعدها عنه 109
مرتين تاج راسي 111
الدعاء 113
ارفعوا الراية 115
اللغة الصعبة 117
أين هو؟! 119
إنه صديقي 121
المقامات المباركة 123
سحر التواضع 125
عاملا في المطار أو نادلا في المطعم 127
أبٌ بلا نظير 129
علاقته بوالده 133
استثمار الموقع 135
كي لا يخجلوا 137
إنه منهم 139
قلت واحدة 141
أحسن.. أوفر. .أسرع 143
صور لا تغيب عن الذاكرة 145
بوابة فاطمة الزهراء 147
الوجه الثاني 149
هذا مكان مقدس 151
مكانه ليس هنا 153
سر التعلق الغريب 157
مفهوم الرحمة 161
ثمن الشاي 163
سيمرون من هنا 165
شحنة اضافية 167
أبكي على نفسي 169
سينشر شكواه في الصحيفة 171
الزوجة والابن ولبنان 175
عملية جراحية 179
عندما يشيخ الاسد 183
اغتيال الانسان 185
النواحي القانونية 187
رجل ذو طمع 189
البرنامج الحافل 191
وإن كان وزيرا 193

قالوا في الشهيد 198
مقالات الصحف 210
ألبوم الصور 240

المقدمة

المهندس حسام خوش نويس.
شهيد اعمار وحب لبنان ومقاومته.

عايشت المهندس الشهيد حسام خوش نويس رحمه الله منذ اليوم الاول لقدومه الى لبنان بعد هزيمة اسرائيل في عدوان تموز2006، وعودة الاهالي الى مدنهم وقراهم التي دمرت اسرائيل بنيتها التحتية، وكثيرا من المباني والمؤسسات فيها .

فبعيد توقف العدوان، زار وفد من الجمهورية الاسلامية الإيرانية برئاسة نائب الرئيس الايراني لبنان، وجال على الرؤساء الثلاثة، وطرح استعداد ايران للمساهمة بإعادة اعمار لبنان، وتم اختيار المهندس حسام القادم من تجربة عريقة في إعمار المناطق المتضررة من الحروب في ايران وافغانستان، ليكون رئيسا للهيئة المكلفة بذلك في لبنان، وكنت انا ممثلا لقيادة حزب الله، والاخ المهندس سعيد ناصر الدين ممثلا لقيادة حركة امل. في معاونة الاخ حسام في ادارة وتنفيذ المشاريع المختلفة التي تتطلب معرفة بالواقع وجهداً استثنائياً وجباراً. ولسرعة اطلاق العمل بدأنا مباشرة من خلال مكتب في السفارة خُصِّص على عجل لجهود إعادة الإعمار، الى ان اخذنا مكتبا مستقلا، وتم تشكيل فريق عمل الهيئة من مهندسين ومعاونين وخبراء في شؤون الإعمار والبناء والادارة والخدمات.

وبدأنا منذ اللحظة الاولى جولاتنا على المناطق والبلديات في الضاحية والجنوب والبقاع، وعاينا الاضرار في الطرقات والجسور ودور العبادة، من مساجد وكنائس بالاضافة الى المدارس والمستشفيات وغيرها. وسرعان ما تكونت لدى الهيئة بالتعاون مع المناطق والبلديات احصاءات أولية عن حجم الاضرار، فتم وضع خطط سريعة، والاتصال بالمقاولين من كل المناطق، ومباشرة تلزيمهم البدء بالاصلاح والترميم والبناء دون إبطاء، ومن هنا بدأت اعمال الهيئة تتسع وتكبر بسرعة فائقة، حتى أكملت ست سنوات ونصف من العطاء المتميز والمنتشر على كل ساحة الوطن، وبلغت انجازاتها 17328 مشروعاً تنموياً موزعة بين مشاريع كبرى، كالطرقات والجسور ودور العبادة، ومشاريع وسطى وصغرى، والحديث عن انجازات هذه السنوات التي قضاها المهندس حسام في لبنان يطول ويحتاج الى كتب وصفحات طوال لإيفائها حقها، لكن في لحظة استشهاده الغالية له علينا حق الشهادة ممن عايشه وكان لصيقا به لسنوات.

لقد طبع الشهيد بنشاطه وحركته المتميزة وعطائه المتوقد مرحلة إعادة الاعمار في لبنان بحضوره، حتى أنه لا يمكن الحديث عن مرحلة إعادة إعمار في لبنان بعد حرب تموز دون أن يكون اسم المهندس حسام والهيئة الايرانية الحاضر الأول والأكبر في أذهان الناس من أقصى الجنوب الى البقاع، مروا بالضاحية الجنوبية لبيروت، وبالطبع في أذهان المسؤولين والمتابعين لحركة الاعمار في لبنان، وامتاز حضوره بمميزات ثلاثة:

الميزة الأولى: الدينامية العالية والنشاط المتواصل، والتفاني والصدق والاخلاص في العمل.

لقد كنا بالكاد نلحق به ونجاريه في العمل والانجاز، كان يسبقنا دوما الى المكتب والى الميدان، منذ الصباح الباكر حتى ساعات الليل المتأخرة، كان يحب ان يكون حاضرا في ورش العمل قبل العمال والمتعهدين، ولطالما كنا نذهب من بيروت الى الهرمل باكرا لنكون في السابعة صباحا هناك، ولنكون حاضرين عند بدء العمل في الجسر المدمِّر الذي يربط الهرمل بباقي البقاع، ويصرُّ على المتعهد والعمال للعمل ولو في ساعات الليل لإنجاز العمل بأسرع ما يمكن لترتاح الناس. لقد عشق الميدان لا المكاتب، وهذا النسق من العمل هو نفسه في الجنوب، والضاحية الجنوبية، وفي كل مكان.
لم يكن لديه يوم اسمه عطلة، لا يوم جمعة ولا يوم أحد، فكل يوم هو يوم عمل، كأنه كان يتعبه الجلوس أو الاستراحة، كانت حياته مجبولة بالحركة والعطاء المتواصلين، حتى أنه أحياناً كثيرة كان ينتقل من أقصى الجنوب في صور أو بنت جبيل الى بعلبك أو الهرمل ليكون مطلعاً في يوم واحد على سير مشاريع الإعمار في كلِّ مساحات الوطن ...

الميزة الثانية: إنطباع مرحلة حضوره بحبه للبنان وأهله المقاومين والصامدين منهم خاصة،
لقد كان يعمل بحب، ويعطي بحب وتقدير عاليين لهذا الشعب اللبناني البطل الذي كان يفخر به انه هزم اسرائيل، وأعطى العالم دروساً في العزة والكرامة والعنفوان.

ولذلك كان دائماً يردد: " أننا في الجمهورية الإسلامية جئنا لخدمة هذا الشعب المقاوم البطل والعزيز"، كان سعيداً جداً بعمله هذا مع الشعب اللبناني، ولذالك أحبه الناس في كل المناطق والقرى التي ساهم فيها باعادة إعمار، أو ترميم طريق أو مدرسة، أو مسجد أو كنيسة أو حديقة. كان متواضعاً، مخلصاً ومفعماً بالصدق والعفوية، كان يسلم على الصغير والكبير، ويولى اهتماماً خاصاً بكبار السن والفقراء والمحتاجين، وينحني أمام عوائل الشهداء الذين كان يفخر بهم، ويقبل أياديهم. لم يكن يرفض لأحد طلباً، حتى أنه كان يحرجنا أحياناً كثيرة بوعوده النابعة من رغبته وحبه لخدمة أهلنا الطيبين، وذلك كون الموازنات محدَّدة، والحاجات الانمائية ضخمة ومزمنة لا تكفيها موازنة إعادة إعمار ما هدمه العدوان.

الميزة الثالثة: انطبعت مرحلة حضوره باعتماده لأحدث المواصفات الفنية العالية في تنفيذ المشاريع التي قامت بها الهيئة الايرانية، وخاصة في مشاريع البنية التحتية والتي استورد لأجلها أحدث المعدات والآليات والمختبرات، ومجابل الزفت والباطون، من المانيا وسويسرا، واعتمد أحدث الأساليب، واستعان بمكتب اشراف نمساوي ذو خبرة عالمية لانجاز طرقات بمواصفات عالية. واليوم، يتحدث اللبنانيون بوضوح عن المتانة والنوعية المميزة للطرقات والمشاريع التي نفذتها الهيئة، وتميزها عن غيرها من المشاريع.
ولحبذا هنا ان تحذو كل الهيئات المانحة، والمؤسسات اللبنانية المعنية حذو الهيئة الايرانية في هذا المجال، ليغدو وطننا لبنان أجمل، ومشاريعه أقوى وأكثر قدرة على الثبات والخدمة لسنوات بما يعود بالنفع المديد على كل المواطنين.
استشهد المهندس العزيز رفيق مرحلة ما دمَّره العدوان، المرحلة التي عشقها، وذاب فيها، واعطاها كل ذرة من كيانه. استشهد ولم يرحل، ليس فقط لأنه باق في أذهان وقلوب اللبنانيين، بل لأنه أيضا كان يرغب في البقاء والعطاء هنا في لبنان.
في آخر لقاء جمعنا قبل سفره الأخير الذي كنا ننتظر عودته لمباشرة الاعمال، قال لي: أنا أعرف أننا أنجزنا القسم الاكبر من المشاريع والمهمات، وبقي القليل، لكنني أحببت هذا البلد وأهله الطيبين، أحببت مقاومته وأبطاله، وأتمنى أن نقوم بمشاريع جديدة لنبقى على تواصل مع أهلنا الطيبين.
عزيزي الشهيد: هنيئاً لك مرتبة الشهادة التي كنت تطلبها دوما، وتتمناها بشغف. كنت أرى ذلك في عينيك عندما تنظر الى آباء وأمهات وعوائل الشهداء. أنت قدَّمت أغلى سنيّ عمرك في لبنان، وقدمت حياتك وأنت قادم الى لبنان في سبيل خدمة أهله ومقاومته على طريق فلسطين التي كانت تعيش في قلبك وعقلك دوما، فأنت شهيد لبنان وفلسطين، وشهيد حبهما، وعشقهما، وأهلهما.
فإلى عائلتك المجاهدة وإلى كل الأبطال العاملين في الهيئة الايرانية في إعادة الاعمار، إلى كل من عرفك وأحبك، وإلى كل اللبنانيين، وإلى الجمهورية الاسلامية قيادة وشعباً، نقدم لهم اسمى آياتِ العزاءِ الجميلِ، والافتخارِ بك أيها الشهيد العزيز المتميز بعشقه للعطاء والجهاد والشهادة.

المهندس الحاج حسن حجازي
مسؤول وحدة المهن الحرة في حزب الله

الشهيد في سطور

● ولد الشهيد حسن شاطري المعروف في لبنان باسم (حسام خوش نويس) في حزيران 1962 في مدينة "سمنان" شمال ايران وهو الولد البكر في عائلة من ستة أولاد.

● أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سمنان.

● انخرط مبكراً في صفوف الثورة الاسلامية في ايران وهو فتىً صغير، ثم أصبح من أهم الناشطين في حركة الثورة، وفي قيادة مظاهراتها، وباقي النشاطات المندِّدة بسلطة الشاه.

● بعد انتصار الثورة أصدر الإمام الخميني قدس سره أمراً بجهاد البناء، فتطوع الشهيد، وكان من أهم الناشطين في هذا المجال، يعمل بنفسه في الزراعة والبناء تحت أشعة الشمس الحارقة، وفي أيام الصوم لمدة 18 ساعة في اليوم.

● تطوع في صفوف التعبئة العامة عند بداية الحرب المفروضة التي شنها نظام صدام حسين، وقوى الاستكبار العالمي على الجمهورية الفتيّة.

● بدأ أولى مهامه في منطقة "كله قندي" جنوب ايران في عمل الاشارة، ثم انتقل بعدها الى مدينة "سردشت" غرب ايران في مقاطعة آذربيجان، وكان من المساهمين الأوائل في تشكيل ألوية الحرس الثوري في تلك المنطقة.

● تنقل في العديد من المسؤوليات وهو بعد لم يتعدّ العشرين من عمره. من قيادة الاتصالات، الى قيادة الدعم اللوجستي، الى قيادة العمليات، وصولاً الى قيادة المنطقة التي تُعتبر من أهم محاور القتال، والتي شهدت أعنف المعارك وأصعبها.

● تزوج في العام 1982 من معصومة مُرادي، الإبنة الوحيدة لعائلة مرادي التي كانت له نعم الرفيق، والمعين، والداعم طوال السنوات الثمانية التي قضاها في الجهاد العسكري، وفي باقي محطات حياته وجهاده الدائم، وأنجب منها أربعة أولاد.

● دخل الجامعة بعد ثماني سنوات من الانقطاع خلال الحرب المفروضة والتي تفرغ فيها للجهاد. تخصص في الهندسة المدنية، ثم نال درجة الماجستير، في الوقت ذاته تسلّم قيادة كتيبة 40 و 53 المسؤولتين عن تنفيذ المشاريع الهندسية والعمرانية في داخل ايران، وكان من ضمن مهامه إدارة مشروع "سد سريجان" في محافظة "كرمان"، ومشروع استصلاح الأراضي الزراعية، وتنشيفها من الأمطار في سهل "زنكه"، ومشروع استجرار المياه الحلوة من سهول "اصفهان" الى منطقة "يزد" التي تبعد حوالي 300 كلم.

● عمل مسؤولاً تنفيذيّاً لمعسكر "سيد الشهداء عليه السلام" ومعسكر "خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم" المعروف بفيلق القدس.

● أُرسل في مهمات عدّة خارج إيران للمساهمة في مجال الاعمار، فكان مسؤولاً عن تشييد طرق دوليّة بطول 120 كلم تربط إيران بأفغانستان، والذي أصبح من أهم الخطوط التجارية وشرياناً حيوياً يربط بين البلدين.

● أشرف على تنفيذ مشاريع تنموية عديدة في العراق.

● أُرسل بعد الحرب الاسرائيلية على لبنان في تموز 2006 كرئيس للهيئة الإيرانية للمساهمة في إعادة إعمار لبنان.

• أعد أطروحة الدكتوراه عن كيفية ادارة حزب الله لحرب تموز خلال عمله في لبنان، والذي دام لست سنوات.

● أقام عدة مشاريع في سوريا لدعم الشعب السوري، وتسهيل حياة المدنيين فيه.

● استشهد في 12 شباط 2013، وهو في طريق عودته من دمشق الى بيروت.

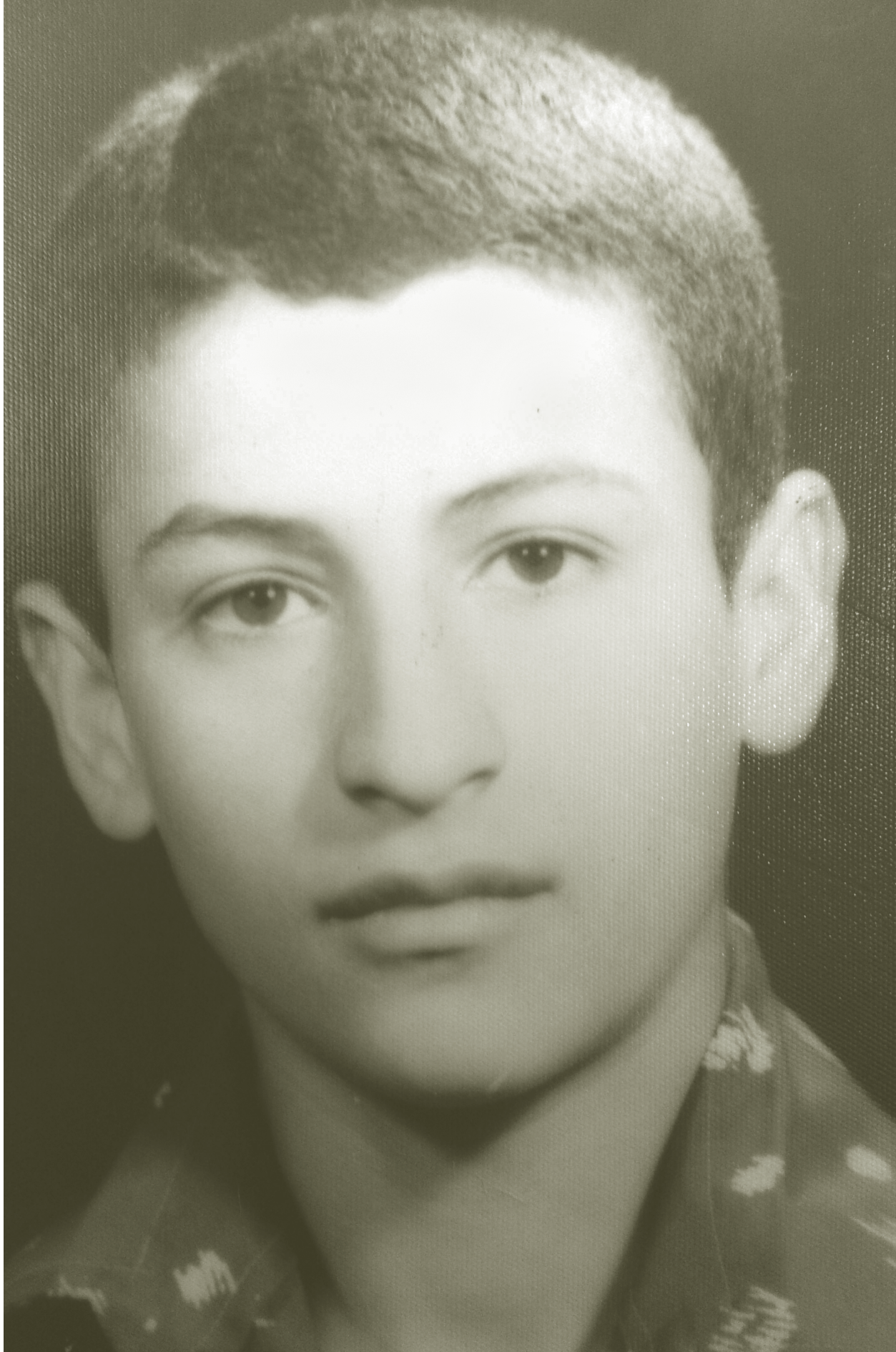

البداية

ونحن نستخلص دروس وعبر هذه المدرسة الفذّة التي أقامها الشهيد المهندس حسام خوش نويس خلال الفترة التي عاشها في لبنان، كان لزاماً علينا أن نعود إلى بداية سيرته ولو قليلاً، لنرى كيف لبست هذه الشخصية الفذّة فرادتها وتميّزها.

حين عدنا إلى طفولته الأولى وجدنا هذه الميزة واضحة، فقد حدّثنا أحد أترابه ممن عاصره في تلك الفترة، ليؤكد كلَّ ما سمعناه ويقول:

– ما كنت لأنسى تلك الفترة، فهي أجمل سنوات العمر، كنا متقاربي الأعمار، ولم يكن أكبرنا، كنا نلعب معاً، ومن الطبيعي أن تكون أجمل أوقات ذلك العمر هي الأوقات التي كنا نقضيها باللهو واللعب، شأننا شأن الصغار في مثل أعمارنا. وما أذكره بوضوح هو تعلّقنا به، نحب كثيراً صحبته، وحين لا يكون يسأل عنه الجميع، ونصاب بالخيبة لعدم تواجده معنا، ربما لقدرته على إدارة الصّحبة، وتوزيعه للأدوار. أو أنَّ هناك سبباً أهم، هو أخلاقه، فحتى اللعب، وصحبة الطفولة يحتاجان إلى تلك الاخلاق، كان رفيقاً سهلاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ما أسهل عنده ان يعطيني دوره في اللعب دون تأفف أو دفاع عن حقه، كان ينتظرني إن تأخرت، ويساعدني إن احتجت اليه. أن يكون رفيقك شخصاً سهلاً، بعيداً عن الأنانية، يتنازل عن حقه، فهو أمر في غاية الأهمية، ليكون اللعب ممتعاً بعيداً عن المنغصات.

كما أنّ صحبته كانت ضرورية لدوافع أخرى، إذ أنه في ذلك العمر كان قادراً على حل المشكلات، مشكلات في نظرنا نحن الصغار كانت عويصة ومعقدة، ولكنها كانت تُحلُّ في وجوده لتظهر بوضوح فطنته وسرعة بديهته.

ونحن صغار لم نكن نحلّل الأسباب والنتائج، كل ما كنا نعرفه أننا نحبّ صحبته، وأنّ في غيابه تقل المتعة وتكثر المشاكل، نفتقده إن غاب ونشعر بفراغ وجوده بيننا، نحاول تقليده أو الحلول محلّه دون جدوى. وتلك هي ميزة أن يكون بيننا، وما أذكره بوضوح هو تلك المقولة التي غالباً ما كنا نرددها في غيابه:

– ليته معنا. لو كان معنا لكنا فعلنا كذا وكذا.."

ثم سمعنا الكثير مما يعزز هذه النظرية، أي أن طفولة هذا الكبير كانت ذات نكهة خاصة، ومنها ما حدثنا به شقيقه حيث قال:

"لم يكن يشاركنا في كل أوقات لهونا، وكنا نحب صحبته، وحين يرفض ذلك كنت ألجأ أحياناً للتوسل، ولأنه طيب القلب، كان يرضخ رغبة منه في إسعادي أكثر منه رغبة في اللعب. يضحك حين يرى سعادتي بموافقته، كنت أحياناً أتركه وشأنه حين يرفض، احتراماً له، وأحياناً أخرى كان يحرضني بأسلوبه الفريد للقيام بعمل أكثر فائدة، ويقول لي:

– تعال لنسقي الزرع أولاً ثم نلعب.. انظر إلى هذه الزهور العطشى...

وأغرقُ معه في تفاصيل المزروعات، وأنسى اللعب. أو يقول لي:

– انظر إلى أرض الدار، كم هي مهملة.. ساعدني لدقائق ثم نذهب للعب.

ويستغرق الأمر أكثر من دقائق بكثير.. كنت أعمل معه سعيداً فهو يستطيع جعل العمل ممتعاً، لا أدري كيف؟ ولكنه يجعل هذا العمل يشبه اللهو، فإذا بي أنسى ما وعدني به من الذهاب إلى اللعب.

كان يدرس أكثر مما ندرس نحن، أو مما يدرس كلُّ من كان يقاربه في السن، كنت أراه يدرس بحماس، وإذا طلبته للعب قال لي:

– أنت لا تريد لأخيك ان يكون كسولاً في المدرسة، أليس كذلك؟

وفي معرض البداية أيضاً استمعنا إلى بعض ما رواه أفراد عائلته، لتكون الصورة أكثر وضوحاً قبل الدخول إلى مدرسته في لبنان.

عبد القدوس الأمين

الثورة والإمام

مقتبسة من رواية **حسين شاطري***

حين بدأت الثورة الإسلامية، كان من أوائل المؤمنين بها والداعين إليها، مستميتاً في الدفاع عنها، ومنذ البدايات كانت شغله الشاغل، وهمه الأكبر. لم يكن فرداً من الثّوّار، بل كان قائداً على صغر سنّه، كان دائماً هو من يقودنا في المظاهرات، ومن ينظم النشاطات، متعرضاً للكثير من الضغوط والأخطار دون أن يبالي، وكأنه نذر نفسه وكل ما يملك لأجل الثورة.

كان يرى الإمام بطريقة تختلف عما كنا نراه نحن الذين نقاربه سناً، في شغفه به، وطريقة حديثه عنه. يحفظ كلماته عن ظهر قلب، وما أشد ذلك الالتزام الدقيق بتعاليم الإمام، فهو يقوم بها كما يقوم المؤمن بصلاته وصيامه، ويتعامل معها كالواجب والحرام كما كان يقول.

كان يعمل أكثر مما هو مطلوب منه، كما يقوم بالمستحب في عبادته، فلم يكن يترك أمراً يخص الثورة أو يخدمها إلا قام به على أكمل وجه، رغم المخاطر والصّعاب، وحين كنا نطلب إليه في بعض المواقف الخطرة أن يهدأ، أو يؤجل كان يقول: وهل تؤجل العبادة وطاعة الله؟.

هكذا كان يرى الثورة والإمام، وهكذا كان يقودنا خلف حماسه وايمانه.

لم يهدأ هذا النشاط الثوري بل كان يزداد يوماً بعد يوم، لا سيّما في الايام الأخيرة للثورة، حيث يقول من رافقه أنه لم يكن ينام في تلك الفترة الحاسمة من أيام الثورة الإسلامية ، وعندما انتصرت الثورة ظننته سيهدأ ولو قليلاً، وكنت أقول له إنه آن لك أن تستريح قليلاً، ولكن ظني لم يكن في مكانه أبداً، فقد أصدر الإمام الخميني حينها أمراً لجهاد البناء، بمساعدة الناس في الماء و البناء، و الزراعة، فانطلق وكأن الثورة قد بدأت للتو، ناشراً لفكرة جهاد البناء، ومحرضاً عليها بكل الأساليب، وأهم من ذلك كله أنه كان يدعو له بالعمل، أي أن يعمل أمام الجميع وأولهم، بنشاط وجهد عجيبين، وكأنه أكثر من رجل، فلم يترك مكاناً يحتاج إلى مثل هذا الجهاد إلا وذهب إليه، مشمّراً عن ساعديه في البناء، إذ أنه كان ذا خبرة وافية في هذا الاختصاص، بنى غرفاً وأصلح منازل، وكان يذهب يومياً إلى المزارعين

* شقيق الشهيد

ليساعدهم في شؤونهم، وفي زمن حصاد القمح تفرغ لذلك تماماً. أذكر تماماً أنه في تلك السنوات كان شهر رمضان في فصل الصيف، ولم يشكل ذلك فارقاً عنده، يذهب إلى هناك منذ الفجر، ويظل يعمل تحت أشعة الشمس الحارقة وهو صائم، يعمل لمدة 18 ساعة في اليوم. ويأتي بعد ذلك مبتسماً سعيداً، وكأنَّ ما يقوم به أمر لا صعوبة فيه.

في الحرب المفروضة

من رواية **حسين شاطري***

عندما بدأت الحرب قاوم، وكأنّ الحرب اشتعلت في داخله، فكان من الأوائل الذين تطوّعوا للمشاركة في الجبهة، وكان ذلك مبكراً جداً بالنسبة لنا، وبالنسبة للوالد على وجه الخصوص. ولأنّ المعنيّين لن يوافقوا على ذهابه دون توقيع الوالد، وكان يعلم ان الأمر سيكون صعباً على الوالد، وأنه سيرفض تقديم الموافقة، ولكي يتخطى موافقتة، وخوفاً من أن يعيقه هذا الأمر، قرّر ان يزوّر توقيعه، جاء والدي بعد ذلك بأيام وهو يحدثنا بإعجاب شديد ودهشة عن قدرة ولده على تزوير توقيعه، هذا التزوير المتقن الذي لا يمكن تمييزه، وقال:

– لو سألوني أهذا توقيعك؟ لقلت لهم نعم.. اذ لا فرق أبداً.. لن يكتشف حتى الخبراء أي فرق بين التوقيعين.

وأردف ضاحكاً:

– إنه ماهر فعلاً!.

وكان ذلك موافقة شفوية من الوالد على إرساله إلى الجبهة، أو إن الوالد علم أنه لن يستطيع الوقوف أمام رغبة ابنه الملحة، ثم علمنا بعد مدة أنه أصبح في كردستان، في منطقة سردشت، وهناك أخذ مكانه الذي كان يصبو اليه كمجاهد، وعمل بالحماس، والنشاط الذي لا نظير له، وظلّ هناك لفترة طويلة دون ان يفتر ذلك أو يقل، وأصبح أحد المؤسسين للحرس الثوري في منطقة سردشت.

وبعد فترة تقرر التحاقي بخدمة العلم، وصادف أنهم أرسلوني إلى منطقة آذربايجان، والتي هي قريبة من مكان تواجده، وحين علم بأني سأذهب إلى هناك أرسل في طلبي قائلاً: لم لا تأتي إلينا هنا؟ المنطقة هنا هادئة جداً، والظروف مريحة جداً، وستقضي وقتاً جميلاً، وهنا ستعمل بشكل أفضل من آذربايجان. كل تلك الإغراءات جعلتني أوافق بسرور، ومنها أنني سأكون معه، وهذا أمر يسعدني وأحبه، كما أنني سأكون مرتاحاً كما قال، فوافقت معه على الفور، واتفقنا على ذلك، وقام هو بما يلزم من اتصالات

* شقيق الشهيد

وتنسيقات تقنية لنقلي إلى سردشت.
وبالفعل، تمَّ إرسالي في مأمورية إلى هناك، ووصلت إلى الثكنة التي أخبرني أنه سيلقاني عندها. كانت الثكنة في منطقة صحراوية كثيرة الرمال، دخلت هناك، وبحثت عنه فلم أجده، سألت الحارس عنه، وأعطيته الاسم فطلب مني الانتظار، جلست أنتظر في هذه الصحراء التي تحيط بها الرمال، وأنا سعيد أُمنّي النفس بلقائه، وبالعمل المريح، والوقت الجميل الذي حدثني عنه. أُمضي الوقت وأنا أنظر الى الصحراء المترامية، وإذا بدراجة صغيرة تقتحم الأفق الصافي، مخلّفة غباراً كثيفاً غطى الأفق خلفها لشدة سرعتها، ولم أميّز سائقها الا حين اقترب من الثكنة، فعرفت إنه أخي، وضحكت وأنا أنظر إلى الغبار يغطي رأسه وثيابه، ترجل عن دراجته وتعانقنا، لم نتحدث إلا قليلاً، وبدا أنه في عجلة من أمره، ركب الدراجة، وتقدم بجلوسه إلى الأمام ما استطاع، وطلب مني وهو يضحك سعيداً بقدومي أن أركب بسرعة. أركبني خلفه على متن دراجته، وسار بي منطلقاً بسرعة كبيرة وسط الرمال الكثيفة، ولشدة سماكة الرمال وقعنا من على الدراجة عند أول منعطف، وزحفنا على الرمال لمسافة طويلة، كلٌّ في اتجاه، قام ضاحكا، وعلى نفس سرعته أقام الدراجة، وأعاد ركوبها، وأنا أركض خلفه أحاول مجاراته، وما إن ركبت حتى انطلق مجدداً، وبنفس السرعة، وهو يقول:
– عليك أن تعتاد على ذلك يا أخي العزيز.
ما كنت لأبالي إذ هي إلا طريق مهما امتدت فإننا سنصل إلى المكان المريح الذي حدثني عنه، وبما أنني سأعمل مع أخي، فلابدّ أن تلك ميزة مهمة، ستزيد الموقف راحة وبهجة، ثم أنه سألني:
– ماذا ستفعل، وأي عمل يمكنك القيام به.
فقلت له أنا أتوقع تسهيل الأمور ووضعي في مكان مريح:
– أنا أتقن أعمال التصليحات بشكل عام.
– كلا، لا نريد عمّال تصليح هنا، اذهب إلى لواء حزب الله هناك سترتاح كثيراً.
لم أكن أدري ما هو لواء حزب الله، وما هي مهماته، لكنني كنت متأكداً من أنه اختار لي المكان المناسب لأكون مرتاحاً كما وعدني، لكنّ الأمر لم يكن كذلك أبداً، فقد كان هذا اللواء متخصصاً في العمليات العسكرية الخطيرة والصعبة، هو في مقدمة الخطوط. فسألته منزعجاً:

– أهذا هو المكان المريح الذي وعدتني به، والذي سأقضي فيه وقتاً جميلاً؟
وكأنه اندهش من انزعاجي قال بكل مودة وصدق:
– لقد اخترت لك أفضل مكان تستطيع أن تقدم فيه أفضل الخدمات.
ضحكت كثيراً وأنا أقارن بين مفهومي للراحة والوقت الجميل وبين مفهومه لهما، فهو لم يخدعني، لأن هذا المكان بالنسبة إليه هو قمة السعادة والراحة النفسية، فهو يرى أن السعادة توازي حجم العطاء.
وطوال اقامتي معه لم يكن يميزني عن أحد لأنني شقيقه، بل على العكس تماماً، كان يتصرف بطريقة جعلتني أتمنى أحياناً لو لم أكن شقيقه، لأنه كان يعهد إليَّ بأصعب الأعمال وأكبرها جهداً، ويطلب إليّ تنفيذها بأسرع وقت.

هذا ما سنأكل

من رواية **حسين شاطري***

بعد أن تمت السيطرة على إحدى القرى من قبل المجاهدين، طلب إليّ ان أستلم مسؤوليّة الدعم اللوجستي في هذه القرية التي تقع في الخطوط الأمامية للجبهة، وهذا يعني أن تكون بعهدتي كل حاجات المجاهدين وكل ما يلزمهم، ومنها طبعاً جميع مخزون الطعام. وكان هو قائداً لأحد المحاور هناك. وفي أحد الايام عاد من الخطوط الأمامية مع زملائه من قادة المحاور، انفطر قلبي على حالهم، وقد أنهكم التعب والجوع، قال لي بأنهم لم يأكلوا طعاماً منذ فترة طويله، وطلب إليّ أن أحضر ما تيسّر من طعام، فذهبت وأحضرت صندوقاً من علب التونة، وكانت علبة التونة في وقتها تعتبر طعاماً مهماً. فرتبت الأمر، ووضعت العلب أمامهم مع الخبز ودعوتهم للطعام، وحين رأى علب التونة سألني قائلاً:

– هل أرسلتَ للمجاهدين منها ايضاً ؟

فقلت له محرجاً:

– لا يا أخي، لم أفعل، لأنه لم يبق منها إلا القليل، ولا أستطيع توزيعها لأن هذا سيخلق مشكله، فهي لن تكفي الجميع.

– ماذا أرسلت لهم اذاً؟

– كان قد بقي بعض الأرز فأرسلته لهم.

– اجلب لنا من ذلك الأرز.

أخبرته بأنه انتهى، ولم يبق منه شيء. فصار ينظر حوله في أرجاء المكان، حتى استقرّ بصره، ورأى شيئاً موضوعاً في الزاوية البعيدة فسألني قائلاً:

– ما تلك العلب هناك؟

– إنّها علب لبن.. لكن مدة صلاحيتها انتهت منذ أكثر من 15 يوماً.. كلما أرسلها إلى المجاهدين تعود إلينا بسبب طعمها الذي لا يطاق فهو شديد الحموضة.

فقام وجلبها، وخلطها بالماء، ووزع الخبز على الجميع وقال:

– هذا ما ينفعنا وهذا ما سنأكل.

* شقيق الشهيد

الجرار الثقيلة

من رواية **حسين شاطري***

في أيام الشباب كانت مياه الشرب غير متوفرة في البيوت، ولم يكن هنالك شبكات مياه كالتي نراها اليوم. كانت المياه موجودة فقط في مناطق محدّدة، وفي آبار كبيرة بعيدة عن المنازل، يذهب الناس إلى تلك الآبار حاملين أوعية كالغالونات، أو الجرار الكبيرة للاستجرار منها، وكانت تلك الآبار عميقة، بعيدة عن سطح الأرض، وعلى من يريد الماء أن ينزل إلى الأسفل ما يقارب 40 درجة كي يستطيع تعبئة وعائه، وكان ذلك أمراً شاقاً، خاصة عند الصّعود، حين تكون الجرار الممتلئة بالماء ثقيلة الوزن، يصبح صعود تلك الدرجات الكثيرة أمراً شاقّاً، فكيف إذا كانت الحاجة تستدعي عدداً أكبر من الجرار، وهذا يعني النزول والصعود مرات عديدة.

وكان هو الفتى اليافع الذي تزدحم في قلبه محبة هؤلاء الناس، مدفوعاً بتعاطف لم أر مثيلاً له، يذهب الى هناك دونما دعوة أو حاجة، حتى وإن لم يكن يريد لنفسه أو لأهله من ذلك الماء، كان يذهب إلى هناك، ويقضي الكثير من الوقت وهو يملأ الجرار صاعداً ونازلاً تلك الدرجات، مبللاً، دون أن يُعرف أمن ماء الجرار هذا البلل أو من عرق الجهد المضنى الذي يبذله، سعيداً مبتسماً راضياً، كنبيّ الله موسى وهو يستسقي لابنتي نبي الله شعيب، والأجمل من ذلك أن كلَّ العجائز كانت تجلس وإلى جانبها جرارها تنتظرنه واثقات من مساعدته لهن، ودون أن يطلبن منه يأخذ الجرار مبتسماً، يملؤها واحدةً تلو الأخرى، ولا يتوقف قبل أن يملأها جميعاً، ولا يغادر المكان حتى لا يبقى هناك من الضعفاء أحد من نساءٍ ورجالٍ وأطفال.

* شقيق الشهيد

الاعتماد على النفس

من رواية **فاطمة شاطري***

كان يحرّضني على الاعتماد على نفسي، وأن لا أطلب الى أحد شيئاً طالما كنت أستطيع فعله بنفسي، وساق لي الكثير من الأمثلة والأحاديث المروية عن أهل بيت العصمة في هذا الخصوص، ومن الأمثلة التي ساقها: تجربته الشخصية، وما تعلمه منها، ثم حدثني قائلاً:

– لقد تعلمت الكثير من الدروس التي جعلتني أعتمد على نفسي في كل صغيرة وكبيرة، و أهم تلك الدّروس كانت الحادثة التي لن أنساها ما دمت حياً.

ثم جلس جلسة من يريد التحدث بإسهاب وقال:

– لقد كنت صغيراً في الصفوف الابتدائية الأولى، ولم تكن المدارس في حالة ميسورة كما هي في هذا الزمن، لقد كان الأساتذة حينها يعتمدون على الأهل في تحمّل بعض أعباء المدرسة، ففي أحد الصفوف وقبل انتهاء الحصة الدراسية سألنا المعلم من منا يستطيع شراء الطبشور غداً؟ ولما تردد باقي الطلاب في الإجابة رفعت يدي، حاملا على عاتقي جلب الطبشور غداً، لأن ثمن الطبشور لم يكن غالياً، وكنت واثقاً من أن أبي سيعطيني مثل هذا المبلغ اليسير بسهولة، لكنني حين عدت إلى المنزل فوجئت برفض أبي، لقد صُدمت بالرفض صدمة كبرى، وبدأت أتخيّل ذُلَّ الموقف غداً في المدرسة، ماذا سيقول لي الأستاذ، وبماذا سيكتب الطلاب غداً، واي عقاب واي لوم سيقع عليّ وأنا الذي تعهدت جلب الطبشور؟ وبدأت قطرات العرق تتسرب من جبهتي، وأنا أتخيل كم سيكون الإحراج شديداً، إنه أشدّ مما يمكنني أن أتحمله، كل ذلك دفعني إلى الإلحاح على أبي، حتى وصل الإلحاح لدرجة التوسّل، ولكن دون جدوى، فأبي حينها كان خالي الجيب حتى من هذا المبلغ القليل. وتابع يقول:

وقفت مذهولاً لا أدري ماذا أفعل أمام هذه المشكلة الصعبة، بل أمام هذه المصيبة الكبيرة كما كنت أراها حينها، أذ كيف سأعود إلى المدرسة غداً؟ جلست على عتبة الباب، لقد أسقط ما في يدي، ولم يعد أمامي سوى

* إبنة الشهيد

البكاء. كنت ابكي بكاء من أصابته مصيبة لاحول له ولا قوة بردّها، ويبدو ان بكائي ارتفع لشدة ما أعُانيه، حينها سمعت أمي صوت البكاء فجزعت، وأنا الذي قلّما كنت أبكي، سألتني بلهفة عمّا يبكيني، فحدثتها عن مصيبتي الجليلة، وإذ بها تُطيّبُ خاطري، وسعت سعيها وتدبرت لي المبلغ. هدأ خاطري واستكان اضطرابي، وأنا حائر ومرتبك كيف أشكرها، لقد أزاحت عن كاهلي همّاً كبيراً وعبئاً ثقيلاً، لكن شيئاً جديداً قد تواجد في داخلي، شيئاً صنعته المعاناة والموقف الصعب، ماذا لو لم تستطع أمي تأمين المبلغ ؟!
لقد كتبت في داخلي قراراً بقلم ذلك الموقف الصعب، لقد حُفر القرار حفراً في وجداني، كان القرار الحازم الجازم أن لا أطلب من أحد مالاً مهما كانت الظروف، وعليه بدأت أتدبر أمري كلما شعرتُ بالحاجة إلى المال، بعدها بايام قليلة بدأت أعمل في الدكان القريب من منزلنا لعدة ساعات، أساعد فيها صاحب الدكان في البضاعة، وفي ترتيب المحل، مقابل بعض المال، ثم عملت بعد ذلك في البناء، وكنت أصغر العمال حينها، ولم أطلب المال من أحد بعد ذلك أبداً.

كنت في انتظاره على قلق

من رواية **فاطمة شاطري***

نعم، في ليلة لقائه مع محمد حسن، وبعد أن عاد إلى البيت، كنت في انتظاره وأنا قلقة، قناعتي بمحمد حسن كانت راسخة في قلبي، لكن خوفي كان مشروعاً ومبرراً، ماذا سيقول محمد حسن عن إمكاناته واستعداده للزواج؟ وكنت متحمسة جداً، وقلقة لأسمع من أبي تفاصيل اللقاء، وقفت أمامه وأنا أتصنّع الهدوء، تحدثنا حديثاً عادياً، منعني خجلي من أن أسأله عما جرى في ذلك اللقاء، تظاهرتُ بعدم الاهتمام، ولم أسأله، وهو لم يتكلم في الموضوع، وكان سيسافر إلى بيروت بعد عدة ساعات، فبدأ بجمع أغراضه وحاجياته، حاولت عدة مرات ان أتكلم فلم استطع لشدة خجلي، ثم يئست من قدرتي على مصارحته رغم قلقي، ما كان أمامي إلا أن اتركه محتفظة بأسئلتي، فقلت له تصبح على خير، بعد أن ودعته كما هي عادتي، وأحاطني بدلاله كما يفعل دائماً، وقلت له يائسة من نفسي:
– تصبح على خير.
وحين وصلت إلى الباب سمعته يقول بصوت بدت فيه ضحكته:
– لمَ لم تسأليني عما حصل يا فاطمة ؟!
– استحيت منك.
ترك كل شيء وأجلسني بالقرب منه، وسرد لي حينها كل ما حصل في ذلك اللقاء.
لم أتوقع أبداً أن يتعامل أبي بهذه الحميمية مع محمد حسن قبل الخطبة، حتى يوم تقدم رسمياً للخطبة، وأتى مع أهله، كان أبي مرحاً جداً بحيث تشعر وكأنهم أقرباؤنا، أو أصدقاؤنا منذ زمن. وتحدث معهم في جميع المواضيع، في الحياة السياسية، والاقتصادية، وكل شيء ما عدا موضوع الخطبة.
انتظر الجميع أن يدخل في الموضوع الأساسي، أو يلمّح إليه في الحدّ الأدنى، أو أن يقترب منه على الأقل، ليمهّد لهم الطريق، لكنه لم يفعل، فما كان من والد محمد حسن إلا أن طرح الموضوع الرئيسي للزيارة بشكل مباشر، حينها

* إبنة الشهيد

صمت أبي، وظهر الجد في ملامحه، ثم فاجأهم بقوله:
– حسناً كم عقاراً، وكم بيتاً، ستكتبون باسم ابنتي؟
فإذا بوالد محمد حسن ينظر الى محمد حسن الذي أصبح وجهه أحمر، وتجمع الدم في رأسه، وغرق في مقعده كأنه يريد الاختفاء، ثم أكمل أبي حديثه والجد والعبوس في وجهه وهو يقول باهتمام:
– أما بالنسبة للمهر فتعلمون العادة والأصول.. وهي لن تكون أقل من 124 الف ليرة ذهب.. أليس كذلك؟
قال جملته الاخيرة وهو ينظر إليهم وقد تلبسهم الذعر، وحين رأى ذلك منهم ضحك وقال:
– لم يكن ذلك سوى مزاحاً.. لم أكن أريد سوى تلطيف الأجواء.
كأن ماءً بارداً صبّ على تلك الرؤوس، وانقلب المجلس إلى ضحك طويل، تبددت خلالها كل الاجواء الرسمية.
كنت قد قلت له مسبقا أني لا أطلب أكثر من 114 ليرة، أما هو فقد قال بعد أن ارتاح الحضور وتغيّرت الاجواء:
– بالنسبة للمهر فإن ابنتي طلبت أكثر من 100 ليرة.. لكنني أنا شخصياً لن اقبل بذلك.. لن أطلب أكثر من 14 ليرة فقط.. لأن هذا المبلغ هو نفسه الذي قدمناه مهراً لزوجة ابني.. ولن أطلب لابنتي اكثر منها حتى ولو بليرة واحدة، لأنني لو فعلت لن أكون مرتاح الضمير أبداً.
كنت ابنته الوحيدة، لكنه مع ذلك لم يقبل إلا بأقلّ الأمور، ورفض ان يثقل على محمد حسن وأهله، وإن بشكل قليل، وكان يشدد في موضوع الشق المادي ان يكونوا مرتاحين تماماً بعيداً عن الضغوط.
كان عندما يتصل بي من بيروت، يسألني عن صحتي، وصحة محمد حسن، ودراستنا، يشدد كثيراً على موضوع الدراسة، ولم يكترث أبداً لتحضيرنا للعرس، أو المراسم، أو البيت، ومكان سكني، لم يتحدث عن هذا أبداً، كان يقول:
– إن كل ذلك سيُحلّ بالاتكال على الله، و لكن الدرس يحتاج إلى المثابرة والجهد إلى جانب الاتكال.

أتأخذ مالاً من أمّك؟!

من رواية **فاطمة شاطري***

روى لي ابن عمي، أنه في الصغر كان يعمل مع والدي ويأخذ الأجر منه، وكانت أكثر أعمال والدي حينها في البناء.
كان يعمل معه منذ الصباح الباكر وحتى آخر النهار في الشمس الحارقة.
يقول ابن عمي أنّ أبي كان يعمل بإخلاص لكل من يعمل لهم، ويعتني بالفقراء عناية خاصة، فهو معهم شديد التوفير، مقتصد الى أبعد الحدود، ليوفر عليهم ما استطاع، وأن أبي وبالرغم من ظروفه الاقتصادية الصعبة، ووضع المادي الضعيف، لكنه في كثير من الأحيان لم يكن يقبل بأخذ أكثر من نصف المبلغ المتعارف عليه حين يرى الفقر واضحاً على من عمل لهم.
يستغربون هم ذلك، ويحتارون كيف يشكرونه على هذا الفارق الكبير بين ما يتقاضاه، وبين ما هو متعارف. كان هذا أسلوبه وتلك طريقته، كلما عمل لأحد الفقراء، وما أكثر الفقراء الذين يعمل لديهم، فهم كانوا ينتظرونه لعلمهم المسبق بإخلاصه، وتعاطفه معهم، حتى بات عمله مقتصرا عليهم تقريباً، دون أن يبالي بتدني مدخوله، رغم الوضع المادي الصعب الذي كان يعانيه، بل كان هناك ما هو أصعب وأمر، اذ كان يعيد لهم قسماً من المال المتفق عليه، وقد يتجاوز النصف أحيانا، فلا يبقى بعد هذا إلا القليل. يتابع ابن عمي حديثه ويقول:
– كنت أنظر اليه مدهوشاً، وبانزعاج شديد للذي يفعله، أكاد لا اصدق، لم يكن يعجبني ذلك أبداً، كنت أرى أن هذا كثير، وغير معقول، ليس خوفاً على أجرتي لأنّ أجرتي تبقى على حالها في كل الأحوال، ولم يكن ليقصّر معي، حتى كانت أجرتي، غير المحسومة في مثل تلك الحالات تضاهي أجرته أو تزيد عنها، كان انزعاجي من أجله، وأنا العارف بما يكسب، وبوضعه المالي الذي يشابه أوضاع هؤلاء الفقراء.
في إحدى المرات عملوا في أكثر من ورشة في يوم واحد، وكان يوماً طويلاً ومتعباً، ولم يقبل أبي أن يأخذ قرشاً واحداً لشدة فقر من عمل لديهم. وفي أحد تلك الايام –وكان ابن عمي قد سئم هذا الحال لأنها طالت– عمل عند

* إبنة الشهيد

امرأة مسنّة طوال اليوم، وحين انتهى العمل خرج من عندها دون أن يطلب منها أجراً، قائلاً:

– ان وضعها لن يسمح بذلك، وأجرنا نأخذه من الله.

وصادف أن تأخر ابن عمي وهو يجلب المعدات الباقية، فأعطته العجوز الأجر وهو أقل من المتعارف بكثير، فأخذه ابن عمي منها، دون علم والدي خوفاً من رفضه، وفي طريق العودة إلى المنزل انتظر ابن عمي ليبتعد كثيراً عن منزل العجوز، وحين اطمأن لبعد المسافة أخبر أبي وأعطاه المال، فما كان من أبي إلا أن توقف غاضباً، متهما إياه بالقسوة وقال يلومه:

– لكم انت قاسي القلب! هي امرأة عجوز.. أتأخذ من أمّك مالاً؟! كيف فعلت وهي غير ميسورة الحال؟ أما رأيت حالها؟!

– ولكن.. إنه مبلغ قليل... وهي التي أعطتنا اياه عن طيب خاطر.

– وان يكن زهيداً، فهي أحوج إليه منا.

وعاد إلى منزلها رغم طول المسافة، وأجبره على إعادة المبلغ إليها كاملاً.

وحين خرجا من عندها كان يطيب خاطري قائلاً:

– لقد تخلينا عن أجرٍ قليل لنأخذه من الله أكثر بكثير.

كانت الأولى والأخيرة

من رواية **إحسان شاطري***

كلما أردتُ الحديث عن هذا الشهيد العظيم يستوقفني سؤالٌ يصعبُ علي إغفاله..

إنّه أبي.. هل أستطيع التّحدّث من خارج تلك الدّائرة؟ هل أستطيع التّحدّث عنه كما يتحدّث عنه أي شخصٍ من العاملين معه طوال تلك السّنين؟ أن أخرج من صفة كوني أحد أبنائه؟ فهل من سبيلٍ إلى ذلك؟ هل هذا ممكن؟ وإن استطعتُ أن أتجرّد منها عند الكتابة، هل يستطيع القارئ ذلك؟

حين يقرأ القارئ اسمي يستحضر مباشرة تلك العلاقة، فهذا ابن يتحدّث عن أبيه.. لا مهرب من تلك الصّفة، وهنا تكمن المشكلة، فهذه الصّفة تستدعي الكثير مما يلازمها من صورٍ وذكريات، كما هو مألوفٌ ومعتاد. فحين يتحدّث الابن عن أبيه يتّكئ على صورٍ وذكريات عمادها الطّفولة والنّشأة الأولى، لتكون هي الأساس الذّي يبنى عليه في كلّ تلك المشاعر التّي تتجمّع عنصراً فوق عنصر، لتشكّل معالم تلك الحالة الفريدة. فالأبوّة حالةٌ مستقلّة لا تشبه سواها، وهي بلا شكّ عند الأبناء تعتمد على ذلك القديم، من صورٍ وذكريات وما تصحبها من مشاعر.

كيف سأتحدّث وأنا كلّما عدتُ إلى ذكرياتي القديمة أستجدي منها صور الابن ومشاعره وجدتها غائمةً ومبهمة؟ أشباح الصّور ضبابية الملامح، تحيطها مشاعر لا تعرف الاستقرار ولا الوضوح. صورٌ تكاد تكون خاوية من هذا الذّي يسمّى أبوّة، ليس في طفولتي فحسب، بل امتدّ هذا الخواء إلى سنيَّ مراهقتي الأولى.

لا أجد مكان تلك الصور إلا صورة ضيف، ضيف جميل الطّيف، حسن المعشر، خفيف الظّلّ، قويّ الحضور، محبوباً، ولكنّه ضيفٌ قليل المكوث، ولم يتعمّق حضوره، وما أحاطت به مشاعر الابن..

أذكر كم كان هذا الحضور القليل جميلاً، وأذكر كم كان يسعدنا حضوره. كنتُ أرى حبّه الفائض في هذا الحضور القليل، أراه عميقاً، ومؤثّراً، وشديد الوضوح، كما يرى الجالس في الظلمة ضوء البرق، قوياً، واضحاً، شاملاً، لكنّه

* إبن الشهيد

سريع لا ترى فيه العيون الصّغيرة كلّ تفاصيل الأبوّة ومشاعرها، فهي تحتاج إلى استدامة في الكشف لتترسّخ، لتكون معرفة ثابتة قادرة على البقاء.
لقد كان أباً كثير السّفر، وفي غيابٍ طويلٍ ومتكرّر، ينتقل من بلدٍ إلى بلد، من العراق إلى أفغانستان، إلى دولٍ وبلدانٍ مجهولة، أو في مدنٍ ايرانية بعيدة لم نكن نعرفها. هذا هو عمله، وتلك هي مهامه، وهو النّاشط الذّي يُعتمد عليه منذ البداية، وهو بعدُ حديث العهد في الرّجولة. كانت تلك الحالة قبل ولادتي، بل هي كانت كذلك حتى قبل زواجه، هذا ما كانت تقوله أمي.
كانت أمّي وحيدة أمّها، لقد توفّي جدّي وهي ما تزال صغيرة، فتاةً مؤمنةً طاهرةً على صغر سنها، أحبّت الثورة ورجالها، تلك المشاعر المبكرة كانت عميقة لديها لدرجة أنّها قرّرت أن لا تتزوّج الا رجلاً مجاهداً. وكان أبي واحداً منهم، وكان قد تخرّج حديثاً من الثّانويّة العامّة (الباكالوريا)، وأستعدّ لدخول الجامعة. وافقت على الزّواج منه على الفور، سعيدة بتحقيق رغبتها في الزّواج من مجاهد.
كانا عروسين حين بدأت الحرب، وفور زواجهما اضطرّ أبي للسّفر إلى كردستان، وأخذ عروسه معه، وكانت منطقة كردستان في حالة الحرب تحت الحصار الشّديد، فاضطرّا حينها للوصول إلى مكان إقامتهما بواسطة طوّافة عسكرية. ثم تركها بعد ذلك وحيدة هناك لمدّة شهرين، وهي في الخامسة عشر من العمر.
تلك كانت البداية، ما ندمت أمّي أبداً، كما تقول، بل ازدادت حباً وتعلّقاً، كما ازدادت عطاءاً وتضحية. لقد تولّت ملء كل نقصٍ يسبّبه غيابه، وقامت بكلّ ما يلزم دون تقصيرٍ أو تأفّف، مما جعله يعتمد عليها مع الوقت اعتماداً كاملاً، ليستطيع تكريس حياته التي نذرها لله.
لقد لازم عدم الاستقرار حياتهما الزوجية كما لازمها غياب الزّوج، لقد تنقّلنا إلى مناطق عديدة لا أستطيع حصرها، فنحن ما كنا نكاد نستقرّ في مكان. وأذكر أنّني عدتُ يوماً من المدرسة حاملاً حقيبتي، فوجدتُ على باب المنزل شاحنةً، وعمّالاً وهم ينقلون أثاث منزلنا إلى الشاحنة، لننتقل فجأة، دون أي سابق إنذار إلى منزلٍ آخر في منطقةٍ أخرى. هكذا كانت حياة والدتي قبل مجيئنا، وظلّت كذلك بعده، في حلٍّ وترحال طوال تلك السّنين.
وبالرّغم من غياب أبي الطّويل والمتكرّر، لم تعترض أمّي على قراره يوماً،

بل كانت تشجّعه وابتسامة الرّضا لا تغادر وجهها.
كانت له نعم المعين، وهو الذّي يتحدّث عن ذلك دائماً، لا يترك مناسبةً إلا وعبّر لها عن امتنانه وحبّه، حين يأتي يشملها بعطفٍ لا مثيل له، يعاملها باحترام بالغ، فهو طوال وجوده يدللها، وكنتُ أراه كمن يحار بأي طريقةٍ يعاملها، كان يقبّل يدها حين يطلب منها أي شيء، ولا يتوانى عن إظهار امتنانه وشكره بشتّى الطّرق. لطالما سمعتُه يطلب منها المسامحة، ويعتذر لها عن تقصيره وانشغاله. ويطلب اليها أن تحتسب ذلك عند الله، ويشهد هو بذلك حين لا يكفّ عن الدّعاء لها.
ونحن نرى كلّ ذلك منه متأثرين به، وهو يحاول تعويضها عن النقص الناتج عن غيابه الطويل والمتكرر.
وكان يشملنا نحن ايضاً بلطف المعاملة، وإظهار الحنان والمودة، لكن علاقته معنا، ومع أخي ألاكبر كانت ضمن حدود، لم يكن هذا الوقت القصير كافياً للانفتاح عليه، كما لا يستطيع المرء الانفتاح على ضيف مهما حسنت أخلاقه. بقي ذلك الحاجز ماثلاً بيننا، حاجز لا يمكن هدمه أو تخطيه، في هذا الوقت القصير كنا أنا وأخي نحبه كما يحب المرء شيئاً جميلاً وبعيداً، حبّ تكتنفه علاقة شبه رسمية .
وحدها أختي الصغيرة فاطمة تجاوزت هذا الحاجز، ولا أدري كيف استطاعت ذلك، ربما صغر سنها هو السبب، أو لأنه أحاطها بعناية خاصة، وفسح لها مجالاً أوسع، كنا نرى في علاقته معها عطفاً، وأبوةً أكبر، والكثير من الدلال، يعاملها كأنه صديقها الصغير، فتخطت هي الحاجز الذي لم أستطع أنا تجاوزه، فكانت تتحدث اليه، وتخبره بكلّ تفاصيل يومياتها في غيابه، حتى إنها كانت تتجرأ حين يطول غيابه أن تعاتبه، وتطلب منه العودة، وتشكو فقده.
كان يقول لها حين تلحّ عليه بالشكوى من غيابه:
– أنت وضعك أفضل بكثير من أبناء الشهداء.. فهم لا يحلمون بعودة والدهم، وأنا وإن تأخّرتُ أعود إليكِ.
تلك كانت معرفتي بأبي، وظلّت كذلك حتّى تاريخ قدومه إلى لبنان، اي بعد حرب تمّوز 2006 حين استلم ملف إعادة الإعمار، حيث بقي شهرين في لبنان، عاد بعدها إلى ايران، وأمضى أسبوعاً كاملاً فيها، أنهى خلاله كل الإجراءات اللازمة لاصطحابنا معه إلى لبنان. وكان إخوتي قد أنهوا عامهم

الدّراسي، في ذلك الوقت كنت في التاسعة عشرة من عمري حين استقرّ بنا المقام في لبنان، عندها فقط بدأتُ أعرف أبي عن قرب، إذ سمح لي من الايام الأولى بالبقاء إلى جانبه، فقد تسلّمتُ أنا وأخي مهاماً خاصّة في أعمال الهيئة الايرانية. وكان عمل أخي الأكبر إداريّاً، أما أنا فقد كنتُ الأوفر حظّاً، لأن عملي كان ميدانيّاً ، وسمح لي ذلك بمرافقته في جميع أعماله ومشاريعه.

لقد استطعتُ خلال وقت قصير أن أظهر كفاءتي، وظهرت حاجته لي، وتعزّزت ثقته بي، خاصة وإنه لم ينشئ علاقاتٍ وثيقةً مع لبنانيين بعد. حتى بتُّ لا أفارقه إلا نادراً.

لقد كان ذلك مفترقاً حاسماً في حياتي، لأنني كنت قريباً منه، كنت أراه بوضوح شديد. لقد رايتُه في كل أحواله، وتيقنّت خلالها بأنني لم أكن أعرفه، ثم بدأت معرفتي به تتوسع كل يوم، وأعرف الجديد عن شخصيته في كل يوم، وهالني ما عرفته، كنتُ أنظر إليه مبهوراً تسكنني الدهشة والإعجاب، كان يعاملني خلال عملي معه كأي عامل عادي، بل كان يتعبني أكثر من باقي العاملين معه خوفاً من أن أحمل أي ميزة عنهم لكوني ابنه. فيشقّ عليّ في العمل، ويعاملني كربّ عمل حاسم وشديد. أصبحت معرفتي به في هذه الأشهر القليلة أكثر غنىً من تسعةٍ عشر عاماً، وقد رأيتُ صفاتاً لم أكن أخالها فيه. بل ما كنتُ أظنّها تكون في رجلٍ واحدٍ. كنت أقف ذاهلاً أمام الذي أراه منه.

حين بدأنا العمل كانت الأولوية لإعادة تأهيل المدارس، فالعام الدّراسي كان على الأبواب. رأيتُ حينذاك شخصيته الحاسمة والقوية. فإدارة البداية كانت من أصعب التحديات، وكان هناك الكثير مما يعتبر في الأولويات من وجهات نظر مختلفة، في تضاربٍ مربك، وكان يدير هذا بحسم، وبرؤيةٍ واضحةٍ ثابتة، لا يحيد عنها مهما كانت الظروف والضغوط. ومنذ البداية، أصرّ على أن تكون المخصصات المالية تحت إشرافه، وهو وحده الموكل بالصَّرف خوفاً من الهدر والفساد. عرّضه ذلك لكثير من الضغوط الكبيرة، لا مجال هنا لذكر تفاصيلها، لكنني من خلالها عرفتُ كم هو حازمٌ وقوي الشخصية، لا يستطيع أحد مهما بلغت رتبته الاجتماعية، أو السياسية أن يثنيه عن عزمه في مراعاة الأولويات في حاجة الناس، والإمساك بكامل زمام الأمور.

وبعد الانتهاء من ملف إعادة بناء وتأهيل المدارس، بدأ المهندس بجولات على المناطق المتضررة في لبنان من الجنوب إلى البقاع. مناطقُ عديدة متباعدة من أقصى لبنان إلى أقصاه، يتنقل بينها مدوناً جميع المعلومات والإحصاءات، مهتماً بالتفاصيل الصغيرة، مراعياً في حساباته كلّ شيء. وهناك في لقائه مع الناس رأيتُ الحبّ في عينيه، في كلامه، وفي احترامه الشديد، خاصة للفقراء، وعامّة الناس، بل رأيتُ ما هو أكثر من الحبّ، رأيتُ رجلاً لا يريد الانتماء لغير الفقراء. وكم كان يتدفّق حبّاً كلما التقى بعوائل الشهداء.

وحين بدأت المشاريع، واشتدّ الضغط، رأيتُ أكثر من وجه لهذه الشخصية الفذة. وجه الرّجل العملي الحريص على الوقت والمال، والذي يتابع كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالعمل، لا يكتفي بالجلوس خلف المكاتب، بل كان تواجده على الأرض أكثر بكثير من تواجده خلف المكتب. تكشَّفت لي تلك الشخصية من جديد كل يوم ، وكلما ازدادت تكشفاً، كلما ازددتُ انبهاراً وإعجاباً بها.

فهذا الرّجل الدقيق الحازم المنظّم الذي يدير آلاف العمال في عشرات المشاريع والورش، ويتعامل مع أعلى الناس شأناً اجتماعياً وسياسياً، هو نفسه العامل البسيط الذي يلبس لباس العمال، ويعمل معهم بيده، وتحت الشمس. يضحك معهم ويتناول طعامهم.

وكان في جانب قلبه الكبير، قلب آخر هو قلب طفل، لم يصادف طفلاً إلا وقبله، ولاعبه، وسأله عن إسمه، وعن مدرسته، ويختم حديثه معهم بقبلة على الرأس، وقطعاً من الحلوى كان يحملها دائماً معه لهذا الغرض.

وأذهلني كم هو شخص محبوب، حتى من الذي كان يخالفه الراي، أو يزعجه بسبب وقوفه مع الحق بلا مهادنة. فاستقامته لم تبعد الناس عنه عكس ما هو متوقّع.

أعرف متعهداً يكنّ الكثير من الودّ والاحترام لأبي، استغربتُ كثيراً حين قيل لي أنه في بداية تعامله كان قد حسم عليه أبي 200,000$، لأنه استعمل مواداً من نوعيّة أخفّ مما تمّ الاتفاق عليه، وهو مبلغ كبير. وإذا بهذا المتعهد يزداد حبا وتعلقا بأبي.

لا يتهاون أبداً في جودة العمل، حرصاً على الوقت والمال، ويتعامل مع المخالفين بحزم وإن بدا قاسياً. هناك شيئ في شخصيته يجذب الناس

اليه، لا يمكن حتى لأعدائه إلا التأثّر به، فلقد أحبه كلّ من عمل معه، فكيف بي أنا.

في هذه الفترة كانت عواطفي تتجمع، لم يكن حباً فحسب هذا الذي يتجمع في قلبي، كان حبا وانبهارا، دهشةً واعجاباً، واستمرت عواطفي في ازدياد نحوه مع الوقت. وكانت على أشدّها حين طرحت مسألة زواجي. علمت خلالها أنّ أبي كان طوال تلك السنين يتابعنا بدقة عبر والدتي، ويعرف الكثير عنا، وعن عاداتنا، وأهوائنا، وطبائعنا.

ولأنه أحبّ اللبنانيين كثيراً، أراد أن يجعل بيننا وبينهم صلة قربى، ووجد عندي هوى في ذلك، وكان من خلال متابعته القديمة لي عارفاً بذوقي وأفكاري، بدا لي ذلك واضحاً من خلال حديثه معي، فصرت أردد بيني وبين نفسي: إن أبي يعرفني خير المعرفة.

وتم الاتفاق مع والدتي على هذا الأمر، وخلال هذه الفترة رأيت منه الكثير من الودّ والحنان، لقد تأثرت كثيراً بالذي أبداه لي، وبما فعله رغم ضيق وقته، وعلمت بمدى اطلاعه على سريرتي وأفكاري.

في يوم ميلاد خطيبتي لم يستطع الذهاب إلى تناول العشاء في منزل ذويها، فارسل إليها معي هدية لها باسمه، وفي تلك الليلة تحدثنا مطولاً بشأن الكثير من تفاصيل الزواج، وترك لي الخيار كاملاً في شان سكننا والزفاف.

وفي صباح اليوم التالي غادر بيروت إلى حيث كان يتردد في سوريا، وعند وصوله حاولت الإتصال به، وكان الأمر صعباً، وعندما تمكنت من ذلك كانت هناك مشكلة في الجهاز، منعتني من سماع صوته، مما جعلني ارسل له رسالة نصية عبر الهاتف الجوال، والى الآن لم أتلقّ رداً على تلك الرسالة.

لن أتحدث عن الأسى الذي خلفه نبأ استشهاده، ورحيله المفاجئ، لكن ندماً استولى على جوارحي، أشعرني بوجع شديد. ندمٌ على شكل تلك العلاقة بيننا، وتذكرت أنني ما حضنته يوماً، وما قبّلت رأسه، أو يديه، وتمنيت بشدة لو يعود، ولو ليوم واحد، لكي أرتمي في أحضانه وأقبله مراراً.

عند عودتنا إلى ايران لإتمام مراسم الدفن، اخترت أن أنزله بنفسي إلى لحده، نظرت إلى وجهه الذي ظل جميلاً رغم الموت، وضعت يدي تحت رأسه واحتضنته، نظرت إلى يده وتذكرت أنني ما قبلتهما يوماً، فأخذت يده ومسحت بها وجهي والدموع، وقبلتها بحرقة، وتلك كانت القبلة الأولى والأخيرة.

اتركيني فالطريق شاقة

من رواية **معصومة مُرادي***

ولد الشهيد سنة (1962) في مدينة سمنان في كنف أم حنون صبورة، ووالد كادح، وقد أكمل مراحل دراسته في الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية في سمنان.

منذ صغره كان يشارك في الأعمال الفنية، والجهادية، والثقافية، وقد تطوع في صفوف التعبئة بعد بداية الحرب، وأرسل إلى الجنوب، إلى منطقة "كله قندى" وبدأ مهمته الأولى هناك في عمل الإشارة. بعد عودته في المرة الأولى بسبب الإصابة عاد إلى الجنوب مرة أخرى، ثم ذهب بعدها إلى منطقة سردشت، وتشكل هناك في صفوف الحرس الثوري.

كنت أعتبر رغم صغر سني، أن هؤلاء الرجال هم الذين يسلكون الطريق الأقرب إلى الله (سبحانه وتعالى)، كل هذا كان يجذبني إليه، سيرته تلك جعلتني أوافق على طلبه حين تقدم طالباً للزواج، وبعد أن وافقت على زواجه مني، طلبني للتكلم معه، لبّيت دعوته، وكانت والدته جالسة معنا، فصار يحدثني بهدوء وعطف، وقال لي:

– إن الطريق الذي اخترته لنفسي هو طريق صعب وشاق، فيه الكثير من المتاعب، وربما الإصابة، أو الأسر، أو حتى الشهادة، فإن كنت لا تمانعين من أن تعيشي مثل هذه الحياة قربة الى الله تعالى، فجزاك الله خير الجزاء، وإن كنت لا تستطيعين فسيذهب كل منا في طريقه، وأنا أحترم رايك إن رفضتِ.

وافقتُ حينها، لأنني كنت أفكر بالطريقة التي يفكر فيها، وأبلغته أنه هو ما أصبو إليه، كانت أهدافنا مشتركة، وكان الدفاع عن الدين، والبلد، والعرض واجباً، وهو في الأساس يتطلب تضحية من المرأة و الرجل معاً.

في سنة 1982 عقدنا قراننا، وتم الزواج، عاد هو إلى الجبهة بعد ايام معدودة من زواجنا، وقد لحقت به إلى هناك بعد سنة قضيتها بعيداً عنه، ثم بقيت معه لمدة سنتين في مناطق الحرب، وتلك كانت رغبتي، إذ أردت أن أكون معه، قريبة من جبهات القتال، وظلّ هو إلى نهاية الحرب في تلك

* زوجة الشهيد

الجبهة.
في تلك الفترة كانت أوضاعنا المادية صعبةً جداً، خاصة في مدينة سردشت، فهي مدينة قريبة من الجبهة، وبالطبع لم تكن جميع الإمكانات متوفرة هناك، لأنها بعيدة عن الحياة العادية، ولم نكن نستطيع الذهاب والإياب للتسوق، أو لجلب ما نريد، بسبب الأوضاع الأمنية، والطرقات الخطرة في حالة الحرب. فكنا نأكل مما تؤمنه القوات المسلحة لنا، حالنا كحال المجاهدين، هذا إضافة إلى قدرتنا المادية الضعيفة. وأذكر مرة حين كنا في سردشت، اتصل بي قرابة المغرب وقال:
– ان لدينا ضيوفاً على الغداء.
فتفاجأت بطلبه وقلت له:
– ان هذا مستحيل، ماذا سنطعمهم... لم أحضّر شيئاً، وإن حاولت فلا شيء في المنزل..
كان المطبخ خاوياً تقريباً، أو أن ما فيه لا يليق بالضيوف، من أين سنأتي لهم بالطعام اللائق.. كان الوضع محرجاً، وكنت أفضّل تأخير الدعوة إلى وقت تكون فيه الأمور بحالة أفضل، لكنه قال لي:
– لا بأس سنأكل " اشكنه*".
فاعترضت بشدة وانا اقول:
– إن الأمر معيب.. لا نستطيع أن ندعو ضيوفاً على مثل هذا الطعام.
طلب إليّ أن لا اقلق. كان يريد دعوة أصدقائه منذ زمن، لكن وقته لم يكن يسمح بذلك، وهذه المرة كان في الوقت متسع. بعد أن قرأوا دعاء التوسل، وبعض الأدعية والزيارات الخاصة بيوم الثلاثاء، فأراد دعوتهم لأن الفرص بالنسبة اليه لم تكن متوفرة دائماً، استطاع دعوتهم هذه المرة. ساعدني في المطبخ، وقام بنفسة لتحضير السفرة، ووضع وعاءً صغيراً أمام كل شخص، وقطعة خبز يابسة، ثم باشر بسكب الـ "اشكنه" لهم واحداً واحداً، وهو يضحك قائلاً لهم:
– هذا عقابكم، لأنكم رضيتم بالمجيء إلى منزلي.
كان يواجه تلك الصعوبات بالمرح، فهو شخص ضحوك حتى في الأزمات، كأنّ تلك الصعوبات ما كانت تدعو إلا إلى السعادة.
أذكر حين كنا في سردشت، قام ايضاً بدعوة أحد قادة الجبهة، ولكن مع عائلته، وأعطاني الوقت لتحضير الطعام بما لدينا من إمكانات بسيطة،

* الاشكنه: أكلة شعبية بسيطة مكوناتها الأساسية البيض والبطاطا

وكان قد دعاهم إلى الغداء، واستطعت تحضير طعام "القيمة" حينها، ولم يكن لدينا أي شيء إضافي للاهتمام بضيوفنا بعد الغداء كما جرت العادة، وهذا ما أشعرني بالإحراج، ولم يكن يعلم بخلو البيت، فطلب مني أن أقدم لهم الفواكه، فأخبرته بأن ليس لدينا فواكه أبداً، فوجد ملفوفة في المطبخ قال لي:
– قدمي لهم الملفوف.
– كيف؟.. إنها ليست فاكهة. نستخدمها في السلطات.. لا يمكن تقديمها وكأنها فاكهة
– لا عليكِ.. إنها مناسبة
فقام هو بغسلها وتقطيعها بشكل فني وجميل جداً.. وبدت في الوعاء غاية في الروعة، وقدمها إلى الضيوف، فأبدوا إعجابهم، وضحكوا كثيراً. أضفى ذلك جواً من الفرح والسعادة.
لم تكن الحياة سهلة، وكان ينظر إليّ دائماً بعطف شديد، حتى أنه منذ عدة سنوات قال لي في أحد الايام:
– لمَ لا تتركينني وتذهبي لحالك فأنا طريقي شاقة وطويلة.؟
أبكاني حديثه حينها، فطلبت إليه أن لا يعيد على مسمعي مثل هذا الكلام مرة أخرى. فأنا شخصياً كنت لا أعتبر نفسي سوى خادمة له في هذا الطريق الذي هو عندي أقرب الطّرق إلى الله، وإني اشكر الله الذي وهبني كل القوة والإرادة الكافية للثبات في هذا الطريق إلى جانبه.
أنا وحيدة في عائلتي، لذلك كان هو بالنسبة لي كلَّ شيء، الأب، والأخ، والزوج.
بقي في حركته الدائمة، وكأن الثورة ما زالت مستمرة، والحرب لم تضع أوزارها، أو هي قائمة بأشكال شتّى، بقي في نشاطه الفذ، إخلاصه وشغفه بالعطاء والعمل، لم يتغير منذ زمن الحرب الإيرانية، بل أنه كان يزداد يوماً بعد يوم عشقاً وحيوية وقوة، حتى في الزمن الأخير، رغم عمره الذي ناهز ال50 عاماً، ظل كما هو، شخصاً لا يعرف التعب، ويقوم بجميع أعماله بنشاط و قوة وإرادة، وبغاية التنظيم، لم أرَ شخصاً منظماً بقدره، كان يحمل ورقة وقلماً دائماً، ويدوّن كل ما يريد، ويبرمج وقته لكل شيء وبدقة تامة يحاول تنفيذ ما يكتبه.
رغم مشاغله وأعماله الكثيرة لم يكن ينسى عائلته، يقوم بالاتصال بنا دائماً،

ويسأل عن جميع المستجدات، ويخبرنا بقراراته في الكثير من الأمور في حال طلبنا منه ذلك. بشكل عام كان إلى جانبنا دائماً، حتى أنه مرة لم يستطع القدوم ليهنئ ابنتنا فاطمة بعيد ميلادها، أرسل لها رسالة جميلة جداً حينها، ولم يكن قد نسي الموعد أبداً.

في العام 2006 ذهب في مهمته الأخيرة إلى لبنان، ولحقنا به بعد ثلاثة أشهر. وطبعاً لم يكن لديه دوام إداري معين في لبنان، كما لم يكن في ايران، يذهب يوماً بعد يوم إلى الجنوب، أو إلى البقاع لمتابعة المشاريع، لكن بشكل عام كان يعود ليلاً في الساعة الحادية عشرة، أو الثانية عشر، وأحياناً يأتي ثم يعود إلى العمل. لم يكن عمله مقيداً بوقت محدد، بل يعمل في أي وقت وأي زمان. أحياناً في ايام العطلة كان يأخذنا إلى المشاريع التي قد نفذها كي لا يحرمنا من الخروج سوية في بلد لا نعرفه، ليرفّه عنا، وفي الوقت نفسه يتابع الأعمال، ويراقب حسن التنفيذ، وكان يسألنا دائماً عن رأينا، ويطلب بإصرار وجهة نظرنا في الأعمال، وحسن التنفيذ أو الاختيار، وقد يحتاج مثل ذلك الموضوع إلى آراء خبراء، لكنه يفعل ذلك لاحترامه لنا لا أكثر. وكنا نرى كيف يستقبله الناس الذين يعرفونه حين يرونه بالصدفة، كنا نرى شدة تعلقهم به، وهذا الاحترام، والحب الكبير الذي يبدونه، ورأينا حب الناس له بعد استشهاده، كان فوق التوقعات، أظن أن تواضعه واحترامه للآخرين، وأخلاقه والطيبة التي كان يتعامل بها مع كلِّ الناس كانت تعمل كالمغناطيس في جذب الناس إليه، هي من أهم صفاته التي كان يتحلّى بها.

و كنا نرافقه أيضاً إلى أماكن أخرى منذ وصلنا إلى لبنان، حيث بدأ منذ الايام الأولى في المشاركة بالمجالس الدينية، كدعاء كميل، والجلسات القرآنية، وكنا نتعرف إلى البيئة الاجتماعية في لبنان أكثر وأكثر. فهو إلى جانب جميع الأعمال التي كان يقوم بها، كان يشارك بشكل فعّال في المراسم الدينية، كالأدعية، والمجالس، وزيارة عاشوراء، والى ما هنالك. حتى أنه هو من بدأ ببرنامج دعاء الندبة صباح يوم الجمعة بين الأصدقاء الايرانيين في لبنان، فأصبحت الآن موعداً أسبوعياً للجميع.

أحمد الله كثيراً أنني كنت في خدمته طوال فترة زواجنا، فقد كان كمعلم لي، وأنا تلميذته، تزوجته عندما كان عمري 15 سنة، و كان هو في ال 20 و قد تعلمت منه الكثير: الصبر، والشجاعة، والتواضع، والكثير من الصفات الحميدة.

لطالما كنت أراه شخصاً مختلفاً، نقياً، وطاهراً إلى أبعد الحدود، مستقيماً تقياً، قريباً من الشهادة والشهداء، أذكر أنه حين استشهد الشهيد أحمد كاظمي، في الحادثة المشؤومة لسقوط الطائرة، سنة 2005، كان حزيناً جداً، لأن الحرب انتهت وباب الشهادة أصبح بعيداً عنه، وكان خائفا أن لا يطاله كما كان يريده. لكنني أنا كنت أرى فيه وجه الشهيد، أما هو فلم يكف عن طلبها، ويدعو الله في صلاته دائماً ليرزقه أمنيته الغالية، حتى استجاب له أمنيته التي كان يستحقها.

هذه سطور مقتبسة من نص كان قد كتبه سابقاً، بالإضافة إلى بعض الأبيات الشعرية:

" إلهي، لم نستطع أن نكون عبيداً صالحين لك، اسودّت وجوهنا، واستحيينا من النظر إليك، اعتبرنا أنفسنا أصحاب حقوق وطلبات في مقابل كل النعم التي وهبتنا اياها، اللهم إنك رزقتنا العقل، والفطنة، والعين، والأذن، فلو رزقتنا كل ثروات العالم ما كانت لتكون أهم وأغلى من جوارحنا..

ايها الأعزاء، إن أعظم نعمة وثروة هي سلامة الجسم والصحة والعافية، تعالوا لنشكر الله... إن ثورة إمامنا العزيز هي نعمة أنقذتنا من هوة الانحراف، وهدتنا إلى طريق الثورة.

إن حرب الدفاع المقدس رغم مرارتها، إلا أنها ضمنت البلد والشعب والشباب."

زوجة الشهيد: سأقرأ أبيات الشعر التي دونها:

"لقد أتينا كي نموت رجالاً .. نشقى في صعوبات الحرب ونموت أبطالاً

نودّ أن نموت عشاقاً متيمين في سكرات العشق، في المكان الذي لا يعرف سوى العشق

من الصعب أن نموت هنا غرباء ومشتتين بين الأصدقاء

أمهلنا ايها الموت الخانق، فربما نموت شهداء، وأكفاننا مغطسة بدمائنا .. "

ثم اضاف إليه هو كلمة : "إن شاء الله"..

اليوم الفريد

من رواية **محمد حسن***

لن انسى ذلك اليوم أبداً، فهو يوم فريد بالنسبة إليّ، انه اليوم الذي سبق بعدة ايام يوم التقدم لفاطمة بشكل رسمي.

كان عليّ ان ألتقيه لنتكلم في كل شيء، لنصل إلى اتّفاق أوّلي قبل حضور عائلتي في اللقاء الرسمي، وذلك تلافياً لاي إحراج.

في الليلة التي سبقت ذلك اليوم أصابني أرقٌ مريرٌ لشدة قلقي واضطرابي، لقد مضت تلك الليلة بصعوبة بالغة، وكأن فجرها لا يريد البزوغ، وأنا تتقاذفني الضغوط بكل اتّجاه، أفكّر بما سيدور بيننا، عن ماذا سيسألني؟ وبم عليّ أن أجيبه؟ أتقلّب في فراشي وأنا أسترجع تلك الأسئلة، وردود فعله المتوقعة على أجوبتي، ماذا سأقول له إن سألني عن إمكاناتي واستعدادي للزواج، وأنا شابّ لا أملك سيارةً ولا بيتاً ولا اي شيء؟

ذهبت إلى موعدنا وأنا في غاية الارتباك والخوف، أحاول أن أستعيد هدوئي وصلابتي دون جدوى، لقد كان الموقف صعباً دون شك، ولكني آليت على نفسي، واصطنعت هدوء اً غير موجود، وأنا أنتظر لقاءه. لقد زاد من ارتباكي حسن استقباله لي، وتلك الابتسامة الودودة التي علت مُحياه، وصرت أتساءل: هل سيبقى كل ذلك بعد أن يعلم بما لدي؟

لكن ما حدث كان قد شكل صدمةً لي، لقد انقلب وضعي النفسي تمام الانقلاب، ومع الدقائق الأولى لجلوسنا، لقد هدأ روعي بشكل عجيب حتى كدت أنسى ما أنا مقدم عليه، كيف استطاع ذلك، لست أدري، كأنه السحر، لقد أخذني إلى مكان آخر. لحظات وتكسر ذاك الجدار السميك من القلق، وهو يبادر بالحديث إليّ، وبالمزاح اللطيف، وكأنه يعرفني منذ زمن طويل، ليس يعرفني وحسب، بل كأن مودةً قديمةَ العهدِ تربطنا، لقد كان ساحراً وجميلاً إلى حدود لا تصدَّق، أو أنني لم أكن أتوقعها أبداً، هدأت نفسي، واستراحت أعصابي المتوترة.

طوال تلك الجلسة لم يسألني أي سؤالٍ عن أوضاعي المادية أو ما أملك، أو كيف سيكون زواجي من ابنته، وأين سأسكن وإياها؟ لم يتطرق لأي سؤال

* صهر الشهيد

من هذه الأسئلة، بل ذهب بالحديث إلى مكان مختلف تماماً، بعيداً عن ذلك كل البعد، سألني أسئلة أخرى ما كنت أتوقعها، أسئلة جعلتني أستفيض بالحديث سعيداً، سألني عن أفكاري، وتطلعاتي، عن رؤيتي لمستقبلي، عن طموحي، و برامجي، وكيف أفكر، وما الذي أريده للمستقبل، وإلى اين أريد أن أصِل. نصحني وشجعني، وحدثني حديثاً جميلا لم أسمع مثله.
كان يوماً رائعاً بالنسبة لي، رائعاً إلى الحد الذي لا يصدق. وفي ختام تلك الجلسة قال لي:
– سنصبح كالأب والابن، ربما يجمعنا النصيب، وربما لا، لكن في الحالتين سأكون أنا في خدمتك دائماً، وإن احتجت لأي شيء، أو أي عمل، لا تتردد في طلبه مني.
لقد كان يوماً لا يشبه غيره من الأيام، كما أنّ هذا الرجل لا يشبه غيره من الرجال، لقد علمت كم أنا محظوظ في الاقتراب منه، خرجت من عنده ذاهلاً مسحوراً، سحرني بشخصيته الفذة، وحديثه الآسر، وثقافته العالية. عطفه ورقته وطيبة قلبه، وأكثر شيء وضوحاً كان تواضعه. ما كنت أبداً لأتوقع أن يعاملني بهذه الحميمية والألفة التي لا تكون إلاّ بين شخصين تربطهما قرابة أو مودة قديمة جداً.

من رواية **الشيخ علي ضاهر***

كان قادماً في أيّامه الأولى إلى لبنان، وحرب تموز قد وضعت أوزارها حديثا. وكان لقاؤنا الأول شيّقاً، ومدهشًا بالنسبة لي، وموضوع اللقاء هو الحملة الإعلامية للهيئة الإيرانية لإعادة إعمار لبنان، والتي يرأسها هو شخصيًّا، وكان الحديث الطويل يشمل ما تتضمنه الحملة من تصميم الاعلانات بكافة أشكالها، وكيفيّة نشرها على الاراضي اللبنانية، وما إن بدأ هذا الرجل حديثه حتى أخذني إليه، لم يمضِ الكثير من الوقت لأشعر أنّني أمام شخصيّة استثنائيّةٍ بكلّ المقاييس، بدءاً من ابتسامته وأسلوبه في الحديث، وتوصيل الفكرة، مرورًا بطريقته في الاصغاء والفهم السريع لما تريد ان تقول، الى أفكاره الخلاّقة المبدعة.
لا أظنُّ هذه الصفحات تكفي لأتحدَّث عن كلّ ما يجول في ذهني الآن عن هذه الشخصية المميّزة، لأن له الكثير عندي، ولكنّني من بستانه الشاسع سأقطف زهرة أو زهرتين، من أهم ما لفتني فيه، وانطبع في ذاكرتي، بل حفر حفرًا حتى بات عصيًّا على النسيان في ذاكرتي التي تعاني الازدحام.
ومن تلك المشاهد المحفورة كانت واحدة من تلك الجولات التي قمنا بها معا، وهي رحلة الى الوادي العريق بالملاحم "وادي الحجير".
كان المهندس حسام يعرف الكثير عن حرب تموز، لقد أدهشني حجم اطلاعه على تلك الحرب، لكنه كان يسألني عن المزيد، عن التفاصيل، عن عمليات المقاومة بالأسماء والارقام والكيفية، يريدها رواية كاملة لا نقص فيها، ثم يصغي بأكثر مما يصغي أي سامع، كطفل يستمع الى امه وهي تروي له قصته المفضلة، وأرى حديثي يرتسم على ملامحه كمرآة عاكسة في تفاعل ملامحه مع الحديث، كنا قد وصلنا الى وادي الحجير حين انهيت حديثي عن ملحمة الجهاد في هذا الوادي، والتي سميت بمجزرة الدبابات.
وقف هناك في الوادي، مرّة ينظر إلى الطريق الضيق الالزامي الذي سلكته الدبابات، وتارة أخرى يرتفع ببصره إلى التلّتين المشرفتين على يمين الوادي ويساره، حيث كمن المجاهدون، توقّف هناك وكأنّه يستعيد مشاهد

* مسؤول وحدة الأنشطة الإعلامية في حزب الله

رآها بعيون جوارحه من تلك المعركة، ثم تدفق حبًّا وإبداعًا، بل تفجّر كما يتفجّر نبع في الربيع بعد شتاءٍ زاخرٍ بالمطر.

تحدّث عمّا يجول في ذهنه المزدحم، عن مشاريع لسياحة المقاومة هناك، وكأنّه يراها أمامه مشاريع تامّة التنفيذ، في وضوح رؤية، وقوة إبداع خلّاقة، يشرح وهو يشير بأصابعه أين سيكون المعرض الدائم، وأجزاءه المنتشرة في المكان، في معرض مشهديّ مركّب، ومجسّمات دقيقة التفاصيل عن تلك المعارك البطوليّة. جعلني بقدرته الفذّة أراها بكلّ جمال وروعة التصميم الذي تحدّث عنه، حتّى إذا دخل السائح إلى هناك عاش أحداثها وكأنّ المعركة كانت أمامه بالصوت والصورة والمشاعر، علمتُ حقًّا حينها أنه رجلٌ مبدعٌ هذا المهندس الشغوف بالمقاومة والجهاد. بل كان يريد فوق ذلك أن يصنع بين التلّتين عربات نقل كهربائيةٍ أنيقةٍ وآمنةٍ تنقل السّياح ليكونوا هُم خط التّواصل بين المجاهدين في كلتا التلّتين.

لم يكن هناك حدود لقدرات هذا الرجل وحماسته، لم تقف أمامه سوى الامكانات المادية، لقد استعصى عليه التمويل بحساب الأولويّات. فترك لنا ذلك الحلم وديعة مغلّفة بحبّه الذي لا يضاهى.

أماكن قدسيّة

من رواية **الشيخ علي ضاهر***

ممّا لفتني وبقيَ في ذاكرتي محفورًا عن المهندس الحاج حسام خوش نويس هو علاقته بمليتا، تلك البقعة التي كان يعدها سيّدة الأماكن، ورحم المقاومة، الحاضنة الأولى لانطلاقة المقاومة ضد الاحتلال، يعرف الكثير عن مجاهديها، معرفة عاشق محبّ حتّى الهيام، معرفة سبقت حضوره إليها حين اصطحبتُه إلى هناك.

حين صعد إليها للمرّة الأولى كانت الطريق صعبة وعرة، وهو الذي صمّم الطريق إليها، وموقف السيارات، لكنّ قلبه ظلَّ يتلفت إلى الطريق الذي كان يسلكه المجاهدون أفرادًا راجلين، مثقلين بالمؤونة والعتاد تحت الخطر، ليسلك ذات الدروب بنفسه مثلهم، وهو مثقلٌ بتلك المشاعر المتدفّقة، ويتتبّع تلك الخطوات إلى حيث رابطوا، لن أبالغ إن قلت أنّني ما رأيت قبله ولا بعده تأثّرًا مثل تأثّره، ولا سمعت حديثًا مفعمًا بالمشاعر الصّادقة مثل حديثه، حتّى إذا وصل إلى حيث كانت مكامنهم، تسبقه دقّات قلبه الخافق، توقّفَ وصمَتَ على مداخلها، وقد بدا عليه التهيّب والرّهبة، وهو ينقل قدميه بخشوع.

لم يدخلها بغير وضوء، وهناك صلى ركعتين كما يصلّي في أيّ مسجد ومكان عبادة، وهناك صمّم مكانًا للوضوء، وصمّم للصلاة مصلّى عن اليمن وآخر عن الشمال، واحد للنساء، وآخر للرجال. أراد للزائرين أن يعلموا أنهم يدخلون الى أماكن عبادة، قدّستها أنفاس المجاهدين وأجسادهم، وهي حتى الآن قائمة في مليتا؛ أطاعه أكثر زوّارها، وحذوا حذوه، يصلّون مستشعرين قدسيّة المكان، وإن لم تستطع جوارحهم الارتقاء إلى الحالة التي كانت تصل إليها جوارح المهندس الشهيد، فأنا لم أرَ من استطاع الارتقاء الى تلك الحالة الوجدانية من المشاعر المثقلة بالعشق والشغف مثله، والتي ستبقى ماثلة أمام ناظريّ كلما توضأت وصلّيت في ذلك المصلى الذي بناه هناك، في بادرة فريدة لهذا المكان.

* مسؤول وحدة الأنشطة الإعلامية في حزب الله

اعتقال مبارك

من رواية **السيد محمود قعيق***

كنت أزيل الردم عن المدرسة، بعد انتهاء حرب تموز بأيام، وإذا بثلاث سيارات رباعية الدفع تتوقف على مقربة مني، وترجل أفرادها، كانوا يتبعون رجلا بدا أنه شخص مهم، سلم علي ثم نظر حوله فرأى الصورة المعلقة لولدي الشهيد محمود خلف المدفعيّة، فسأل مرافقيه عن تلك الصورة، فقالوا له أنها صورة مقاوم استشهد خلال عدوان تموز في عيتا، ثم أشاروا إليّ قائلين انني والد هذا الشهيد، فما كان منه إلا أن اقترب مني وأخذ يدي، ظننت أنه يريد إعادة السلام، لكنني صعقت وأنا أراه ينحني على يدي ويقبلها، سحبت يدي وأنا غارق بارتباكي وخجلي من فعل هذا الرجل، وأنا أردد في ارتباك:

– عفواً.. عفواً أنا لا أقبل..

لأول مرة في حياتي أتعرض لهذا الموقف، أو أرى مثل هذا المشهد، لم أكن أعرف هويته بعد، كان يتحدث العربية بصعوبة، فهمت منها كلمات عن البركات والشرف العظيم، وقام الرجال المرافقون بالترجمة والتعريف به: إنه المهندس حسام خوش نويس ممثل الجمهورية الاسلامية ورئيس الهيئة الايرانية لإعادة الاعمار.

توطدت علاقتنا منذ ذلك الوقت، حتى أصبح الحاج حسام شخصاً من العائلة، وأقرب إنسان إلى قلبي، من خلال مواساته لي، يفرح لفرحي، ويحزن لحزني كأب وأخ.

في أحد الايام كنت أقرأ الصحيفة عند الساعة الحادية عشرة ليلاً، وإذا بالهاتف يرن، وكنت قد قلت لزوجتي أن لا تقول لأحد أنني موجود، ولكنني سمعتها تسلّم على المتصل وتخبره بأنني موجود، قمت مستغرباً تصرف زوجتي لأعرف من المتصل فقالوا لي:

– نحن نكلمك من السفارة الايرانية

– خيراً إن شاء الله

ثم سمعت صوت المهندس حسام يكلمني قائلا:

* والد الشهيد محمود قعيق (من شهداء تموز 2006)، ومدير مدرسة الشهيد محمود قعيق

– نريد أن نراك..
وأعطى الهاتف لأحد الشباب اللبنانيين ليترجم لي ما يقوله، فسألني الشاب إن كنت أستطيع السهر وانهم يريدون زيارتي الآن فقلت:
– أهلاً وسهلاً.
– اعطنا العنوان لو سمحت
– سأعطيكم العنوان ولكن سأنتظركم بسيارتي بجانب مستشفى السان تيريز، لأنه إن تُهتم في الطريق وأردتم أن تسألوا أحداً، لن تجدوا من يدلكم، فالوقت متأخر، سأكون هناك بانتظاركم، ولون سيارتي فضي.
في تلك الفترة كنت قد قرأت عن قصة ضابط في الأمن العام وهو عميل، مهمته رصد بيوت أهالي الشهداء، فبعد أن اعطيتهم العنوان بدأ ضميري يؤنبني وبدأ القلق يتسرب إلى نفسي، خفت أن أكون وقعت وأوقعتهم في كمين يؤدي الى هلاكنا، لكن في الوقت ذاته لم يكن من اللائق عدم الذهاب. وضعت السلاح في السيارة وذهبت الى المستشفى، وهناك ركنت السيارة، وأضأت إشاراتها، ونزلت أتمشى وأدخن، وبعد حوالي ثلث ساعة وصل موكب مؤلف من ثلاث سيارات رباعية الدفع، ذات لون واحد، ما إن رأيتهم حتى لوحت بيدي، وركبت في سيارتي، لأسير أمامهم، وأدلهم على الطريق، وما إن أدرت محرك السيارة حتى سمعت أحدهم يناديني، نظرت فإذا بالمهندس حسام يغادر الموكب ويتجه إليّ، نزلت من السيارة لأرى ماذا يريد، فبادرني بقوله:
– نزلت لأركب معك في السيارة
نظرت اليه مبتسماً وهو يجلس قربي، وأنا أقول لنفسي: لكم هو لائق في كل تصرفاته هذا الرجل.
وصلنا الى مثلث كنت قد أنشأته وبنيت فيه نُصباً تذكارياً، وعلقت عليه صورة الشهيد محمود، وزرعت تحت النصب مجموعة من الورود، توقفت سيارات الوفد أمام النصب، فأوقفت سيارتي، فإذا بالجميع يترجل من السيارات، واقتربوا من النصب، قرأوا سورة الفاتحة وتباركوا من الورد المزروع. وهناك قلت لهم أني سآخذهم إلى منزلي الذي أسكنه في الوقت الحالي، فقالوا:
– هل كان يسكن هناك الشهيد محمود.
– لا.. كان يسكن في المنزل الثاني.
– إذا نذهب الى هناك

صعدنا الى المنزل الثاني كما طلبوا، واردت أن أدخلهم الى الصالون، لأقوم بضيافتهم، لكنهم أصروا أن يدخلوا الى غرفة الشهيد، فقلت لزوجتي افتحي لهم الغرفة، وأنا بصراحة لم أكن أعرف تاريخ اليوم بالتقويم الهجري، وان هذا اليوم هو الخامس عشر من شعبان، ولادة إمامنا الحجة (عجل الله فرجه الشريف). دخلوا إلى الغرفة كأنهم يدخلون الى مكان مقدس، فتحوا خزانة الشهيد فوجدوا ثيابه، وأغراضه، وصوره، تباركوا بها، ثم فتح كلٌّ واحد منهم كتاب مفاتيح الجنان، وبدأوا يقرؤون دعاء كميل بصوت حنون يتخلله البكاء، وهم الذين لا يجيدون العربية، وظلوا على هذه الحال من الساعة الثانية عشر والربع حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، جلسنا بعد ذلك في الصالون، وبادرني المهندس حسام قائلاً:
– رفقاء الشهيد معهم هدية.
كانت الهدية تحت عنوان: "غيض من فيض"، وهي لوحة تمثل جزءاً من العمليات التي شارك فيها الشهيد محمود. فنظرت إليهم وإذا هم كبار في السن ولحاهم بيضاء، فاستغربت وضحكت، وقلت في نفسي كيف يكونون رفاق الشهيد وهو في الثلاثين من العمر، وهم كبار في السن،؟ وعرفني المهندس حسام على من معه، واحداً بعد واحد، أدركت بعدها بأنهم ضباط في الحرس الثوري، وأنهم هم من مدربي ولدي محمود، ليكون من أهم ضباط المدفعية، حيث كان يلقب بصائد الميركافا.
زارني مرات عديدة في منزلي، في مناسبات لم أعد اذكرها، زارني مرة مع وفد لبناني (شباب التعبئة)، وأحضر لي هدية وهي عبارة عن دعاء منقوش على قطعة جلد، وموضوع في إطار، وضعتها في الصالون، كان يسرق هذه الزيارات سرقة من جدول أعماله المزدحم، وهذا ما يدل على مدى حبه لآثار الشهداء والتبرّك بها. في زيارة له الى منزلي، أرادوا أن يشربوا الشاي فقط ويعايدونني في مناسبة معينة نسيتها الآن، وكانوا على عجلة من أمرهم لأن الشهيد حسام لديه لقاء عمل في السفارة، كنت أعلم صعوبة تأجيل مثل تلك المواعيد الرسمية، لكنني رفضت أن يغادروا قبل تناول طعام العشاء عندي، وحجزت مفاتيح السيارة وقلت له:
– اعتبر نفسك معتقلاً عندي، فلتأت السفارة لتفاوضني لأفك أسرك.
ضحك كثيراً وقال:
– اعتقال مبارك
وقام من فوره واتصل بالسفارة، واعتذر عن موعده، وطلب تأجيله.

من رواية **الدكتور أحمد كحيل***

كان تمويل المشاريع في بلدية النبطية من بلدية طهران، ولكن الإشراف والتنفيذ كان للهيئة الايرانية، ولرئيسها المهندس حسام. لم يكن إشرافاً، لم يكن عملاً مجرداً، كان وجعاً عند طبيب، مشكلات، وأسئلة، وهموماً بين يدي حكيم، خراباً بين يدي فنان ذو خبرة وذوق رفيع.

كانت النبطية في قلبه كما كل الجنوب، وضع مشاكل النبطية في قلبه، عالجها بخفقات قلبه المتعاطف الرؤوف. كل هذا شجعنا لطلب ما لم يكن محسوباً، تعبيد طريق النبطية بنت جبيل على سبيل المثال، كان هناك مساحة 500 م غير مدرجة ضمن برنامج التعبيد لهذه الطريق، طلبنا أن تعبّد هذه المساحة، فالطريق كان يبدأ من سريّة الدرك جانب المهنية، طلبنا اليه تعبيد هذه المساحة، وما ان اطلع على جدوى الاقتراح والحاجة إليه حتى وافق فوراً، بالرغم من أن هذه المساحة لم تكن مدرجة ضمن الطريق، وهذا واحدٌ من أمثلة كثيرة.

موقف النقل العام، مثال كبير، كنا بحاجة ماسة إلى هكذا موقف، فسيارات النقل تنتشر في السوق بطريقة عشوائية، مسببة زحمة سير خانقة، بخبرته وذكائه، والتعاطف الذي يعتمل في قلبه، جعل تلك التجربة مثالية، وهو الآن من أفضل مواقف الركاب في لبنان.

وموضوع حي السراي، أقدم حي في بلدة النبطية، أول بيوت في النبطية أنشئت فيه، حيث انطلقت النبطية من هذا الحي، وهو حي المستضعفين، الذي شَهِدَ الكثير من المواجهات، ومنه انطلق المقاومون، حيٌّ له معانٍ متعددة، وهذا ما جعل المهندس حسام يوليه اهتماماً خاصاً، وتم تأهيل جامعه، الذي تخرّج منه شهداء وعلماء، شيد له سقفاً وقناطر، وتم تبليطه بطريقة فيها الكثير من الفن والذوق الرفيع، ليصبح هذا الحي من أجمل أحياء النبطية، حيث تنطلق منه المسيرات العاشورائية، وتقام في فسحاته موائد الإطعام على حب أهل البيت عليهم السلام في عاشوراء، وفي شهر رمضان، ومكان لاجتماع الناس في الليالي .

* رئيس بلدية النبطية، وتولى كعضو في البلدية سابقاً متابعة أعمال الهيئة الإيرانية ضمن نطاق البلدية

أكثر تلك الأمثلة وضوحاً هي حديقة السَّيدة المعصومة عليها السلام ، فلهذه الحديقة شجون، ولها موقعها الخاص في قلب المهندس حسام، أحدث تحولاً كبيراً، ونتيجة ملموسة، فالناس بحاجة إلى الترفيه، أصبحت هي المتنفس الحقيقي والوحيد لهم، حيث يوجد مساحة خضراء جميلة، وأماكن متعددة للعائلات، وللأطفال مرتع للَّهو والفرح. مساحتها حوالي 8 دنم، كانت موصولة في قلبه، صنعها من ماء حبه، مجبولة بتعاطفه مع فقراء المدينة ومستضعفيها الذين ضاقت دنياهم عن أماكن الترفيه، صنعها في ذهنه وخياله بكل هذا الفن الراقي والذوق الرفيع، وربطها بإيمانه وحبه قبل أن تصل الى الارض، كانت تقر الاسماء في بداية كل مشروع، تقترح الأسماء وتناقش، ثم تثبت، وللإسم دلالة تتعلق بالمكان وتاريخه، بالناس، بالمحيط، عند البدء بالعمل على الحديقة، فكَّرنا بالاسم كعادتنا، ووضعنا خيارات عديدة، ومقترحات لتقديمها في إحدى الجلسات، حين وصل الى موضوع الحديقة، قلت:

– بالنسبة الى أسم الحديقة هناك عدد من..

قال المهندس حسام بلا تردد:

– حديقة السيدة المعصومة عليها السلام .

كان الاسم قد صنع في قلبه مع الحديقة وتفاصيلها، نطق بالاسم وكأنه موجود، ومنذ البداية، اسم تلك السيدة كان يعني الكثير بالنسبة للمهندس حسام، نطقه بحب وشغف كما تنطق أجمل الاسماء، كانت التسمية بالنسبة لنا غريبة بعض الشيء، ثم اعتدنا على ذلك، كأن لا إسم يصلح لهذه الحديقة سواه، وبقيت الحديقة باسمها هذا تشكل هاجساً لدى المهندس حسام، تأخر إنجازها لظروف عديدة، وكانت هي أول الاسئلة في كل اتصال:

– أين أصبحت حديقة المعصومة عليها السلام ؟

وسط كل هذا الانشغال، وازدحام المشاريع، يعاتب، ويحرص من أجل اتمامها، ثم يقول:

– رجاء اهتموا بحديقة بنت الإمام عليه السلام .

كان حريصاً جداً على إنجازها بأسرع وقت ممكن، يلح ويتصل ويسأل:

– لماذا لم ينجز هذا العمل حتى الآن... يجب أن تنجز.. يجب أن توضع الآرمة.

يريد أن يوضع الاسم على مدخلها، يريد أن يثبت هذا الاسم ويطمئن

عليه، ليؤكد بأنها حديقة السيدة المعصومة عليها السلام . كانت هناك أمور غير مكتملة للأسف، وحين اكتملت، وأردنا افتتاح الحديقة، جلسنا نبكي غيابه الموجع، ونحن ننظر إليها باسمها الذي يزين مدخلها، وقد اكتملت كما أراد.

افتتحنا الحديقة بعد استشهاد المهندس حسام، ورأيناه في كل مكان فيها، حيث برزت خبرته الهندسية حتى في نوع البلاط وشكله، رأيناه حيث كان يعطي رايه بنوعية الحجر، وشكل القناطر، في الممرات الضيقة لصالح المساحات الخضراء. لتكون الحديقة هي واسمها رمزاً لحضوره الذي لا يغيب.

صلاة ووعد

من رواية **المهندس حسن المقداد***

عند قدوم المهندس حسام كنت مسؤول البلديات والعمل الانمائي في جبل لبنان والشمال، ومسؤولاً في جهاد البناء، لذلك كنت من أوائل الذين التقوا بالمهندس حسام، ولفترة طويلة نشأت خلالها علاقة شخصية بيننا. ولقد أحب المهندس حسام هذه المنطقة كثيراً.

كنت أرافقه عند تجواله في تلك المنطقة، وفي إحدى تلك الجولات، مررنا بطريق قرية "جنة" وصولا الى قرية "قرقريا". كانت الطريق صعبة وضيقة، ومشرفة على وادٍ سحيق، طريقاً ترابية شُقت يدوياً بالمعاول، وكنا في سيارة صغيرة، لكنها رباعية الدفع، قادرة على سلوك الطرق الجبلية، وكانت تشتد ضيقاً في بعض مسالكها، وهناك توقفنا حين شاهدنا أمامنا حمارا يقف في منتصف الطريق بلا مبالاة، كانت الدواب هي الوسيلة الوحيدة لأهل هذه البلدة النائية، لأن من الخطر استعمال السيارة في مثل هذا الطريق الضيق المشرف على الوادي السحيق، لم يتحرك الحمار حين اقتربنا منه، اطلقنا نفير السيارة وانتظرنا، ولم ينفعنا لا الانتظار ولا بوق السيارة العالي، بقي الحمار واقفاً وكأن الامر لا يعنيه، كانت السيارة بحجم الطريق، وابوابها على طرف الوادي، وملاصقة للحافة في الجهة الأخرى، رفض المهندس أن ينزل أحدنا حرصاً علينا وقال وهو يفتح الباب:

– لا ينزل أحد ... أنا أنزل.

نزل بحذر حتى إذا وصل الى الحمار، أمسك بطرف الحبل، وجره ليبعده، فإذا بالحمار يجفل من هذه الحركة وكأنها اعتداء شخصي، ركض امام المهندس، لكن المهندس بقي ممسكاً بالحبل، خوفاً على الحمار من أن تنزلق قدمه ويسقط في الوادي خلال محاولته الهرب، سار معه مسافة 60م تقريباً وهو يحاول تهدئته، حتى نجح في ذلك، ثم جره الى فسحة في جانب الطريق.

ضحكنا كثيراً ونحن نتابع تقدمنا، وضحك معنا ضحكته المميزة، تلك الضحكة المشبعة بالبراءة والطهر، ضحكة كأنها تخرج من القلب دون أن

* مسؤول البلديات والعمل الإنمائي في منطقة جبل لبنان والشمال (المنطقة الخامسة) في حزب الله والمكلّف التنسيق مع الهيئة الإيرانية فيما يخص المشاريع الواقعة ضمن نطاق المنطقة

تمر بأي مكان قبل ذلك، سكت بعد ذلك وهو ينظر الى الطريق، هز رأسه وبدا على ملامحه الأسف الشديد وهو يقول:

– هذه الطريق مش معقوله.

ثم وجدنا متسعاً تحت دالية عنب امتدت الى الطريق، وكان وقت الصلاة قد حان، والمهندس حسام لا يؤخر صلاته ولا لدقائق، ترجلنا من السيارة وتوجهنا الى فسحة الدار الذي خرجت منه تلك الدالية، لنصلي هناك، وإذا بالمهندس حسام يقول:

– أنا اصلي هون على الطريق.. تحت العريشي هون.

أصر على الصلاة هناك فوق التراب، أراد أن يقول شيئاً بتلك الصلاة على الطريق، أن تكون صلاته خطوة لرفع مشقاتها عن سالكيها.

من الأشجار مباشرة جمعت لنا صاحبة المنزل تفاحاً وعنباً، غسلها من عين ماء قريبة، أخذ واحدة وجلس يقضمها وهو ينظر سارحاً ببصره لجمال الطبيعة في ذلك المكان، ثم التفت إليّ وقال:

– سجل، أن هذا الطريق مسؤولية حسام، وإن كانت غير موجودة في الاتفاقات، أو تمويلها صعباً، لكن سأنفذها، وان كانت اخر عمل في حياتي. وكانت فعلاً من آخر أعماله في لبنان.

كرمى لك ستكون

من رواية **المهندس حسن المقداد***

في قرية صغيرة جداً، اسمها "حجولا"، في مكان اسمه "حصن عار"، سرنا مسافة 6 كم في مكان عال جداً، يرتفع عن سطح البحر 1300متر تقريباً، وكانت الطريق شاقة ووعرة، ترابية، لا يمكن السير عليها الا بشق الأنفس، رأينا في القرية عدداً من المنازل التي هجرها أصحابها لصعوبة الحياة في ذلك المكان، وهناك ما يشبه الطريق، يصل الى منزلين حولهما غنم، بدا واضحاً أن أصحاب المنزلين رعاة للماشية، وهناك التقينا بطفلين صغيرين على طرف الطريق، وقد بدت على ثيابهما علامات الفقر والاستضعاف، وكعادته المهندس حسام في علاقته الخاصة بالصغار توقف بالقرب منهما وترجل من السيارة، توجه إليهما باسماً ملاعباً، وأخذ يتحدث إليهما حديث الصغار للصغار، وهو الذي يجيد ذلك تماماً، ينفتح إليه الصغار في حديث جميل دون شعور بالخوف، أو بحاجز من العمر:

– انت شو اسمك؟.

– اسمي حسين.

– الله.. الله شو حلو هالإسم.

يهز رأسه معبراً عن إعجابه الشديد بالإسم، ثم احتضنه وقبله:

– أنت جميل واسمك جميل.. أنا كرمى لك يا حسين سأصلح هذه الطريق..

يتلفظ باسم حسين ويكرره بكثير من التأثر، أن يسمع باسم حسين في هذا الجبل البعيد المنسي والمهجور، ترك فيه أثراً بالغاً. حين نزلنا من هناك كان ما زال تأثره واضحاً، وفي داخل السيارة، وعلى صوت ندبية: يا أبا صالح، نسي المهندس حسام أرقامه، وجلس يبكي الحسين، بكى كثيراً وهو يردد يا حسين.. ياحسين.

وبتمويل خاص تم تنفيذ هذه الطريق باسم المهندس حسام.

* مسؤول البلديات والعمل الإنمائي في منطقة جبل لبنان والشمال (المنطقة الخامسة) في حزب الله للتنسيق مع الهيئة الإيرانية فيما يخص المشاريع الواقعة ضمن نطاق المنطقة

اليوم الاول

من رواية **السيد مصطفى عساف***

تعرفنا على المهندس حسام عندما جاءت الهيئة الايرانية إلى لبنان، حين أتى إلى بعلبك في مشروع لتحسين المساجد والطرقات، وبما أننا نعمل في مجال تعهدات الطرقات، اتصلوا بنا واجتمعنا بهم، وبدأنا بالتعاون معهم لتنفيذ الطرقات. ومن ثم تعرفنا إلى الشهيد حسام، مدير الهيئة الذي سبقته شهرته إلينا.

وبدا لي أن المهندس حسام شخص مميز منذ اليوم الأول، وأن هذه الشخصية الفريدة تتكشف عن الجديد والمختلف يوما بعد يوم، كنت أجد نفسي أمام شخص غير عادي، شخص لا يمكنك الا أن تحبه، وتزداد له حباً في كل يوم، لأنك ترى فيه ما لا تراه عادة في الرجال، سيما المسؤولين منهم. لا أدري كيف يستطيع جمع كل تلك الصفات في شخصية واحدة، فهو في تواضعه يسلك مسلك أبسط الناس، وفي ذكائه، وحس المسؤولية لديه، يفوق كل من عرفتهم من المسؤولين. وبدا لي أنني أمام شخص فريد منذ يوم الافتتاح.

أول ما بدأنا العمل افتتحنا طريق بعلبك التوفيقية، وكان معنا وزير الأشغال محمد الصفدي، والشيخ محمد يزبك، صعدنا إلى الجرافة، وجلسنا فيها، وأصرّ المهندس حسام أن يقودها بنفسه، وصعد معنا أديب دحروج، وممثل عن مجلس الانماء والاعمار. كان المهندس حسام يتقد نشاطاً وحيوية، وكان عنده حماسة، ورغبة في العمل أكثر منا مجتمعين، ما رأيته منه في ذلك اليوم أكد لي بما لا يقبل الشك أنني أمام شخص لا يمكنك إلا أن تحبه، وأن تنضوي تحت لوائه طوعاً غير كاره.

هذا الشخص الجاد في عمله، القوي والحاسم ضد الأخطاء والعيوب، هو نفسه الرجل المؤمن الخاشع الذي لا يغادر الذكر لسانه، ففي كل فترة صمت كنت أسمعه يهمس بالاستغفار والتسبيح، كنت أذهب معه أحيانا من بيروت إلى الجنوب، ينطلق في وقت مبكر جداً، ومنذ انطلاقة السيارة من بيروت وحتى وصولنا إلى حدود صيدا، كان يستمع إلى الأدعية عبر

* مقاول – عمل مع الهيئة الإيرانية في تنفيذ مشاريع مختلفة

تلفونه، ويرددها طوال الوقت، ولا يتكلم بشيء مطلقاً، وعندما نصل إلى صيدا تنتهي فترة تعبده، ويبدأ حينها بالكلام عن العمل.
عادة كان يصوم كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع، وإن تأخر عن صلاة الصبح يوماً عاقب نفسه بالصوم، كان يهتم بموضوع الأكل للشباب والعاملين وهو صائم، يقرأ القرآن في أي فرصة تتاح له، خاشع، شديد التدين، ما أسهل أن ترى دموعه وهو غارق في دعائه.

شاي إيراني

من رواية **السيدة آمال عيسى***

حين بدأت العمل مع الهيئة الايرانية، بصفتي مديرة لمكتب الهيئة في بلدة معروب الجنوبيّة، لم أكن قد التقيت بعد برئيس الهيئة المهندس الحاج حسام خوش نويس، كنت أسمع عنه فقط، وكان اسمه يتردد في جنبات المكتب على لسان المهندسين والمتعهدين.
في خضم العمل المتزاحم، والنشاط الدؤوب للهيئة الايرانية بعد حرب تموز، كان هو الاسم الأكثر تداولاً باعتباره رئيس الهيئة، فتشكلت في ذهني صورة له بدأت تتضح ملامحها بالتدريج، حتى استقرت على صورة لمدير حازم شديد العبوس، سريع التوتر، عصبي المزاج، محاطٍ بالهيبة، فهو رئيس لهذا الكم الكبير جداً من العمل والعاملين.
تلك هي الصورة التي انطبعت في ذهني، يعززها ما أسمعه من حديث عن دقته التي يراقب بها سير العمل، وخوف العاملين معه من الإهمال أو التسويف، يراعون الدقة في التنفيذ، وسمعت أنه قد يهدم العمل المنجز ان لم يكن كما يريد.
كنت أنتظر بكثير من الرهبة لقاء هذا الرجل الصارم الجاد الذي يحسب له الجميع ألف حساب، وأنا التي تعاملت سابقاً مع الكثير من المدراء، وكانوا جميعاً حازمين، عابسي الوجوه، ويجعلون بينهم وبين بقية العاملين حاجزاً أو حاجباً. وهذا طبعهم ربما لضرورة تفرضها مقتضيات الادارة، والذين كانوا جميعاً أقل شأنا منه، فكيف به هو رئيس الهيئة الايرانية، وممثل الجمهورية في هذا العمل الضخم، والعدد الهائل من العاملين والمتعاملين.
لن انسى ذلك اليوم الذي دخل فيه إلى مكتبي، كان قد سبقت دخوله حركة غير عاديه، وارتبك المحيط كله، كان الخوف والرهبة يتسرّبان إليّ من كل مكان، لا سيما أنه لقائي الأول به، لقد جفَّ فمي وأنا أستمع الى كلمات الترحيب به، والتي تصلني وهي تقترب من الباب.
وقفت مذهولة وأنا انظر اليه، وإلى تلك الابتسامة المغمَّسة بأدب متواضع، والتي يلاقي بها الجميع، الجميع بلا استثناء، وهو يتمتم بعبارات وتحيّات

* موظفة في الهيئة الإيرانية

تعبر عن أدبه وتواضعه، وأنا أقف هناك مذهولة، أشاهد ما يجري أمامي، ويكاد صوتي يخرج وأنا احدث نفسي وأردد:

– مستحيل، هذا هو.. مستحيل!!!

لم يكن هناك مجال للشك.، هذا هو الحاج حسام خوش نويس، وتداعت تلك الصورة القديمة، وتكسرت أجزاؤها، ثم اختفت تماما مع الوقت.

كان المكتب يومها يتدفق بالحياة المصاحبة لحضوره، بل كان يتدفق بالفرح المنبعث من ابتسامته، تلك الابتسامة المغمَّسة بالأدب المتواضع، وحضوره القوي وهو يشارك الجميع بالحديث، ويَطْمئنُّ عن أحوالهم، وعن أحوال عائلاتهم، بلغته العربية الركيكة، أمام كل هذا كنت قد هدأت تماماً بعد الانفعال الذي سبق قدومه.

وفي ذلك اليوم كان أول حوار بيني وبينه حين قلت له:

– شو بتشرب حضرتك؟

ابتسم تلك الابتسامة المغمسة بالأدب وقال:

– حضرتك عندكن شاي؟

ثم ضحك وقال: شاي إيراني مش لبناني. (أي خفيف)

حين يحدث الرجال لا تفارق عيناه وجه محدثه، وحين يحدث النساء لا تمكث نظراته، ينظر الى زاوية أخرى، أو إلى الارض، لشدة أدبه وإيمانه. ما رأيت ولا أظنني سوف أرى شخصية كشخصية المهندس حسام.

لقد اشعرني بأبوته منذ الأيام الأولى للعمل معه، أبوة مصحوبة بالتواضع والأدب الرفيع. في زيارتي لمكتب بيروت قام هو بإحضار كوب من الشاي وهو يقول: أنت ضيفتنا اليوم في مكتب بيروت، أنت تقومين بإكرامي في مكتبك.. إكرامك واجب عليَّ في مكتبي.

وسألني عن أخباري، وعن عائلتي فرداً فرداً، وكأنه قريب لهم، ثم سألني عن العاملين، وقد خص بالذكر الحاجة عاملة التنظيفات في المكتب، يسأل عن أحوالها بالتفصيل، عن صحتها، وإن كانت لديها أية مشكلة، وهل هي راضية عن العمل؟، هل تشكو من شيء؟.

كان قد طلب مني ترجمة بعض العروض الى اللغة الإنكليزيّة، وكنت أستطيع متابعة شاشة الكومبيوتر من مكاني حيث أجلس، لكنه ترك مكتبه وأجلسني مكانه لتسهيل عملي.

كنت أردد في نفسي، من أي طينة صنع هذا الرجل، وكيف يمكن للإنسان أن يكون هكذا؟

من رواية **المهندس حسنين رعد***

حين جلسنا معه للمرة الأولى، شعرنا اننا نعرف هذا الرجل منذ زمن، لقد شعرنا بارتياح عجيب. من عادة اللقاءات الأولى أن تكثر فيها المجاملات، ويرتبك الأشخاص عادة ويحذرون، لعدم معرفتهم بطبيعة الشخص الذي يجالسونه، وخوفا من خطأ هنا وهناك، خاصة حين تكون الشخصية موفدة من قبل السيد القائد، وعلى مستوى كبير من الأهمية. لكننا مع المهندس حسام لم نكن نشعر بذلك، فقد كان منذ اللقاء الاول حلو الحديث، سهل المعشر، من خلال طريقة كلامه السلسلة، تلك الطريقة التي كانت تدفعنا للكلام دون ان نشعر بحرج. ومع الوقت اصبحت العلاقة معه في العمل، وفي خارج العمل ايضاً، علاقة وديّة صافية، فيها الكثير من العطاء الذي كان يتميز به، فهو يعطي من قلبه، ويحب المخلصين، لأنه هو الأكثر اخلاصاً.

أكثر ما كان يشد انتباهي ويجعلني أتعلق به هو تدينه، لقد كان الشهيد حسام يتمتع بروحانية عالية وعظيمة جداً، علاقته بالله (عزّ وجل) تختلف اختلافاً كبيراً عن كل علاقة أعرفها، فهو في كل عمل يقوم به يجعله تقرباً خالصاً لوجه الله، وكأن عمره كله عبادة، حتى أنفاسه، فهو يقيس كل عمل يقوم به بميزان غضب الله ورضاه، لذلك كان يفرح بالتعب، لا يبالي بالإرهاق الجسدي، فهو في ميدان العمل يعمل أكثر من الجميع، مخلصاً، عفيفاً، يخاف الظلم، كريماً، خدوماً، محباً، وفي كل ذلك يتقرب إلى الله ويرجو رضاه، ويشتد اقتراباً في العبادة. كنت اقف مذهولا أمام طريقته في العبادة، فهو يعبد الله كما يعبد العاصي التائب، كنت اسمعه وهو يرجو ويتوسل ويبكي.

أما الصلاة، فكان لها مقامها العظيم عنده، حين يحل موعدها يتوقف عن العمل، مهما كان مهماً، وفي أي مكان يكون، يذهب فوراً لأدائها، كان يصلي بصوت حنون جداً، وبخشوع لم أشاهد مثله، وبآيات وأدعية مطولة، وبصوت مرتفع ملؤه الخشوع والرجاء، لا يبالي بمن حوله، إذا صلى انقطع عن الدنيا.

* إستشاري ومدير كسارة ومجابل البقاع التابعة للهيئة الإيرانية– مدير شركة البقاع للإنشاءات والتعهدات حالياً

كان يهتم بزمن الصلاة ومكانها: في الزمن لا يتأخر عن وقت الصلاة، ولا دقيقة واحده، وتحت كل الظروف، بل كان يستعد لها قبل وقتها، وأما المكان فيحاول ما استطاع البحث عن الاماكن الافضل للقربى، كان يرغب دائماً بأدائها في الأماكن المباركة، كان قد تعرَّف على المقامات من خلال دليل السائح الديني، فهو يعرف مقامات في بعلبك لم نكن نحن أهل البقاع نعرفها، مثل مقام السيدة صفية عليها السلام على سبيل المثال.

يحب كثيراً صلاة الجماعة، ويسعى إليها سعياً حثيثاً، مشجعاً، وجامعاً للناس، وبعد فريضة الصلاة، ونوافلها، يقرأ القرآن الكريم، وتعلقه بالقرآن ملفت، فهو معه اينما كان، وكنت أراه يستغل أي وقت متوفر ليقرأ في كتاب الله، ويحثنا على قراءته ولو بعدد قليل من الآيات.

علاقته بأهل البيت لم تكن عادية، فهو أكثر رجل عرفته ذاكراً لهم، يربط كلَّ شيء بهم، وكأنهم لا يغيبون عن باله أبداً، رأيت بنفسي كيف كان أثناء وجوده في مقام الإمام الرضا عليه السلام ، يجلس قرب مرقده الشريف، ويبكي بكاء العاشق المحب. عنده عشق لامحدود لأهل البيت عليهم السلام . ولكربلاء على وجه الخصوص مكانة كبيرة جدا في قلبه ووجدانه، كأن تفكير وروح المهندس حسام متعلقان هناك في كربلاء. يذهب كل سنة لزيارة العراق وللحج وإلى إيران.. وتنهمر دموعه سخية تجري على خديه كلما ذُكروا على مسامعه...

كان الشهيد حسام يرهق نفسه كثيراً في العمل، كثيرا ما كان يقضي الليل بطوله في العمل، في بعض الأيام يتأخر عن أداء فريضة الصبح في وقتها، اذ يغلبه النعاس وشدة التعب، فيتأسف لذلك أسفاً مريراً، ويمارس عقاباً على نفسه بأن يصوم ذلك اليوم، دون ان يُشعر أحداً انه صائم، فكان إذا قدّم له أحدهم ضيافة لا يرفضها، كي لا يحرجه، يضعها في جيبه، لتكون اللقمة التي يفطر عليها، ليزيد من ثواب الشخص الذي استضافه.

من رواية **المهندس حسن حجازي***

في حفل خطابي لسماحة الأمين العام لحزب الله، وفي مناسبة الإفراج عن المجاهد الأسير سامي شهاب، الذي كان في سجن مصر زمن حسني مبارك، وصل المجاهد المحرر الى منصة الاحتفال، وألقى التحية على الحاضرين جميعاً، وكان بين الحضور عدد كبير من الشخصيات الهامة، من وزراء ونواب وأصحاب شأن، ومنهم المهندس حسام، وكان عددهم يقارب الثلاثين شخصية، نزل الأسير المحرر ليسلم عليهم واحداً بعد واحد، كان يقبلهم ويقبلونه في جو من البهجة والسرور، وحين وصل الى المهندس حسام مدَّ يده وأراد احتضانه، فإذا بالمهندس حسام ينحني على تلك اليد، ويقبلها أمام الجميع، هو وحده بين كل تلك الحشود فعل ذلك وسط دهشتهم واستغرابهم.

في بعض الجولات الميدانية كان يدلني على منازل الشهداء في كل قرية أو مكان نذهب إليه، ويقول لي متفاخراً سعيداً: جلسنا مع أم الشهيد فلان وحدثتني عن كذا وكذا، ومن دون سبب عملي كان يطلب زيارتهم حتى ولو لم يكن هناك عمل معهم له علاقة بالهيئة، بالرغم من وقته المزدحم بالعمل والمواعيد.

كان حريصاً على زيارة مواقع المجاهدين، يسأل عن تفاصيل العمليات الجهادية التي تمت، ويصغي بانتباه شديد، حريصاً على فهمها، وفهم كل تفصيل فيها، وعلى وجهه ترى هذا الأثر الخاص الذي لا تراه على غيره. وينظر إلى آثار الشهداء بالكثير من التقديس والاحترام، واهتمامه الخاص بعائلاتهم، اهتمامٌ غريبٌ يقارب اهتمام الشخص بعائلته، يتواصل معهم ويزورهم من الكبير إلى الصغير، ينحني ويقبل أياديهم، وينسى عندهم كل ما له من شأن ومقام، ويتحول بين أيديهم إلى خادم محب مطيع.

لفلسطين باب مفتوح على مصراعيه باتجاه القلب، كيف لا وهي ساحة الجهاد الأولى، اختار أكثر المناطق قربا من فلسطين لينشئ فيه معلماً سياحياً، وأراد له أن يكون شعبياً أيضاً، فاختار مارون الرأس، وغيرها، مثل

* مسؤول وحدة المهن الحرة في حزب الله – كان عضواً في اللجنة المركزية التي شكّلت من قبل حزب الله وحركة أمل لمواكبة أعمال الهيئة الإيرانية

بوابة فاطمة، اهتمامه بحديقة مارون الراس كان كبيراً جداً، لأنها منطقة مرتفعة ومطلة تماماً على الحدود، حتى يأتي الناس إليها ويُشعروا الصهاينة بالهزيمة والذل، وأن شعب المقاومة يتحداهم، ولا يهابهم، فالشهيد حسام يحب أن يتحداهم، ويحب أن يُشعرهم بالضعف والجبن. عندما يزور مارون الراس لمتابعة العمل والإشراف، كان يقف في مكان مرتفع ويطيل النظر في الجنود الإسرائيليين، ليريهم أنهم لا يستطيعون القيام بشيء.

منهجية العمل كانت تعتمد على إصلاح الطرقات الأكثر تضرراً من جراء الحرب، والتي تشهد حركة سير كبيرة، ففي البداية لم يكن مقررا إصلاح طريق الناقورة، وطريق مرجعيون، لأنهما لم تكونا متضررتين كثيراً، والمنطقة محاذية للحدود، أي لا تشهد حركة مرور كثيفة، لكن المهندس حسام أصر على ضرورة إصلاح هذه الطرق، لأنها كانت أمام نظر العدو، يريد لها أن تكون سالكة، سهلة، وجميلة، ويرى العدو ذلك، وكان يباشر العمل على إصلاح هذه الطرق بنفسه اكثر من سواها، يتواجد هناك كثيراً، ويعمل بحماس، وعينه على فلسطين، يحب العمل أمام عين العدو، ليُظهر له أن شعب المقاومة مستمر في الحياة، وقادر على صنع المستحيل.

مصداقيّة إيران

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

في مارون الراس كان لقاؤنا الأوّل، فوق القمة المطلة على حدود فلسطين المحتلة، حيث تقرر إنشاء حديقة، وقد كلفت من قبل الإخوة أن أكون مهندس هذه الحديقة بعد عامين من حرب تموز.

لقائي بالمهندس حسام كان في عطلة نهاية الأسبوع، ولم يكن قد مضى سوى شهرين أو ثلاثة أشهر على وضع حجر الأساس للحديقة من قبل رئيس بلدية طهران، ولم تكن ايران قد بدأت بالعمل، وتلك الفترة كانت في رأيه طويلة جداً، وإن هذا الانتظار كان خطأ يجب تلافيه. كان اعتراضه على ذلك التأخير واضحاً، وامتعاضه منه بادياً، مما أثار استغرابي، فهو وقت مقبول جداً لمعرفتي بالالتزامات، وخاصة الرسمية منها، وقت لا يُعترض عليه عادة عندنا، ولا يُعترض عادة حتى على الأطول منه، فهو وقت تبرره التحضيرات والمعاملات. ففي الكثير من المشاريع هنا، وحتى المستعجل منها يظل هناك وقتٌ مشروعٌ بين وضع حجر الاساس والبدء بالتنفيذ. لكن للمهندس رأي مختلف، فالأمر عنده يتعلق بالجمهورية الإسلامية ومصداقيتها، فهي جمهورية تمثل الإسلام في صدقه ووفائه، كان يعترض على هذا التأخير بانفعال. يقول أنه قد يكون هذا مقبولاً هنا في لبنان، أو في دول عديدة، ولكنه غير مقبول مع الجمهورية الإسلامية في ايران.

كان يرى أن سمعة ايران على المحك، لا يريد أن يظن الناس أنها مثل بقية الدول، تقوم بالإعلان عن العمل أمام وسائل الاعلام، حيث تصنع من أجله ضجة كبيرة، ثم تهمله بعد ذلك، ليصبح الظهور الإعلامي هو المطلوب، وكأن الهدف هو الترويج والدعاية الإعلامية فقط. أما هو فلا يريد ذلك، يريد للناس ان تعرف دون تأخير أن ايران تختلف عن بقية الدول، فدولة الإسلام هذه لا يقول رجالها ما لا يفعلون.

لهذه الأسباب كان يستعجلني للبدء بالتنفيذ وعلى الفور، جال بعينيه في المكان، ثم نظر إليّ وقال بحسم:

– متى تبدأ؟

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

فسألته إن كان هناك دراسة، أو مخطط، أو مصور، أو حتى خرائط للمشروع، فأجاب بالنفي، ثم أخذ بيدي وقمنا في جولة على المشروع، كان يتحرك مستطلعا بحماس بين الصخور والحجارة، يقف على أماكن مرتفعة ويجول ببصره على كل المكان.

ثم جلسنا نتحدث حول ما يمكن أن تكون عليه الحديقة، وكيف يمكننا تقسيمها إلى أجزاء، شعرت حينها بقدرته الذهنية العالية، وخبرته اللافتة كمهندس، وبعد هذا الحديث قام وهو يقول:

– علينا ان نبدأ سريعاً في العمل.

فقلت وقد دبّ فيّ الحماس بتأثيرٍ منه:

– يمكننا أن نبدأ يوم الأربعاء المقبل.. بعد ثلاثة ايام.

وقال باستنكار:

– لماذا بعد ثلاثة ايام؟

– لأنني مرتبط بعمل في بيروت.

فاستنكر معترضاً:

– لا يا مهندس.

فقلت مستغرباً:

– اليوم هو الأحد.. يومان فقط ليست مشكلة.. آتي يوم الثلاثاء من بيروت ونبدأ صباح الأربعاء.

– لا هو مشكل.. يومين لماذا؟

وتحدث عن سمعة الجمهورية، وعن الناس الذين شاهدوا السيارة، وقال:

– رآنا الناس ولا يرون عمل؟

ولم أستطع الا التجاوب أمام حماسته واندفاعه، كان عليّ أن أرتب أموري على عجل، وأؤجّل مايمكن تأجيله، وقلت متعاطفاً:

– لا عليك، سوف نبدأ العمل يوم الثلاثاء.. سأرسل الآليات والجرّافات ونبدأ بالجرف في المشروع إن شاء الله.

وفيما أنا في بيروت يوم الاثنين، فاجأني وهو يتصل بي قائلاً:

– هل بدأتم بالعمل؟

فقلت له مستغرباً:

– يا مهندس لقد اتفقنا الثلاثاء!

– مهندس، لازم شغل، أنا مستعجل.. لازم شغل.. إيران مش جيد توضع

حجر أساس فقط.. لازم شغل.

كان يعلم أن موعدنا غدا"، وكأنه لم يستطع، أو أرادني أن أعرف مدى استعجاله. فابتسمت وقلت متعاطفاً:

– لا عليك اليوم ننزل الآليات وغدا نبدأ باكراً.

هكذا كان لقائي الأول به، وعرفت كم هو مندفع للعمل منذ اليوم الأول، يريد أن يحافظ على مصداقية إيران، ويثبت أنها إن قالت شيئاً فعلته، دون تسويف أو إبطاء، خصوصاً أن اللبنانيين قد اعتادوا على غير ذلك.

ليست سوى حشرة

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

في اللقاء الثاني تكشفت لي شخصية جديدة مختلفة للمهندس حسام، صورة مختلفة عن صورة اللقاء الأول، لقد تبدد تماماً ما كان فيها من امتعاض، بسبب التأخير.

بدا فرحاً وهو يزور الموقع، عندما رأى أنّ العمل قد بدأ، زال كل توتره وهو يتحرك بحماس وسعادة، حماسه هذا جعل النشاط يدبّ في كل الموقع.

يتحرك مع العاملين، يوجه هذا، ويشجع ذاك، ويمد يده بالمشاركة بابتسامةٍ فريدة، وخلقٍ رفيع، يشرف على تفاصيل العمل، ويتحرك بنفسه، كان يمشي أمام الجرافة، وفوق الحجارة في حماس متدفق، وأنا أنظر مبهوراً مِنْ هذا الذي أراه فيه! خائفاً عليه من الأذى. أركض خلفه صارخاً: "يا مهندس انتبه من الجرافة".

فيتابع عمله في توجيهنا وهو يحرك يده قائلاً:

– ما مشكل، مهندس، ما مشكل.

حركته ونشاطه جعل العمل في الموقع يتضاعف، وتزداد وتيرته.

وبدأت الأجواء حولنا تتوتر نتيجة هذا النشاط الذي أثار ريبة القوات الدولية وقوات الاحتلال، ووصلت إلى الموقع دبابات قوات الطوارئ وآليّاتها، وحلّقت طائرات الاستطلاع الإسرائيليّة، تبعها طائرة مروحية، وتأهب الجنود الإسرائيليون على الحدود المقابلة القريبة من موقع الحديقة، واستنفر الجيش الإسرائيلي وجابوا بجيبات "الهامر" على طول الطريق الممتدّ أمام موقع الحديقة، حتى شعرنا أننا داخل معسكر يتأهب للحرب.

شعر الجميع بالخوف، لكنّ المهندس حسام كان يكمل عمله وكأنه لا يرى كل هذا الذي يحدث حوله! يريد أن يفتح الخرائط ويرى التصاميم، وأنا أقول له: "أنظر حولنا يا مهندس، ألا ترى هذا الاستنفار الكبير؟". يقول وهو يفتح الخرائط: "ما مشكل.. ما مشكل."

لم يبدُ عليه أي خوف، لم يتأثر، كأن كل هذا الذي يحدث لا يعنيه، ولا حتى الطائرة المروحية التي كانت تحوم فوق رؤوسنا، وكأن تلك الطائرة لم تكن

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

سوى حشرة صغيرة!
أنظرُ إليه ونحن نجلس على الحجارة، وهو يدقّق في الخرائط، أريد أن أرى أيّ أثر للخوف أو الانزعاج، أو قليلاً من الارتباك. أحدّق في عينيه وفي ملامح وجهه، فلا أرى شيئاً سوى الاهتمام بما في يديه، فأقول في نفسي: حقا" إنّها ليست سوى ذبابة بالنسبة إليه، هذه الطائرة المروحية!

هو العشق حتماً

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

منذ الايام الأولى للعمل في حديقة مارون الرأس وأنا أرى هذا الشيء اللافت والغريب يظهر جلياً في حركته، في ملامح وجهه، في عينيه وفي حديثه، شيء لا يمكن تفسيره إلا بالعشق، مشاعره تلك هي مشاعر عاشق، عشق لا يحاول المهندس حسام إخفائه، وكأنه أكبر من أن يدارى، ليس عشقا عادياً، بل هو عشق مجبول بالقداسة، عشق مقدس لهذه الأرض، وهذا المكان العالي، المشرف على المناطق المحتلة، مكان المقاومة، له قدسيّة المقاومة في عقل المهندس حسام ووجدانه، مقاومة لا يكف عن التحدث عنها في كل مناسبة. كأنه يرى رجالها يجوبون المكان، في الموقع، وحوله، وبين الصخور.
يمسح الموقع بعيني عاشق، يقف فوق الأماكن العالية، ينظر إلى الجهة المقابلة، إلى المناطق المحتلة ويقول لي:
– انظر يا مهندس.
ينظر إلى المستعمرات القريبة بأسى سرعان ما تغلبه شعلة من التحدي فيقول:
– علينا أن نفعل في المقابل.
وأنا أتساءل ماذا يعني؟ ما الذي يريده بالضبط؟
فيقول والإصرار واضح في لكنته العربية الثقيلة:
– هناك يوجد شجر، هنا ما في شجر.. أنا أريد أخضر.. كثير أخضر.. هناك أخضر، هنا يجب أن يكون أخضر.. الناس تشوف أخضر.. كل حجر وصخر ما في.. شيلو كلو!
كان يحزّ في نفسه أن يرى هذه الأرض جرداء، يريد أن يرفع عنها الإهمال، يريد أن يعطيها ما تستحقه، يعز عليه أن تكون جرداء كلها حجارة، ولا يوجد فيها شجر، هذا الموقع المتقدم للمقاومة في مارون الراس، يريد له أن يكون جنة، هذا المكان العزيز على قلبه. يردد من أجله مراراً:
– أرض المقاومة.. تستحق أرض المقاومة.
هذا الرجل لم يكن يقوم بعمله كما يقوم به سواه، لم يكن كوظيفة يؤدّيها،

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

كل ما يصدر عنه يشي بغير ذلك، فهو لم يكن يأتي إلى الحديقة دون أفكار، في كل مرة يأتيها حاملاً فكرة جديدة، في تدفق متواصل لم أستطع مجاراته فيها، لست أنا وحدي الذي لم أستطع مجاراة أفكاره، كأن تلك الأفكار أكبر من الإمكانات، أكبر من الوقت ومن المكان، كانت أفكاره تلك بحجم عشقه وحبه.

لقد تخطى الإمكانات المرصودة، وتجاوز كثيراً المساحة المتفق عليها عند بدء العمل، فالمساحة المقررة للحديقة هي 12000 متر مربع، ومعه تجاوزت هذا الرقم بكثير حتى قاربت ال 50000 متر مربع. فالمساحة الأولية ما كانت لتتسع لأفكاره وحبّه، فهو كلما زار الحديقة نبتت في ذهنه الخلاق أفكارٌ جديدةٌ. وتبقى الحديقة في رأيه تستحق أكثر. ولم يلتزم بما هو في الخرائط والرسوم والدراسات، وكان يبدع جديداً في كل مرة.

كان الخروج عن الخرائط يتكرّر، وبعضه كان كبيراً، حتى جاءني مرّة بما لم يخطر على بال، وقال بحماس:

– نريد بركة مياه كبيرة.

وبدأ يشرح لي مقصده بحماسه المتدفق، يريد بركة كبيرة تتجمع فيها مياه الأمطار، يريد أن يستثمر كل مياه الأمطار المتساقطة على الحديقة، يريد لتلك المياه ان تتجه جميعها إلى البركة، نظر إليّ وأنا أستمع إليه مدهوشاً بأفكاره هذه، فقال:

– أنظر إلى هناك.

نظرت إلى حيث أشار في الأراضي المحتلة، رأيت بركة ماء كبيرة، فتابع يقول:

– عندهم بركة ماء، عندنا لازم بركة ماء.. في كل مستعمرة بركة مياه مطر. هناك أخضر، هنا لازم أخضر. هناك طرقات، هنا طرقات.

يحدثني باندفاع وأنا أنحدر وإياه إلى أسفل الحديقة حيث حدّد موقع البركة وقال:

– هنا لازم انت تعمل بركة.. كل مياه شتاء هنا.

وافقته وأنا في ذهول وسعادة وقلت:

– حسناً، ولكن كيف؟ تجميع كل المياه ليس أمراً سهلاً.

– أعمل نهر من فوق إلى تحت.

وهذا ما فعلناه، أنشأنا مجرى نهر مع روافده بطول 80 متراً، ولم ننسَ

الأشجار، فقد زرعنا على طول ضفافه أشجار الصفصاف، وأصبح يسمع في كل الحديقة خرير المياه في الشتاء مثل نهر كبير.

مع أفكار المهندس حسام المدفوعة من هذا الحب الكبير، بدأ المشروع يتطوّر ثم يكبر. وبدأ الناس بالتوافد إلى الحديقة، وخصوصاً في ايام الآحاد وأيام العطل، بالرغم من العوائق، فالحديقة كانت ما تزال قيد التنفيذ، وقبل أن تنتهي بكثير.

عندما يأتي ويرى الناس تبدو عليه سعادة غامرة، ويطالبنا بتسهيل أمورهم، وتلبية حاجاتهم، والإسراع في العمل، كأنهم زواره وضيوفه، كأنهم جاءوا إلى منزله هو. يهتمّ براحتهم وسعادتهم كما يهتم أي مضياف كريم، يجلس معهم بتواضع فريد لم ارَ مثله، يأكل معهم طعامهم، ويشرب الشاي، يسألهم عن الحديقة، ويصغي إلى حديثهم عنها بشغف، ويطلب منهم اقتراحات، وأفكاراً لتطويرها وكيف تكون أجمل.

يريد بكل جوارحه أن تكون جنة، فهي عنده تستحق ذلك، عاشق هو يردد مراراً: "ارض المقاومة تستحق".

ربط الأرض بالسماء

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

منذ أن بدأنا العمل في حديقة مارون الرأس، وهو يتردد إلى موقعها بشكل دوري، يتابع كل شاردة وواردة، ويدقق بكلِّ التفاصيل، بذهن منفتح، وأفكار خلاقة، ونشاط عجيب، يسأل ويتابع حتى عبر الهاتف، يتبادل الأفكار والتصورات معي حول ما يمكن ان يفعله للحديقة، حتى بدا لي أنه لا ينام ويقضي الليل بطوله ينتج الأفكار والتصورات لهذه الحديقة.

بعد أن أنجزنا "المصوَّر" الأول للحديقة، تحدثنا عن تفاصيله. وقد كانت الحديقة في تلك المرحلة عبارة عن 12000 متر مربع، وكان التصور هو أن نقوم بشق كورنيش، وأن نضع في الحديقة بعض الخيم العائلية، لجذب العائلات اليها، بحيث يكون لكل عائلة خيمة مستقلة، فيها ما تحتاجه من مقاعد، وطاولة، وموقد للشواء، ومغسلة، أيضاً، وأراد أن يكون سقفها مغطى بعريشة خضراء.

كنا ملزمين بتقسيم الخيم إلى قسمين، قسم أعلى من القسم الآخر، في تقسيم تفرضه طبيعة الأرض هناك، وكان هذا ما اتفقنا عليه ونحن في موقع الحديقة. فإذا به يتصل بي في اليوم التالي ويطلب إليّ أن ألقاه في الحديقة، فقلت له:

– أنا في الحديقة يا مهندس.

فقال على عجل:

– أنا آت الآن.

فقلت في نفسي: إن هذا الرجل عجيب، ينام وهو يفكر في الحديقة. لقد اتفقنا وأنا أنفّذ ما اتفقنا عليه، فما هو جديده هذه المرة؟ هذا الرجل لا يكفّ عن انتاج الأفكار الجديدة. وانتظرته بشوقٍ لأسمع هذا الجديد.

عندما وصل، طرح عليّ فكرة للخيم العائلية بحماس بالغ:

– نحن نعمل فوق (واشار إلى المكان الاوسع) 19 خيمة، على عدد أحرف بسم الله الرحمن الرحيم.. وفي الاسفل 14 خيمة، على عدد المعصومين مع الرّسول والسيدة الزهراء عليهم السلام.

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

ابتسم وهو ينظر إلى الأفق، ثم قال:
– 19 و 14 مجموع 33 يوم عدد ايام حرب تموز.
وقفت مذهولاً وأنا أتابع حديثه، وكأنه شاهد دهشتي فقال:
– القرآن والرّسول وأهل بيته طريقنا إلى الله أليس كذلك؟ وإذا جمعناهم يكون ناتج انتصار.. السيد حسن نصر الله قال: "حرب تموز نصر إلهي".
لقد أذهلتني فكرته وأذهلني حديثه، وصرت أحدّث نفسي عن روحانية هذا الرجل، لو لم يكن روحانياً ما أنتج مثل هذه الأفكار، لقد جمع الإبداع والفن مع سمو الروح.
نحن معشر المهندسين نفكر بالتصميم، بجمالياته وبالإمكانات العملية، اين نضع الخيم، وأين نزرع الشجر، وهو يفكر كيف يربط الحديقة بالله والمقاومة والعقيدة ؟!
حين اقترحت عليه أن نبني مسجداً لزوار الحديقة، قال من فوره بلا إبطاء:
– نعم، نعم. مسجد قبة القدس.
تبادر إلى ذهنه ان يبني القبة ككبة الصخرة في المسجد الأقصى، إنه يرى فلسطين من هنا، ويرى القدس، أيضاً، ثم قال:
– نحتاج موقع جيد.
أراد أن يكون موقع المسجد في وسط الحديقة، وفي مكان مشرف، فهو يريد للزائر أينما تواجد في الحديقة أن يرى المسجد، فهو يقول:
– لازم كل الناس يشوف مسجد القدس.
وطلب ان تتوزع الطرقات ليكون المسجد هو الرابط لكل الحديقة. فقلت في سري:
"ان هذا الرجل القادم من إيران لم يأتِ لإعمار الأرض فقط، بل جاء لإعمار الروح ايضاً، جاء ليربط الارض بالسماء"..

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

لم يكتف المهندس حسام بإعادة إعمار ما دمّرته الحرب، بل تعدى ذلك بكثير، كأنه كان يريد أن يشكر هذه الأرض على كل ما قدمته من عطايا، أن يشكرها بطريقته الخاصة على صمودها واحتضانها للمقاومة، أراد أن يشاركها في المقاومة، من أجل ذلك كان يتجه بأفكاره إلى المناطق القريبة من الحدود، وينشئ فيها الحدائق، لتكون كالأوسمة على صدر هذه الارض التي أحبها، أراد أن يحول الجمال إلى فعل مقاوم، جمال يشارك في إذلال إسرائيل، وينشر ثقافة المقاومة. من أجل ذلك صار يبحث عن أقرب الأماكن المشرفة على الشرط الحدودي ليقيم عليها ما أسماه بالسياحة المقاومة.
كلما شاهد مكاناً مشرفاً قريباً من الحدود توقف عنده وفكر فيه، وكلما كان المكان أقرب إلى فلسطين، كلما زاده حماسا ورغبة في إنشاء حديقة عليه.
وهذا ما حدث، فقد حدّد موقعاً لإنشاء حديقة في خراج قرية "عيترون"، موقعاً من أكثر المواقع تقدماً، وأقربها للشريط الحدودي، وأكثر تلك المواقع خطراً، أراد أن ينشئ حديقة لا تبعد سوى خمسين مترا عن القوات الاسرائيلية المرابطة على الحدود، وهي في موقع "الباط"، الذي هو آخر نقطة انسحب منها الجيش الإسرائيلي.
عندما كنت أذهب إلى هناك، كنت أمشي ما يقارب 4 أو 5 كلم سيراً على الأقدام بين الأحراج والشجر حتى أصل اليها، هو لم يشعر بالتعب، حماسه وسعادته كانت أكبر من التعب.
كنت أقول ونحن في غمرة تعبنا:
– إن هذا الموقع خطير، ولا يصلح لأن يكون حديقة، لقد أصبحت سيارتي معروفة كلما تمر من بنت جبيل إلى عيترون يطلع ال "م ك" والمروحي والدبابات تستنفر على الحدود.. والله أنا حاسس عندما يكون هناك حرب أول ضربة رح تطلع فيي.
فيجيبني ضاحكاً:
– ما مشكل مهندس أنت شهيد إن شاء الله.

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

– طيب أنا شهيد هكذا من دون مقاومة.

– كيف من دون مقاومة؟ هذه حديقة ايران، أليس هذا عمل مقاوم، أهم من أن تحمل بارودة؟. وعندما تضربك إسرائيل فإنها تريد أن تخوّف كل هؤلاء الناس الذين يأتون إلى الحديقة، وانت لا تخاف، فما مشكلة، أنت شهيد.

جرفنا حوالي "20 دونماً" وزرعنا شجراً وأنشأنا خزان مياه. ثم توقفنا بعد ذلك لصعوبة الوصول، ووعورة الطريق، ولخطورة الموقع، ومكانه العسكري الحساس، الذي جعله مقصداً لقوات الطوارئ، حتى أننا لو عبَّدنا الطريق إليه ما كانت لتبقى طويلاً، لأن آليات الطوارئ المجنزرة لن تبقي الطريق صالحة. إضافة للدواعي الأمنية التي لا يمكن استثناؤها.

تعددت الاسباب التي منعت المهندس حسام من تحقيق رغبته في إنشاء سياحة مقاومة على تلك التخوم، لكنه جمَّل المكان ما استطاع ، بجرف الصخور، وبالشجر، والماء، وتركها في عهدة بلدية عيترون، التي ما تزال تهتم بالشجر، وأنشأت شبكة مياه لري تلك الأشجار التي زرعها المهندس حسام.

أطفال يلعبون مقاومة

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

كنا إذا فقدناه وسمعنا صوت الصغار لا نتردد بالذهاب نحو جهة الصوت، وكنا نجده بالفعل، يتحدث إليهم ويلاطفهم، وكنا نجده أحيانا يلعب معهم كرة القدم.

أراد أن يكون لهم نصيب كبير في الحديقة، فصنع لهم مكاناً واسعاً فيه كل ما يريدون من أراجيح ومنزلقات وسواها.

ثم جاءني في أحد الأيام طارحا فكرة جديدة، وحدثني عنها بحماس قائلا:

– نريد ملعباً جديداً للأطفال.

– لديهم ملعب جيد!

– لا يا مهندس.. ملعب جهادي.

واندفع يشرح لي وجهة نظره:

– لازم يكون عندهم ثقافة مقاومة.. لعب أولاد صغار هو مقاومة واسرائيل.. مثل عسكر وحراميه.. اسرائيلي هو حرامي.. الأطفال يلعبوا ويهجموا على موقع اسرائيلي.

كان يريدني أن أبني موقعاً عسكرياً مع خنادق ودشم وممرات تحت الارض؟!

خلال التنفيذ كان المهندس حسام في غاية الحماس، وهو يدلنا أين سيبني الموقع، ودشمه، وأنفاقه، واختار لذلك أمكنة تقابل شريط الحدود، ثم اختار للعلم الإسرائيلي موقعاً فريداً، ظل يقترب به حتى واجه تماماً قوات الاحتلال المتمركزة في الجانب المقابل. بحيث يرى الإسرائيليون ما سيحدث خلال اللعب، وحين سألته لماذا؟ قال:

– لازم جندي اسرائيلي يشوف أطفال يلعبون مقاومة.. اقتحام موقع.. يسقط العلم. جندي اسرائيلي ينهزم نفسياً.. يرى بعينه.. هذه حرب نفسيّة يا مهندس.

ثم تابع وهو يقول بإصرار:

– لازم كل أطفال تجي تقوص ع إسرائيلي.

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

وتم ذلك بإتقان جيد، بنينا الموقع بما يشابه الحقيقة تماماً، وجهزنا بالإضافة إلى بناء الموقع كل المستلزمات المطلوبة، وكأنه موقع حقيقي مجهز بكل ما يحتاجه في محاكاة لحرب حقيقية، من لباس، وألعاب على شكل عتاد عسكري، حتى الصوتيات وضعت بشكل مدروس.

وكان المهندس حسام هو أول من نزل إلى الموقع بعد افتتاحه، ولبس لباساً عسكرياً خاصاً، وحين انطلقت اللعبة، وسمعت القوات الاسرائيلية لأول مرة الأصوات الصادرة من صوتيات الملعب من غارات، وأصوات طائرات، وقصف، واطلاق نار، اعتقدوا ان هناك شيئاً حقيقياً يحدث على الحدود، مما جعلهم يستنفرون كل قواتهم، وقد تجمهروا ليشاهدوا سقوط العلم الإسرائيلي من مرتفع الموقع.

كان هذا الملعب من أكثر الأعمال التي جذبت الناس إلى الحديقة، كانوا يأتون بكثافة مع أطفالهم الذين استهواهم كثيرا هذا الملعب، ولم يقتصر الأمر على الصغار، بل استهوى الكبار الذين ازدحم بهم المكان كمتفرجين، يشجعون الصغار ويشتعلون حماساً.

كان تجاوب الناس مع الملعب الجهادي أكثر بكثير مما توقعنا، وصممنا من اجل الكبار مدرجاً يستقبل بين 2000 أو 2500 شخصاً، واستعملنا فيه أشياء من الطبيعة المتوفرة هناك، مما زاده جمالاً، واستعملنا الصخور لتنفيذ المدرجات، فصار هناك متسع لجلوس الناس الذين يتزايد إقبالهم على الملعب الجهادي يوماً بعد يوم. أصبح الناس يتوافدون ويملؤون المدرجات، يشجعون أطفالهم، وبعض العوائل جلست لتشجع كل الأطفال المشاركين، وأصبحتَ تسمع الناس تصرخ: "الله أكبر"، ويشتد حماسهم، وتعلوا الهتافات، والأولاد يلعبون برغبة وبحماس شديدين.

كنت أنظر إلى هذا الاقبال مذهولاً، وأنا اسأل نفسي: هل كان المهندس حسام يتوقع كل هذا؟ حين أصر وتغلب على الكثير من الصعاب من أجل هذا الملعب، كأنه كان يرى كل هذا قبل حدوثه.

كان عملاً ناجحاً بامتياز، كنا سعداء بهذه النتيجة الباهرة، أنظر إليه والى فرحه وهو يشاهد كل هذا، يشاهد الأثر الذي أراده يتجلى واضحاً في الناس وفي جنود الاحتلال، هنا ثقافة المقاومة كما يقول، ولدى الاحتلال هزيمة نفسية. ما كنت أرى في كل ذاك سوى توفيق من الله لرجل مخلص.

هذا الأمر كسر حاجز الخوف بشكل كبير، خصوصاً بعد ما عاشه الأطفال في

حرب تموز. لأن الحرب تؤثر على نفسيات الأطفال كما كان يقول. كان فخوراً جداً، ويشعر أنه حقق شيئاً مهماً لهم، وأسعده ذلك.

وبعد فترة وجيزة، عندما رأى كثافة الإقبال على الملعب قال:

– لازم تعديل ملعب جهادي.

فقلت له وأنا سعيد ومنفتح على كل ما يريد:

– ماذا تريدنا أن نفعل؟

– لازم إضافة أبراج عالية ورابيل وحبائل..

– هذا تفعله ايران في يوم القدس.

– نعمل مثله صغير في مارون.. ما مشكل.

– ولكن يا مهندس هذه حديقة.

– ما مشكل، كل شيء يخوف إسرائيل يجب أن نفعله.

– مهندس، غداً عند أول معركة تقصف الحديقة ولا يبقى منها شيء.

فهز رأسه بلا مبالاة وقال:

– حديقة مش عمرها سنة؟.. هكذا أدت وظيفتها عملت مقاومة، صنعت ناس لا تخاف إسرائيل، وتتحدى إسرائيل، وتأتي إلى الشريط الحدودي وتقول الموت لإسرائيل... إسرائيل تهدّم ونحن ايران ندعم ونعمر.. المهم أن الناس يكون ايمانها أكثر بالمقاومة.

فشرعنا بتعديل الملعب، وأضفنا أبراجاً، وحبالاً لأجل الصعود، وسلالم. لقد كانت فكرة الملعب الجهادي وكل تفاصيله، عملا مميز بحق، لقد جذب أناساً كثيرين، في مرحلة متقدمة.

وللكبار نصيب

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

من خلال متابعته لزوار حديقة مارون الراس، واهتمامه بحاجاتهم، التفت إلى شريحة واسعة منهم، وهم الفتيان والشبان، مما دفعه إلى التفكير بما يستطيع من أجلهم. حتى جاءني بعد فترة بفكرة عرضها بحماس وقال: علينا إنشاء ملعب كبير للعب كرة القدم.

لم يكن هذا سهلاً، فكل الأماكن الصالحة قد استثمرت، لكنه بحث حتى وجد المكان الذي اراد أن يقيم الملعب عليه، وكان مكاناً قاسياً وصعباً، من حيث وعورة الأرض والصخور الموجودة فيه، توقف عنده وهو يقول:

– لازم هنا نعمل ملعب كرة القدم.

– كيف والأرض مليئة بالصخور؟

فقال وكأنه لم يسمع اعتراضي:

– أريد هنا ملعباً كبيراً.

وتحقق الأمر رغم الصعوبة والجهد الكبيرين، وكأن لا شيء يستطيع الوقوف أمام إصرار هذا الرجل، يكفي ان يكون مقتنعاً بالأمر، وبإمكانية إتمامه حتى يباشر به مهما كانت الصعوبة، ويستطيع بالإصرار والمثابرة تذليلها، وهذا ما حدث، فقد أنشأنا ملعباً كبيراً في مساحته، مستوياً ومنظماً، في غاية الجمال والرونق، حيث يستقر في خاصرة الجبل، بأرضه الخضراء الواسعة.

ولم يكتفِ بذلك، أراد ان يكون للاعبين جمهورهم، أراد ان يكون ملعباً حقيقياً، تقام على أرضه مباريات حقيقية، يشارك فيها جمهور عريض، فأنشأنا لهذا الملعب عدداً من المدرّجات، حتى أصبحت قادرة على ان تستقبل حوالي 4000 شخص.

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

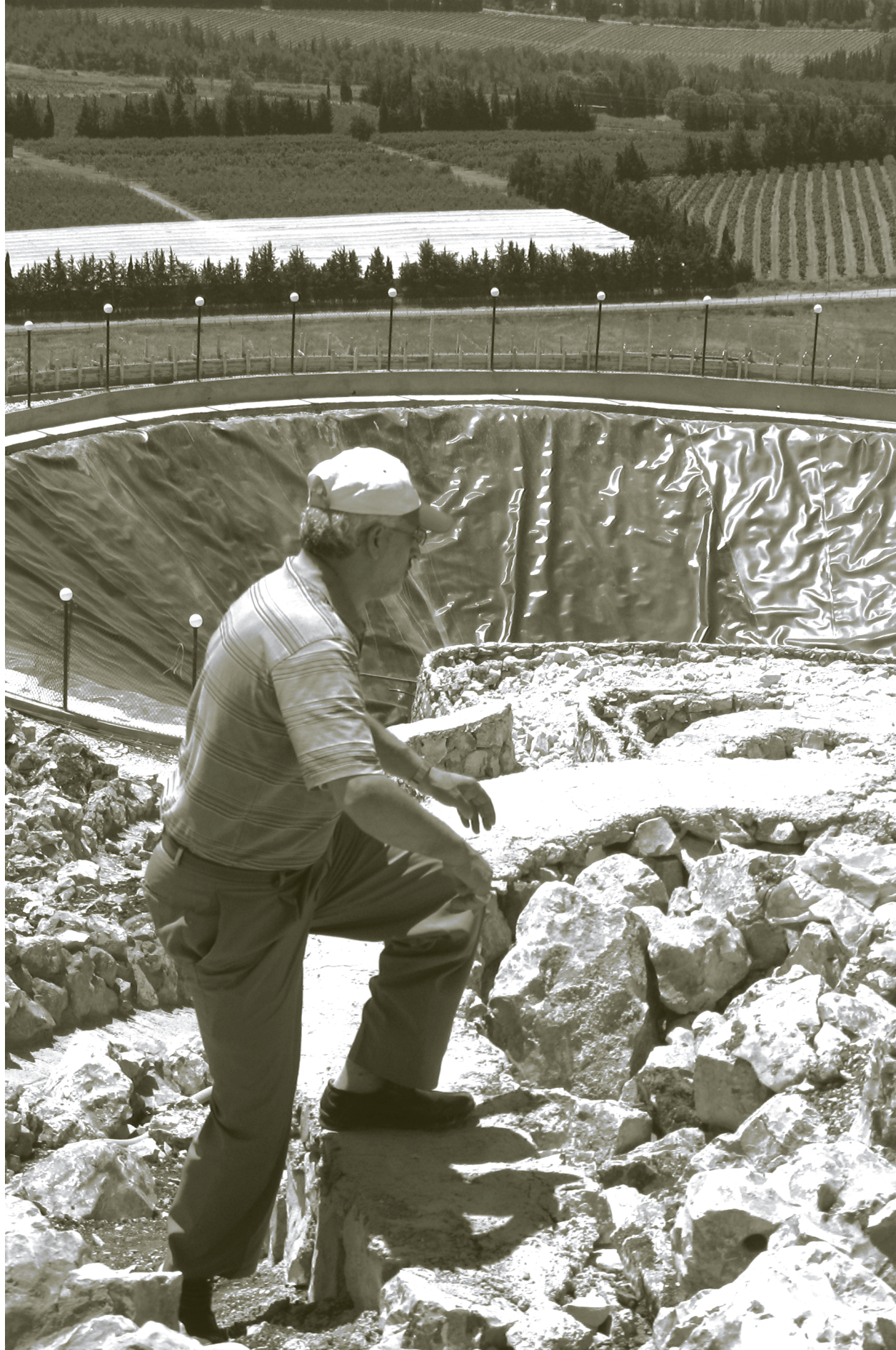

سياحة ذات مغزى

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

اراد المهندس الشهيد لحديقة مارون الراس أن تجهَّز بأجمل ما يستطيع، من أجل أهل هذه المنطقة التي قاومت وصمدت في وجه الاحتلال لفترة طويلة، لأنه يراها متنفساً لهم خصوصاً بعد عدوان تموز. والذي كان يزيد من سعادته هو توافد الناس إلى الحديقة قبل إكمال بنائها، وكان يسألني عن الإحصائيات، وعدد الوافدين الذين كان يتزايد عددهم بشكل لافت يوماً بعد يوم. والشيء الآخر الذي كان يلفت انتباهه أكثر هو نوعيّة الناس، فالحديقة لم تستقطب شريحة معينة من الناس فقط، أو من بقعة جغرافية واحدة، أو من ديانة، ومذهب واحد، بل كان يفد إليها الناس من مناطق بعيدة، يأتون إليها من طرابلس في أقصى الشمال، ومن الجبل، ومن بيروت، من الشرقية ومن الغربية، ومن كل الطوائف يأتون مجموعات ووفوداً، دروزاً ومسيحيين. ولم يقتصر هذا الحضور على اللبنانيين، لقد تنوع واستقطبت الحديقة زوارا من جنسيات مختلفة، وخاصة من الإخوة الفلسطينيين.

كان شديد التأثر بكثافة حضور الفلسطينيين إلى الحديقة، يراقبهم بتعاطف شديد وهم ينظرون إلى الاراضي المحتلة، وهو ينظر معهم اليها، بكل ذلك الحب الذين يكنه لها، أراد للناس، كل الناس ان تحب فلسطين كما يحبها هو، أن يعشقها هؤلاء الناس على اختلاف انتمائهم كما يعشقها هو، تلك الحبيبة الأسيرة، الجميلة، المظلومة، كما يقول. ينظر إلى تنوعهم سعيدا، وفي رأيه أنهم يصبحون واحداً هنا. أراد لهم أن يتوحدوا على حبِّ فلسطين.

في الفترات الأخيرة قبل الاستشهاد، كان حلمه أن ينفذ "مشهديّة" كبيرة، عبارة عن بانوراما تصور وترسم كامل فلسطين أمام المشاهد، وكان يقول لي:

– أنت تراها بالعين المجردة بعيدة وصغيرة، لكن عندما ترسمها أمامك على شاشة كبيرة، شيء مختلف.. ويمكن لأحد المرشدين السياحيين تولي مهمة الشرح.. يشرح عن كل قرية وكل مدينة.. صحيح أنك ترى فلسطين

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

أمامك الآن، لكن عندما ترسمها كمشهدية هذا يقرب الصورة لديك.. فعندما يقترب المشهد يصبح مباشرة في القلب.. وكلَّما اقتربت من القلب كلما عشقتها أكثر.

لم يمهله الوقت لتحقيق ذلك، ولكنه حقق الكثير للناس في حديقة مارون الراس، جعلها أكثر من حديقة بكثير، لقد استغرق العمل بها أكثر من ثلاث سنوات، حتى أصبحت على ما هي عليه الآن، بدأنا بـ12000 م2 كما كان مقرراً، لكنه تجاوز هذا الرقم بكثير، حبه لهذا المكان ولزواره جعل المساحة المستثمرة تزداد أضعافاً، حتى انتهت الحديقة بـ48400 م2، مع شبكة طرقات وإنارة، وأدخلنا الطاقة البديلة للإنارة، بعضها بواسطة الهواء، والبعض الآخر بواسطة الطاقة الشمسية، وأنشأنا مسرحاً لطلاب المدارس، وخيماً إضافية زيادة على 14 و19 خيمة التي كانت في البداية، أنشأنا 28 خيمة كخيم عائلية، وخيم للمجموعات الكبيرة كطلاب المدارس، خيم متصلة ببعضها، مع حمامات، وأنشأنا الملعب الكبير "90X40" مع مدرج واسع، مسيج ومفروش بالعشب على خاصرة الجبل، بجانبه مبنى إداري. هناك ايضاً ملعب بجانب الكورنيش للرياضة، وقيادة الدراجات والركض، وهناك أيضاً ملعب للأطفال مع أراجيح ومنزلقات، مساحته حوالي 2000 متر مربع، وهناك ايضاً مطعمٌ كبيرٌ مساحته حوالي 550 متراً مربعاً، وعلى ظهر المطعم "تراس" كبير، وهناك مبنى خاص للتشريفات، لاستقبال الشخصيات، ومبنى مطل على الحديقة مع واجهات زجاجية ترى من خلاله مشهد فلسطين، وكل عناصر الحديقة، وهناك ايضاً ملعبٌ للخيل، وله مدرج يستقبل 400 شخص، وهناك كافيتريا.

لقد بذل الكثير من الجهود في تلك الحديقة، وكأن الهيئة الإيرانية ليس لها عمل في لبنان سوى هذه الحديقة، حتى أن نائب وزير خارجية ايران، وفي معرض مديحه لحديقة إيران في مارون الراس قال:

– كل الذي قامت به ايران في لبنان، وكأنه لم يكن لولا حديقة إيران في مارون، لأنها أشعرت العدو بالخطر، أكبر إنجاز قامت به إيران في لبنان هو هذه الحديقة، لأنها أكبر تحدٍ للعدو الإسرائيلي تحت عنوان سياحي، دمج بين المقاومة، والسياحة، وهزيمة العدو أمام عينيه.

في الحديقة العائلات تشوي اللحم، والأولاد يلعبون، والإسرائيلي متأهب وخائف.

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

من الميزات الفريدة في المهندس حسام هي طريقته في التفكير، فهو يتجه بفكره اتجاهاً لا يصل إليه سواه، كنت أرى ذلك طوال الفترة التي تشرفت فيها بالعمل معه في حديقة مارون الراس، كان يذهلني ذلك فيه، فهو يتخطى بفكره ما هو موجود، يأخذه إلى أبعد من ذلك، ما أريد أن أقوله أنه يجعل للشيء قيمة مضافة، أي ان هناك زيادة في رؤيته، وكأن ذهنه يخطو بالشيء خطوة إضافية، وهذا ما كان يحدث في مشروع الحديقة، فالتصاميم تأخذ مع الوقت شكلاً آخر، تجعلها عند التنفيذ أكبر قيمه، وأكثر فاعلية وجدوى.

من تلك الأعمال التي توقفت عندها، ولفتتني طريقة تفكيره فيها، هي فكرة إنشاء البرج. والغريب أنّ موقع الحديقة هو مكان مشرف أصلاً، وقد اختار اكثر الاماكن إشرافاً، ووقف عنده يشاهد فلسطين، وكل الجوار، ثم التفت إليّ وقال:

– هنا يجب أن نعمل برج.

لقد قرر ان ينشئ برجاً هناك، برجاً عالياً في ارتفاع لا يقل عن 12 متراً، ولم يكتفِ بذلك، بل جهزناه بمنظار، وقد اعتدت على كل هذا الجديد منه، لكن الذي لفتني ما قاله تلك الليلة، فهو يصلح مثالاً لتوضيح الطريقة التي يفكر فيها المهندس حسام خوش نويس.

كان الوقت ليلاً، وكنت معه في الحديقة، ونحن ننظر في أنس إلى ما أنجزناه. صعد إلى البرج وأخذ ينظر بالمنظار، وجعل يعد الإضاءة التي يراها في الليل، مجموعات من النقاط الضوئية تنتشر على الافق في المدى المقابل، والمهندس حسام يعد، حتى وصل إلى الرقم 36 وكان هذا عدد جميع ما شاهده من خلف الحدود. التفت إليّ وقال:

– أنت من هنا ترى 36 مستعمرة، وقرية في فلسطين.. عن ارتفاع 12 متراً أنت ترى 36 مستعمرة.. من ارتفاع 36 متراً ماذا يمكن أن ترى؟!.. كم عدد ما ستراه ؟.. ممكن ترى إيلات..

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

وكان حلمه أن ينشئ برجاً عالياً يرتفع 36 متراً عن سطح الأرض مع مصعد. لم يكن هناك حدٌ لطموحه وأفكاره، دائما لديه جديد، وإضافة جديدة غنية. كان سعيدا بهذا البرج، وان كان أقل من أحلامه، سعيدا بكل ما أنجزه في الحديقة. بكل ذلك الحماس السعيد والملفت كان يأتي إليها.

في أحد الأيام، وأنا أنفذ البرج، كان فرحاً جداً، ويتنقل بين معالم الحديقة كالطير من صخرة، إلى صخرة فرحاً مسروراً بالإنجاز، صعد البرج وهو قيد الإنجاز، لم أكن بعد قد وضعت له حواجز حماية، والمهندس لشدة حماسته وقع من الطابق الثالث إلى الطابق الثاني، وتأذى كثيراً، جرح صدره ورأسه، وعندما ذهبت لرؤيته في المستشفى، ضحك حين رآني، فقلت له:

– هذا من كثرة حماستك مهندس.

ضحك وهو يردد بسعادة:

– ما مشكل ما مشكل.

حلم لم يتحقق

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

ومن الأفكار المميزة التي خطرت في ذهن المهندس حسام، حين لفتت نظره أرض قريبة من الحديقة، وهي إنشاء سكن سياحي قريب. على شكل شاليهات مصممه بطريقة هندسية رائعة. لقد فكر في كل شيء، وهو يعلم أن هذا المشروع الذي تحمس له ضخم ومكلف، لقد تجاوز سابقا الميزانية المرصودة عدة مرات، وتمت الموافقة بسبب قدرته على الإقناع بجدوى تلك الزيادات، لكن هذا المشروع أكبر من ذلك بكثير، وهو خارج هذه الأرقام تماما، ففكر أن ينشئ 40 شاليهاً، على عدد المحافظات الايرانية، وكل شاليه يحمل اسم تلك المحافظة، ويحتوي في تفاصيل منه بعض سماتها، يتعرف على تلك المحافظة من خلال السكن في تلك الشاليه المسماة باسم المحافظة، كان واثقاً أنه يستطيع جمع التمويل لهذه الفكرة.

أعددنا لها دراسة أولى، وثانية، وثالثة، وأعددنا لها الخرائط اللازمة، وكان المهندس حسام يسافر في كل مرة إلى إيران، ويدور على المحافظات الإيرانية، ويأخذ معه الدراسات والخرائط، ليستطيع تأمين التمويل لهذه الشاليهات. لكنه لم يوفق، رغم كل الجهد الذي بذله، وظل ذلك حلماً من أحلامه التي لم تتحقق.

لكنه حقق بعضاً منه وإن بشكل رمزي، استبدلنا الفكرة بأن أعطينا كل خيمة أنشأناها في الحديقة والتي بلغ عددها 40 على عدد المحافظات الايرانية، أعطيناها أسماء المحافظات الايرانية، فأصبحت كل خيمة تحمل اسم محافظة إيرانية، وعليها لوحة تشير إلى معلومات عامة عنها وعدد سكانها، تراثها، طبيعتها، آثارها، وشهدائها.

كان يريد أن يربط الشعب اللبناني بالشعب الايراني، ويعزز هذا الارتباط، لذلك تم الاتفاق على تسمية الحديقة باسم حديقة ايران في مارون الراس، وطلب المهندس أن نضع على المدخل خريطة لايران، وقال:

– أليست هذه حديقة إيران؟.. على الشعب اللبناني أن يتعرف على إيران. فأنشأنا خريطة لإيران على مدخل الحديقة، ورسمناها على الصخرة

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

الخلفية، خارطة كبيرة كتب عليها أسماء المحافظات مع ألوان، كان هدفها تعميق العلاقة بين الشعبين اللبناني والايراني كما أراد المهندس حسام، وكانت تلك الخريطة فكرة مميزة كما كل أفكاره، أخذت صدىً جميلاً، وتجاوباً ظاهراً، وهي مقصد للناس اليوم، يأتون ويلتقطون إلى جانبها الصور. وكان كثير الفرح بها، وكل فترة نقوم بإعادة تجديد وصيانة لتلك الخريطة استجابة للإقبال الذي تحظى به من الزائرين، لتبقى على رونقها في مواجهة العوامل الطبيعية.

طريق فلسطين

من رواية **المهندس إسماعيل الزّين***

كنت أقف معه في مكان عال في حديقة مارون الراس، مكان يشرف تماماً على الشريط الحدودي بيننا وبين فلسطين المحتلة، ووقفتنا كانت في المكان الأقرب، حيث ينعطف الشريط باتجاه مرتفع الحديقة، وتحتنا مباشرة بدت شجرة الكينا القديمة، تلك الشجرة التي زرعت قرب مقام لأحد الشهداء الذين استشهدوا قديماً، ومسجد صغير. نظر المهندس حسام إلى المسجد ثم إلى الشريط الحدودي، ثم نظر إليّ كأنه اكتشف أمرا قد غاب عن ذهنه سابقاً، وقال:

– علينا شق طريق من هنا إلى حدود فلسطين.

لم أفهم جدوى هذه الطريق، فمن المفترض أن يكون للجهد المبذول ما يبرره، أي يجب أن تكون موصولة بما قبلها وما بعدها، ولكني لم أجد مبرراً لهذا الطريق، فقلت مستغرباً:

– لماذا نشق هذا الطريق الصعب؟.. ما هي الحاجة إليه؟

لم يكن يخطر في ذهني أبداً ما يفكر فيه، لقد أذهلني حين قال:

– حتى يصير الناس عندن شغلة سهلة دخول فلسطين.. عندما تفتح طريق كل الناس تمشي عليه.. نسميه طريق العودة.. من عند الشهيد لعند فلسطين.

لم أجد أحداً يفكر بهذه الطريقة، يريد أن يصنع رمزاً، يحاكي رغبة ثابتة في الوجدان، وهي العودة إلى فلسطين، يريد للناس أن لا تنسى العودة إلى فلسطين، كما لا ينساها هو، يريد لتلك الرغبة المقدسة أن تكون حاضرة بشيء ملموس هنا، بصورة حقيقية تمتد على الأرض.

وعملنا حوالي 20 يوماً، لشق هذه الطريق، (طريق العودة). صحيح أنها طريق ترابية، لكن المهندس أصر أن تكون نظيفة من الأحجار والأشواك، مرصوفة بعناية، وقال:

– حتى يشعر الناس أن طريق فلسطين طريق سهلة ليست مليئة بالأشواك والحجارة.

* مدير مشاريع في الهيئة الإيرانية، ومدير مشروع حديقة إيران في مارون الراس

يريد طريقاً تُسلك سيراً على الأقدام، طريق "آدومية" كما يقال بالعامية عندنا، وكان يريد للكبار والصغار أن يمشوا على هذه الطريق، دون معاناة، يريد للعودة أن تترسخ في عقولهم الباطنة، حاضرة في اللاوعي، عصيّة على النسيان.

شقت الطريق، وظل يتابع تفاصيلها حتى تمت كما أراد، وفتحت تلك الطريق الرمزية، (طريق العودة)، وسلكها الناس متأثرين، وقلوبهم تخفق، وهم يصلون إلى اقرب نقطة من الحدود.

وقد شهدت هذه الطريق مناسبات عديدة فيما بعد. وسلكها عدد كبير جداً من الزائرين ومن الوفود، وأضحت محطة من أهم محطات الحديقة.

ومن أبرز تلك المناسبات كانت مناسبة ذكرى النكبة، عندما استشهد الفلسطينيون على الحدود، كان الكثير من الناس يسيرون على هذه الطريق، حشد كبير من الناس، بكل أعمارهم، نساء ورجال وأطفال، ذكّرنا هذا المشهد بمشهد يوم التحرير، حين زحف الناس عائدين إلى قراهم.

كان الحشد في ذكرى النكبة كبيراً، والمشهد مؤثراً، اغرورقت أمامه العيون بالدموع، والمهندس حسام ينظر إليهم متأثرا وهم يزحفون على الطريق التي شقها، ليضعوا علماً على الشريط.

من رواية **السيد أحمد زنكناه***

لن أنسى أبداً كل ما كنت أراه من هذا الرجل المميز، وما رأيته منه في السفر كان كافياً وحده، ففي السفر يظهر الانسان على حقيقته، يجرده التعب والغربة من كل الأقنعة، لتبدو صفاته واضحة جلية، وسفر الحج هو أكثر الاسفار كشفاً لصفات المرء، أثناء قيامنا بمناسك الحج في إحدى السنوات تشرفت بأن أكون مع المهندس حسام، حيث ازدادت معرفتي واقترابي منه، وازداد حبي له، وتأثري به.

لقد تأثر به كل من كان معنا في تلك الرحلة، وأشير هنا إلى أن المهندس حسام كان هو من تطوع ليكون بنفسه دليلنا للزيارات، والأعمال، والمناسك وكل تفاصيل الحج، لأنه كان كثير الحج، وفي فقه الحج وكيفيته يعرف أدق التفاصيل. إضافة إلى معرفته بالأدعية والزيارات، يقرؤها لنا بصوته الحنون، المؤثر، طريقة قراءته التي يتضاعف معها التوجه والروحانية.

في اليوم الأول لذهابنا للحرم كان هناك ازدحام بشري كبير، وعندما راينا الازدحام هناك، ظننا لشدة هذا الازدحام أننا لن نستطيع الدخول، إلا أنه جمعنا، وتوجه بنا نحو درج كهربائي، وصعدنا من خلاله إلى مصلى آخر، لإقامة الصلاة الواجبة التي كان قد حل وقتها. وأثناء صعودنا على الدرج الكهربائي، تعثر المهندس حسام هناك في آخر الدرجات برجل كان يهم بالنزول، وسقط على الدرج، وأصيبت ركبته حينها بضربة قوية، منعته حتى من الوقوف، قمنا بالإسعافات الأولية مباشرة حاولنا أن نسيطر على الوضع تقريباً، ونقلناه إلى شخص كان هناك، لينقله بدوره إلى اقرب مكان للعلاج، إلى مستوصف قريب، حيث قاموا بالعلاج اللازم، عالجه طبيب جراح، وأوصاه بالراحة التامة، تابعنا أخباره عن طريق ذلك الشخص، خفف ذلك من قلقنا عليه، لأننا شاهدنا شدة اصابته، فتابعنا صلاتنا والعبادة، حتى إذا أصبح الوقت عصراً، خرجنا من الحرم الشريف، فتفاجأنا به أمامنا في الحرم ينتظر خروجنا، لكي يؤمن لنا الباص الذي سينقلنا، لقد تأثرنا كثيراً بهذا، فهو كان يقفز على قدم واحدة، كل ذلك في سبيل تأمين الحاجات وتسهيل

* موظف في الهيئة الإيرانية

أمور الحجاج، لا يريد لهم ان يعانوا من أية مشكلة، يسعى بقدمه المصابة ناسياً ألمه، ومشكلته هو.
يسألنا واحداً واحداً عن أوضاعنا، وإذا ما كنا بحاجة إلى شيء، طوال فترة الحج، وأثناء قيامنا بالجولات في مكة، لم يكن ليرضى أن يجلس هو على كرسي الباص حتى يطمئن أن الجميع قد جلسوا، واتخذوا أماكنهم، يتأكد من ذلك ثم يجلس، وان جاء أحد الحجاج قام ليجلسه مكانه، كثيراً ما كان يبقى واقفاً، ليفسح المجال لغيره بالجلوس.

سأحضر يا عزيزي

من رواية **السيد أحمد زنكناه***

كان من المعروف عن المهندس حسام أنه كان دائماً يتابع شؤون الناس، ويقدم لهم المساعدة على قدر استطاعته، ولا يرد من قصده دائماً.
والعاملون معه يلمسون ذلك بكل وضوح، يسأل عن أحوالهم الشخصية، وشؤونهم العامة، وحاجاتهم.
في مدينة جويا في جنوب لبنان، أقمت احتفالاً صغيراً، ودعوته لحضور خطوبتي في تلك المنطقة، البعيدة نسبياً عن بيروت، كنت أعلم مدى انشغاله وضيق وقته، ولكني كسواي أعلم مدى اهتمامه، وطيبة قلبه، وحبه لكل من معه، كنت أعلم صعوبة ذلك إلا انني دعوته، فقبل الدعوة، وقال وهو يبارك لي:
– سأحضر يا عزيزي... سأحضر إن شاء الله.
أسعدني هذا كثيراً، لكن الذي فاجأني، ما قاله لي أحدهم من أن المهندس حسام قد حضّر قصيدة من عدة أبيات، يود قراءتها بعد الانتهاء من مراسيم الخطوبة. لم يكتفِ بالحضور، بل أراد المشاركة، أراد أن يشاركني فرحي بقصيدة شعر كتعبير عن سعادته بخطوبتي.
لم يكتفِ المهندس حسام بحضور خطبتي فقط، ومتابعة شؤوني، ومساعدتي كلما احتجت إلى مساعدة، بالإضافة إلى ذلك كله، قام بشيء معنوي عزيز جداً، لقد أشرف على كتابتي لوصيتي، حيث ساعدني في انتقاء المواضيع، والأفكار، وصفتها في عبارات عربية بنفسي، كان ذلك جميلاً ومؤثراً، كلما تذكرت هذا كنت اقول: يا سبحان الله، إن الله اختاره ورزقه الشهادة، وأنا لا زلت هنا على قيد الحياة.

* موظف في الهيئة الإيرانية

صناعة المودة

من رواية **السيد أحمد زنكناه***

لم التقِ في كل حياتي برجل مثل المهندس حسام، كانت روحه المحبة المرحة تؤثر على كل المحيط الذي يتواجد فيه، كنا نحن العاملين معه نتأثر كثيراً بابتسامته، وبالمودة التي يبديها، وبابتسامته الدائمة، يزيل دائماً أسباب القلق والانزعاج بحكمة عجيبة، وقدرة فائقة، بوجوده تحل المشاكل مهما كانت معقدة، تلك المواصفات في شخصيته، وروح المحبة التي يتحلى بها، جعلت له طريقة مختلفة في حل المشكلات، نابعة من طيبته، وقدرته على التأثير.

أذكر أنه في إحدى المرات كان على موعد للاجتماع بشخصين من البقاع، رجلين كان علينا أن نعمل معهما في شأن واحد، كانا يتكلمان بموضوع الكسارات، ومشاريع الكسارة، وتفاصيل عملها، ثم اختلفت وجهات النظر بين الرجلين، ثمّ دبّ الخلاف بينهما، بخصوص المواد الأولية، وتحضيرها، وجودتها، وطبيعة العمل، وما إلى ذلك، حتى توتر الجو وشحن إلى الحد الأقصى، وأصبح التفاهم بينهما مستحيلاً، وكادا أن يبطلا عقد التعامل فيما بينهما، فما كان من المهندس حسام إلا أن نادى بالصلاة على محمد وآل محمد، قاطعاً بذلك الحديث المتوتر، ثم دخل إلى المطبخ، وأخذ القليل من الخبز، بعد أن حمصه على الغاز، ودخل به إلى مكان الاجتماع، وهو يبتسم ابتسامته اللطيفة المؤثرة، وطلب إليهما بأدبه المعروف أن يتذوقا، ثم دعاهما إلى تناوله معه، وحين أكلا أعجبهما ذلك، وتبادلا الأحاديث عن هذا الخبز، وكيف أحضره المهندس، وطريقة التحميص والفوائد الجمة لهذا، وفي سهولة التحضير، و.. ، حتى ساد جو من البهجة والظرافة التي أضفاها المهندس بأسلوبه الجميل، فزال جو التوتر والمشاحنة نهائياً، وارتفعت مكانه الضحكات، وإذا بهما يتفقان بكل سهولة، وتم الاتفاق على كلِّ شيء برحابة صدر وهدوء تام.

* موظف في الهيئة الإيرانية

عوائل الشهداء

من رواية **السيد دانيال علوية***

من الامور الغريبة والملفتة في شخصية المهندس حسام هو أثر الشهداء عنده، لم يكن أمراً عاديا أبداً، كل من كان له علاقة بالمهندس حسام لاحظ ذلك، وكان يظهر ذلك بوضوح في علاقته بعوائل الشهداء، يسأل عنهم كمن يسأل عن أهله وذويه، ويبحث عنهم كما يبحث الجائع عن طعامه، وحين يلتقيهم، أو يزورهم، يبدي احتراما يفوق الوصف، يتواضع أمامهم بشده، فكلنا كان يعرف علاقة المهندس حسام مع عوائل الشهداء، ومدى اهتمامه بهم، فمنذ جاء إلى لبنان ظهر هذا فيه، حيث كان يزور أضرحة الشهداء ويسعى إلى أن يكون صديقا وفياً لتلك العوائل، يريد أن يكون جزءاً من هذه العائلات. جعلني هذا أفخر بأنني واحد من أبناء تلك العوائل، دون أن أخبره بذلك.

في إطار العلاقة الشخصية التي ربطتني مع المهندس حسام، أكبرت فيه هذا، واحببته منه، إلا أنني رغم معرفتي بمحبته وتقديره لعوائل الشهداء لم يسبق لي أن ذكرت أنني أخ لشهيد سقط في حرب تموز. ربما لأنني كنت أريد أن أنال احترامه لشخصي، لكوني أنا، أو لأنني ما كنت أريد أن أسبب له أي إحراج، وأن يكون مكاني عنده بما استحقه أنا، وما عاد يخطر ببالي مثل هذا الامر، حتى اجتمعنا في إحدى الليالي، وكان يستحضر أمامي الصور التي التقطها في مارون الراس، ومن ضمنها صور الشهداء التي علقت على جدران مدينة مارون الراس، وفجأة مرت أمامنا صورة أخي الشهيد، ولكنني تجاهلت الأمر ولم اعلق عليه، راغبا بعدم اخباره، خاصة وانه تحدث بكثير من المحبة والتقديس لهؤلاء المقاومين وصورة أخي امامه، لم اخبره بأنه أخي، إلا أن احد المجتمعين معنا تحدث بإسهاب عن أخي، وتولى مسؤولية إخباره عن موضوع شهادة أخي، ودوره في حرب تموز، والحوادث المعروفة التي حصلت معه، وأخبره بأنه أخي، فنظر إليّ المهندس نظرة غريبة، ظهرت من خلالها دهشته الشديدة.

لكن المفاجأة كانت في التغير الواضح في طريقة تعامله معي، مذ عرف

* المصمم الفني في الهيئة الإيرانية – شقيق الشهيد بشير علوية

أنني أكون أخا لشهيد، أي أنني واحد من عوائل الشهداء، فأظهر المزيد من الاحترام والتقدير والمحبة، في طبيعة تعامله معي شخصياً، أصبحت مقرباً منه، وحاول من بعدها ربط علاقة عائلية مع الأهل والوالدين، تأكدت من خلالها أن المهندس ضعيف جداً من ناحية الشهداء، حبه للشهداء، وتعلقه بهم أصبح نقطة ضعفه الواضحة، حيث يتحول إلى شخص برزخي إذا صح التعبير في محضر الشهداء.

هذا الأمر زادني محبة وتقديراً له ولشخصيته، وزادني افتخاراً لكوني أخاً لشهيد، وكنت أفتخر بالشهيد المهندس، أفخر أنه أراد التقرب مني، ومن عائلتي، إلا أنه كان يرى العكس، كان يعتبر نفسه أنه هو من يحظى بشرف اللقاء ومعايشة إحدى عوائل الشهداء، وكل هذا يصب في بحر تواضعه وبساطته.

والأمر الذي اتحسر عليه فعلا، هو عدم وجود أي صورة تجمع والدي مع الشهيد رغم التقائه به، فقد غاب هذا الموضوع عن ذهني، كانت الجلسة بينهما ودية وحميمية إلى درجة لا تصدق، خرج بعدها وخرجنا بانطباع رائع مليء بالحب والتقدير، لقد ترك عند والدي أثراً هائلا في حجمه، رغم أنه التقاه لمرة واحدة، إلا أن هذا اللقاء كان كفيلاً بترك هذا الأثر لدى والدي الذي بكى عليه كثيراً، وحزن أشدّ الحزن لدى سماعه بخبر استشهاد المهندس، وكأنه كان يعرفه لسنواتٍ طويلة، وحتى الآن، لا يمنع الوالد دمعه من الانهمار عند ذكر المهندس والحديث عنه.

من رواية **السيد عمار الجمال***

كنا ذاهبين إلى موعد في مكان تقرر فيه اجتماع كبير من اجل التداول في شؤون العمل. وكنا نشكل موكباً كبيراً من 3 سيارات، وفي طريقنا إلى ذلك الاجتماع، شاهد المهندس حسام من خلال زجاج السيارة شيئاً، جعله يطلب إلى السائق التوقف فوراً، ظن البعض منا أن خطبا جليلاً قد حدث، ونحن ننظر إلى المهندس حسام يترجل من السيارة مسرعا ويتوجه إلى الطريق، توجهت إليه وأنا في غاية القلق، وإذا به يجلس القرفصاء في وسط الطريق وهو يحتضن حمامة بحنان بالغ، كأم تحتضن طفلها، يمسد على رأسها الصغير، وهي بالكاد كانت تستطيع الحراك، حملها بين يديه وقد قربها إلى صدره بتمهل شديد، بدت اللهفة واضحة على ملامح وجهه وهو يصعد إلى السيارة، وانصرف إليها كلياً وهو يدقق بمكان اصابتها برفق شديد، وقد عضَّ على شفته السفلى، وكأن الاصابة في جناحه هو.

احتفظ بها في رعاية شديدة، واصطحبها إلى منزله، وبقي يعالجها حتى تعافت تماما. وقيل لي أنه أصرّ على اطلاقها في المكان الذي التقطها منه، كي لا تستوحش مكاناً لا تعرفه، ولتلتقي بمن كانت تعيش معه من الطيور، ثم أطلقها لتطير في الفضاء الواسع، وهو ينظر إلى اجنحتها سعيداً وهي تقتحم الهواء، مصدرة صوتاً يدل على نشاطها وتعافيها، كأني به يحمّل اجنحتها رسالة إنسان حافظ على فطرته التي فطره الله عليها، سعيداً بالمساعدة التي قدمها لها.

اهتمامه وعطفه، لم يكونا مقتصرين على الإنسان فقط، فهو يفكر بكل خلق الله بتلك الروحيّة الصافية نفسها، النابعة من قلب مؤمن مفطور على العطف، كان إذا بقي طعام من الموائد، يجمعه في كيس، حتى إذا جاء إلى النهر أو إلى بحر، رماه هناك لتأكل منه الاسماك، وإن لم يتوفر ذلك، حين يكون البحر والنهر أبعد أو ليس في الطريق الذي يذهب إليه، وضع هذا الطعام الباقي من الموائد على رفوف الشبابيك، لتأكل منه الطيور.

* مرافق الشهيد حسام

تشكو بعدها عنه

من رواية **السيد زهير عمرو***

في العام 2006 تعرفت إلى الشهيد عن طريق القائم بأعمال الهيئة الايرانية باعتباري صاحب شركة مقاولات. ومع الوقت بدأت أتأثر بهذا الرجل كثيراً، وكلما زادت معرفتي به زاد إعجابي، مما جعلني أنحني أمام هذه الشخصية العظيمة، واشتدت أواصر المحبة بيننا مع الوقت.

وكان ما لفتني ولاحظته جلياً في شخصيته، هو رقته، وعاطفته تجاه أولاده وأسرته، وخصوصاً ابنته الصغيرة فاطمة، لاحظت ذلك بنفسي حين أكون معه عندما يتصل بها، أو حتى حين يسمع باسمها فقط، كنت أرى دموعه تنهمل من عينه تلقائياً، وإذا سألته عن السبب كان يجيب بأن ابنته كثيرا ما تؤثر فيه، لكونها فتاة صغيرة، وهي في أمسّ الحاجة لوجوده معها، وقربه منها، وهي تشكو بعدها عنه، لأنها طوال عمرها الصغير لم تشعر بأبوته، لقلة استقرارها مع والدها، فهو لفترة طويلة كان كثير السفر والانتقال، كثيرا ما كان ينتخب من قبل الحكومة الايرانية لتنفيذ مشاريع خارج ايران.

أود كثيرا أن أوجه رسالة مني إلى عائلته، أقول لهم فيها: إنني أنا الذي عملت معه فترة من الزمن، جعلتني فخوراً جداً بتلك العلاقة، ونحن نفتخر بكم وبانتمائكم لهذا الرجل المميز، والذي ترك أثرا بالغاً في كل مكان حل به، هنيئاً لكم أنكم من صلبه، فأنتم تنتمون إلى شخص سلك طريق أهل أهل البيت عليهم السلام . وأقول لهم أنني من الأشخاص الذين يتمنَّون أن يكونوا أحد أفراد عائلته أو أقربائه. وأقول لأولاده وعائلته صحيح كان الشهيد بعيداً عنكم, لكنكم كنتم دائماً في قلبه وعقله وروحه.

* رئيس بلدية المعيصرة – صاحب شركة تعهدات ومقاولات عمل مع الهيئة الإيرانية في مشاريع مختلفة

مرتين تاج راسي

من رواية **المهندس كاظم درابي***

المهندس حسام خوش نويس لم يهتم فقط بالمقاوم أو المجاهد أو المعتقل أو صاحب القضية فحسب، بل كان يظهر القدسية لشخص المقاوم ولحياته كلها، ولأفراد عائلته أولاداً، وآباء، وأمهات وزوجات، فهم برأيه امتداد لهذا الشخص، وهم أيضاً نهج ومنبع القضية التي هي مقدسة لديه. وهذا ما لمسته أنا شخصياً من خلال علاقتي بالمهندس.

فقد كان المهندس حسام على اطلاع بقضيتي، وقضية اعتقالي الطويل، وأظهر ومنذ لقاءاتنا الأولى، الكثير من الاحترام والتوقير والتمجيد لي، ولم يكتفِ بذلك، بل شمل هذا زوجتي ايضاً، فقد كان يتحدث عنها بالكثير من التقدير، فهي برأيه امرأة نادرة في هذا الاخلاص، يتحدث عن وفائها، وعن الصبر الذي تحلت به طوال ستة عشر عاماً من الفراق في زمن الاعتقال. وكثيراً ما كان يسأل عنها ويطمئن عن صحتها من خلالي. وأكثر من ذلك كان يظهر لها التمجيد، والتعظيم عند لقائها، ويتواضع بشدة أمامها.

وبهذا السياق يمكنني أن أذكر ما جرى بين المهندس حسام، وبين ابني الصغير محمد علي ذي السنوات التسع. حيث كان هاتفي المحمول مع ولدي محمد علي حين اتصل بي المهندس يسألني أين أنا، فجرى بينهما الحوار التالي كما نقله الصغير حرفياً:

- سلام عليكم وينك؟
- وعليكم السلام
- كيف حالك حاج كاظم؟
- أنا محمد علي مش الحاج كاظم
- أنت تاج راسي
- أنت تاج راسي
- أنت مرتين تاج راسي
- أنت مليون مرة تاج راسي.

هكذا كان يتعامل مع أطفال تلك العائلات، بكثير من الاحترام والتقدير،

* مستشار المهندس حسام

فنشأت بينه وبين أبناء تلك العائلات علاقة فريدة، وكانت علاقته بولدي الصغير محمد نموذجاً لتلك العلاقة الفريدة، وكأنها علاقة صداقة نديّة، وكان المهندس يهتم كثيراً بولدي الصغير هذا، يتابعه، ويشجعه، ويبحث عن وسائل لدعمه وتطويره.

حين جاء خبر استشهاده كان ولدي الصغير محمد علي في المدرسة. ولم يكن في المنزل من يخبره بنبأ استشهاد المهندس. وحين التقيته أخبرني بهذا الحديث العجيب وقال:

– كنت في ذلك اليوم متعباً، ذهبت لأنام بعد يوم الدراسة الطويل ذلك، ولكنني عندما نمت رأيت المهندس حسام في منامي، وكأنه يصعد في السماء، ويديه منورتين ووجهه نور، وهو يبتعد قليلاً، قليلاً، وأنا أصرخ: مهندس.. مهندس توقف.. أريد أن اكلمك.. أنا محمد علي ابن الحاج كاظم. إلا أنه اكتفى بأن يلوح لي بيده حتى ابتعد واختفى.

هذا الحلم البريء الذي رآه طفل صغير لم يكن يعرف خبر استشهاد المهندس لا يعني شيئا سوى أن المهندس الشهيد كان يعرج بروحه إلى الجنة بيديه النيرتين، ووجهه الصبوح.

كان تأثير المهندس حسام في عائلتي كبيراً، لذا كان أثر استشهاده عليهم بليغاً. في يوم شهادته كنت أنا خارج لبنان، في ايران على وجه التحديد، ولم أكن على علم بحادثة استشهاده، حتى اتصل بي شاب من لبنان وأخبرني بذلك، لقد صدمت صدمة كبرى، فكانت صدمتي لا تخفى، ظاهرة في عدم تصديقي للخبر، فقلت له:

– لا علم لدي سوف اتأكد من الخبر.

وبعد تأكدي من خبر استشهاده، اتصلت مع زوجتي في لبنان، وأخبرتها بهذا الخبر، فما كان منها إلا الصراخ والبكاء، حتى غابت عن الوعي، سقطت وهي ماتزال على الخط. ثم اتجهت هي ووالدتها على الفور إلى ايران.

هذا الأثر البليغ الذي تركه الشهيد في عائلتي، وباقي عوائل المجاهدين، أثر لا يمحى، وإنما يدلل على مدى اهتمامه بخط الجهاد والمقاومة.

من رواية **المهندس كاظم درابي***

كان المهندس حسام شديد التعلق بالدعاء، فالدعاء حاضرٌ في نهار المهندس وليله، يكاد لا يفارق لسانه، وكتب الأدعيّة في السيارة والمكتب ومكان سكنه، وهو بعد ذلك يحرص على قراءته، ويدعو إليه، يريد للمقربين منه أن يتأثروا به كما يتأثر هو، أن يستفيدوا منه، يقول لهم إنها نعمة ربانية، لا يريد لهم أن يهدروها، يريد لهم أن يعيشوا تلك الحياة الروحية التي كان يعيشها.

هناك العديد من المحطات التي توقفنا عندها، أنا وجميع من عاشر المهندس حسام، ومنها أعمال يوم الجمعة وأدعيتها، التي نظم لها المهندس وبمساعدة بعض الأشخاص موعداً ولقاء، جمع فيه عدداً من المؤمنين، ليكون لقاء دورياً ثابتاً، وذلك بشكل تداول أدوار، ليكون كل يوم جمعة في منزل واحد منهم، ممن يستطيعون ذلك. وتم العمل على هذا الأساس، وأصبح يوم الجمعة موعداً ثابتاً، محدداً وقته، وفيه يُعلن عن المكان في الأسبوع التالي، وكان لذلك اللقاء أثر جميلٌ في نفوسنا جميعاً من الناحية العباديّة، وازددنا بهذا اللقاء تقارباً والفة، وأصبحنا ببركته أكثر مودة، حيث كان يقرأ دعاء الندبة صبيحة كل يوم جمعة في بيت أحد الزملاء. لم يكن المهندس حسام ليتغيب عن لقاء يوم الجمعة، فهو بالنسبة إليه لقاء مقدس، لا يشغله عنه عمل مهما كان ضرورياً، لقد كان مواظباً عليه في كل الظروف، طالما هو في لبنان.

واظب على قراءة الدعاء بنفسه، وفي غير يوم الجمعة أيضاً، كنا نسعى للاجتماع اليه لنسمع الدعاء منه، لأن قراءته الجميلة للدعاء تحمل ميزتين، الميزة الاولى هي في صوته الجميل، والميزة الثانية هي في طريقته بالقراءة، لأننا معه كنا نشعر بأنه يدخلنا داخل هذه الكلمات الرائعة، وتتشرب نفوسنا معانيها السامية.

وبعد كل فطور، كان يقرأ لنا دعاء السفرة، وجميع الحاضرين كانوا يحبون كثيراً هذا الدعاء منه.

* مستشار المهندس حسام

ارفعوا الراية

من رواية **السيد محمد حيدر***

لا نستطيع أن نقول أن المهندس حسام كان محباً للمقاومة، فكلمة الحب لا تكفي للتعبير عما كان يبديه هذا الرجل تجاه المقاومة، من الأفضل أن نقول أنه ينتمي إلى المقاومة، انتماء محب، انتماء مؤمن شديد التعلق بإيمانه، هذا ما كان يظهر بوضوح، في كل ما كان يقوله، فهي دائمة الحضور على لسانه، يسمي الأشياء باسمها، كأن كل شيء ينتمي إليها، فإذا عمل على أرضٍ قال: هذه أرض المقاومة، وإذا عبَّد طريقاً، قال هذه طريق المقاومة، وإنٍ أراد تشجيعنا على العمل، أو شكرنا لما نقوم به قال: إنكم تشاركون المقاومة، إنَّ عملكم هذا هو مقاومة، وكان يحاول دائماً، ويسعى في كل حين لأن يحافظ على صورة المقاومة وجمهورها، أمام نظر الشعب الايراني أو غير الايراني.

ولست أنسى ذلك اليوم، كان المهندس حسام كثير الانشغال كما هي عادته، فجدول يومه مزدحم بالأعمال، حين تلقى دعوة لحضور حفل ترفع فيه راية المقاومة في إحدى القرى، كنت أعرف كم كان وقته مضغوطاً في ذلك اليوم، فبدا إصراره عجيباً بالرغم من ضيق وقته، ومن كون القرية الراعية للاحتفال بعيدة عن مهامه، وطبيعة عمله، أي أنه لا عمل له في تلك المنطقة، ومع ذلك أصرّ على الذهاب والمشاركة، لان في الحفل إعلاء لقوة المقاومة، وفيه ترفع رايتها. فما كان منه إلا أن أعاد تنظيم برنامجه، واستطاع تلبية الدعوة، وهو سعيد بقدرته على تلبية تلك الدعوة.

وهناك واجهت الإخوان المسؤولين مشكلة كبيرة، وهي أنّ حبل الراية لم يكن متيناً بما يكفي، وقد قطع عند محاولة جره، عندها حدث ارتباك كبير، وأصيب الجميع بالإحباط، وقد انعدمت الوسائل البديلة، فوقفوا وقد يئسوا واسقط ما في أيديهم، وكان لابد لهم من أن يتخذوا القرار المر والمحرج وهو تأجيل هذه الاحتفالية إلى وقت آخر.

وهنا تدخل المهندس حسام بكل ثقته العالية، وأصرّ حينها على أن ترتفع

* صاحب ومدير شركة قاسم حيدر وإخوانه – عمل مع الهيئة الإيرانية في تنفيذ مشاريع مختلفة

الراية دون تأجيل، ونزل في مواجهة هذا العائق، وتخطى المشكلة، حيث أحضر رافعة بسرعة فائقة، في الساعة نفسها، وأصلح الحبل، وتم رفع الراية في الوقت المحدد لرفعها. ووقف ينظر إليها سعيد وهي ترتفع بشموخ.

اللغة الصعبة

من رواية **المهندس محمد حسن***

كنت أعمل معه كمترجم خلال فترة تواجده في لبنان، وكان المهندس حسام يتكلم اللغة التركية، والكردية، والأفغانية أيضا، إضافة إلى اللغة الفارسية لغته الأساسية.

وكان الشهيد يهتم بتعلم اللغة الإنكليزية لتساعده في رسالة الدكتوراه التي كان يحضر لها والتي كانت تتناول موضوع مشاريع إعادة الإعمار.

وعلاقته مع القرآن كانت متينة جداً، فهو كتاب الله الذي لم يكن يفارقه، والذي يواظب على قراءته باستمرار، خاصة في الصباح، فهو يومياً عندما يصعد إلى سيارته يبدأ نهاره بعدد من صفحات القرآن الكريم. تعلقه بالقرآن وآياته كان كبيراً، من أهم الأسباب التي كانت تشكل حافزاً قوياً له، يدفعه ليتعلم اللغة العربية، بالرغم من انشغاله الشديد، كان يحب أن يتعلم اللغة العربية على صعوبتها، لتساعده في فهم القرآن، وما فيه من إعجاز لغوي.

كما أن لغته العربية الضعيفة كانت تزعجه كثيراً، لأنها كانت تشكل عائقاً أمام تفاهمه مع العمال وأصحاب المشاريع والمهندسين والشخصيات والوزراء...

ولكنه لكثرة انشغاله لم يكن ليتسنى له ذلك، فاللغة العربية صعبة لمن يريد ان يتعلمها، وتحتاج الكثير من الوقت لديه، فيحاول أن يكسب ما يستطيع من المفردات خلال العمل، وفي هذا السياق كان يطلب مني أن أعلمه اللغة العربية، ويقول لي:

– لا تعمل مترجم فقط... علمني أقول عربي.

يطلب إليَّ ان أقول الكلمات ليكررها هو. يريدني أن أكون معلما بدلاً من أن أكون مترجماً، ويحاول دائما أن يتحدث بالعربية، وإذا تعلم جملة ظل يكررها، وكان غيابي عنه لبعض الوقت يشكل له عائقاً كبيراً أمام تعلمه للغة، ويجبره على أن يتكل على نفسه في فهم اللغة العربية وترجمة معانيها إلى اللغة الفارسية.

في الأشهر الاولى لقدومه، كانت محاولاته تلك تثير الاعجاب، وفيها من

* موظف في الهيئة الإيرانية

الظرافة الكثير، والمهندس حسام بالرغم من جديته الشديدة في العمل، الا أنه رجل ظريف، يحب الفكاهة، وذو شخصية مرحة، فكانت الكثير من محاولاته لتعلم اللغة العربية تضفي على الجو المشحون بجدية العمل إبتسامة محببة، يسعى إليها هو ايضاً، أذكر في هذا الصدد أنه مرة في مارون الراس، بدَّل كلمة بواحدة أخرى، مختلفة تماماً، عندما أراد أن يشير إلى منطقة "اصبع الجليل" فقال "جبل الخليل". ضحكنا جميعاً، فسألني، وحين ترجمت له الخطأ، غرق معنا في ضحك طويل.

هناك حادثة طريفة أخرى، أذكرها في إطار معاناته مع اللغة العربية. كان قد سمع كلمة حفظها وظلت في ذهنه، لا أدري من أين جاء بها، لابد أنه سمعها من أحد ما، لم أعد أذكرها الآن، وحين ذهبنا إلى السفارة الإيرانية مع الأخ زهير، والتقى هناك بأحد الأشخاص، وفي طيات الحديث ألقى المهندس هذه الكلمة، وحين غادرنا أخبره الأخ زهير ما تحويه هذه الكلمة من معنى غير لائق، فتوقف المهندس حسام، وقد أذهلته المفاجأة، ثم توجه على الفور نحو الرجل وأخذ يعتذر إليه، ويتأسف بأدبه ولياقته المعروفة، راجياً منه المسامحة، وهو يقسم له أنه لم يكن يعلم معناها.

أين هو؟!

من رواية **المهندس عباس حرب***

هو شخص مختلف عن المسؤولين الذين نراهم في حياتنا، فأنا طوال حياتي العمليّة لم أرَ رجلاً رفيع المقام يتصرف كما يتصرف المهندس حسام، لم يكن يبالي بموقعه كمدير عام، لا يطلب الراحة ولا يسعى اليها، لم يكن يخصص نفسه أو يميزها، باي شكل من أشكال التمييز، بل كان يتعمد لشدة تواضعه أن يكون كأي فرد من العاملين معه، ويعمل بإخلاص شديد، فهو على سبيل المثال، إذا أراد أن يكشف على طريق أنجزت حديثاً، كان يمشي على طول الطريق سيراً على الأقدام، ولو كان طول الطريق "2 كلم"، أما غيره وحتى من المتعهدين الصغار، أن أرادوا الكشف على طريق ساروا عليه بسياراتهم الفارهة المكيفة، وكان معنا في مواقع العمل كأي واحد منا. إن لم تكن على معرفة مسبقة به لن تستطيع تمييزه، مرارا كان يحدث هذا، يكون معنا في موقع العمل ويسأل أحدهم، أين هو؟!، وحين نشير اليه يقف السائل مذهولاً حين يجده وسط العمال، أو يراه يساعد عاملا في عمله. وإذا حان موعد الغداء كان يجلس دائماً مع العمال على نفس الطاولة يتناول طعام العمال البسيط.

كنا مرة في اجتماع في مكتب الهيئة، وخرج قبلي بعشر دقائق، وعندما خرجت وجدته يغير دولاب سيارته، وكثير من العاملين لديه كانوا بالقرب من مكان تواجده، وكان بإمكانه أن يستدعي أحدهم لمساعدته، لكنه لم يطلب المساعدة من أحد ، ركضت إليه، وأنا اطلب منه ترك العمل، وأن أقوم أنا بذلك، لكنه رفض بشده، ولم يقبل رغم إصراري الشديد عليه.

لقد كان قلبي يتفطر عليه، يرهق نفسه كثيرا في العمل، مرة كنا في الجنوب في جلسة عمل طويلة، ولم تنتهِ قبل الساعة الحادية عشرة ليلاً، واضطر بعدها للعودة إلى بيروت للعمل على بعض الأوراق، وفي الصباح الباكر قبل الساعة السابعة عاد إلى الجنوب. ومما عرفته أنه كان عندما ينزل إلى بيروت لا ينام بل يكتب ويحضر.

* مدير مكتب الهيئة الإيرانية في منطقة النبطية لمدة ثلاث سنوات – مدير كسارة ومجابل الهيئة الإيرانية في الجنوب لمدة ثلاث سنوات

إنه صديقي

من رواية **المهندس عباس حرب***

إذا مررت على كل الطرقات التي نفذها المهندس حسام، وسألت أي شخص من أهالي المنطقة والجوار هناك هذا السؤال:

– هل تعرف المهندس حسام؟

لقال لك على الفور وبلا تردد:

– طبعاً أعرفه.. إنه صديقي.

هذا ماكنت أسمعه بأذني مراراً. حتى أنني وفي أحد الأيام أردت صرف عامل أساء إلى العمل كثيراً، وكما كان يطلب منا المهندس حسام في التعامل مع العمال، تأكدت بأنني غير ظالم له، ثم استدعيته ومنحته كامل حقوقه وزيادة، وطلبت منه مغادرة العمل، لكنه وقف أمامي واثقاً وقال لي:

– لا يمكنك طردي، لا أحد يمكنه طردي.

– لماذا؟!

– لان الحاج حسام صديقي.

وحين حدثت المهندس حسام بما جرى، وقلت:

– لقد صرفت صديقك.

ضحك وقال لي:

– كل موظفي الكسارة أصدقائي.

عندما يأتي إلى الكسارة يسلم على جميع العاملين دون استثناء، (ولو كانوا خمسين شخصاً). يتحدث إليهم ويلاطفهم. إنه حقا صديق الجميع، بل هو أكثر من صديق.

عندما كنا في ايران، كان خادماً لنا بكل تصرفاته، كنا نخجل منه لشدة تواضعه، وقبل العودة إلى لبنان جمعنا في حفل مؤنس، أراد له أن يكون خاتمة الرحلة، وفي هذا الحفل خطب فينا خطبة جميلة ومؤثرة، أعرب فيها عن حبه لنا، وفي نهاية الخطبة طلب منا أن نسامحه. استغربت زوجتي قوله هذا، والتفتت إليّ قائلة:

– على ماذا يجب أن نسامحه؟ هو من يجب أن يسامحنا على تصرفاتنا.

* مدير مكتب الهيئة الإيرانية في منطقة النبطية لمدة ثلاث سنوات – مدير كسارة ومجابل الهيئة الإيرانية في الجنوب لمدة ثلاث سنوات

لم يخطئ مع أحد، كان يبحث عن راحتنا طوال الرحلة، حتى أنه إذا أخذنا إلى مطعم، قام هناك بخدمتنا، كان هو من يستلم الطعام من المطبخ، ويعطيه للنادلين لتوزيعه على الطاولات، رغم عددنا الكبير، كنا 150 شخصاً، وهو يدور علينا، يسألنا عما نحتاجه. كان يرعانا طوال الرحلة كما يرعى الأب أبناءه الصغار، وفي نهاية المطاف يطلب إلينا المسامحة.

من رواية **المهندس عباس قطايا***

طوال فترة تواجدنا مع المهندس حسام، كنا نرى هذا الرابط القوي الذي يربطه بالمقامات الشريفة، كلما مرّ بجانب مقام لنبي أو وليٍّ نزل عنده، وكأن روحه لا تهدأ إلا هناك، يدخل إلى تلك المقامات وفور دخوله يتأثر بحالة روحانية خاصة. وإن كان الوقت ضيقاً، اكتفى بالدعاء والصلاة ركعتين، ثم يخرج منها آسفاً مرغماً كمن يغادر وطنه.

لم يبق في لبنان مكان من تلك الأماكن المباركة لم يزره المهندس حسام، كان يبحث عن تلك الأماكن عبر الخرائط، أو عبر السؤال عنها، والمتابعة الدقيقة لدى سماعه أية معلومة يقولها الناس عنها، كان يواظب على زيارة الأولياء والصّالحين، كانت مجرد معلومة تنبئ عن مكان يحتمل أن يكون قبراً لأحد الصالحين أو مقاماً لهم تكفيه، سواء كان ذلك بطريقة مثبتة أم غير مثبتة، لذا كنا نجده سباقا لنيل البركة من تلك الأماكن، فهو يعتبر أن هذه الاعمال تكون بنياتها، وربه أعلم بمقصده.

كنا إذا ذهبنا إلى زيارة المقامات، ومنها مقام السيدة رقية، نزور ونقوم بالأعمال المفترضة، ونرمقه من حين لآخر منتظرين أن ينتهي من زيارته وتعبده، ولكن في كل مرة كنا نطيل البقاء حتى ينفذ صبرنا، ونلجأ إلى التدخل، فلا ينقطع انشغاله بالتعبد حتى نقول له:

– يا حج حسام لازم نمشي تأخرنا.

ومن أدبه، وحسن خلقه، أنه ما كان ليسبب أي ازعاج لمن معه، ونشعر أنه لولا أن طلبنا إليه ذلك لبقي هناك إلى ما شاء الله.

في الفترة الأخيرة، قبل استشهاده، كان الوضع الأمني متوتراً للغاية، ذهبت إلى سوريا لأصحبه من المطار، كي نتوجه إلى لبنان بأسرع وقت ممكن، لكنه أراد أن يمر على مقام السيدة زينب عليها السلام ، وفي تلك الظروف الصعبة، وبالطبع، كانت ردة فعلي على طلبه أن اعترضت بشدة، لكنه أصرّ جازماً على عدم المغادرة قبل زيارة مولاتنا السيدة زينب عليها السلام ، وقال لي:

– مستحيل أن أمر من هذه الطريق، ولا أمر لأسلمّ عليها.. مستحيل!

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

والملفت في الأمر أنه لم يمض على زيارته الأخيرة للمقام وقت طويل. لكنه اعتبر أن الوصول إلى الشام دون المرور على مقام السيدة وزيارتها أمر شاذ، أو هو كالذنب العظيم. ومعرفتي أنه لن يكون مرتاحاً أبداً لو ذهبنا إلى لبنان دون زيارتها جعلتني أرضخ لطلبه، وأنا أدعو الله بالحفظ والتيسير، وفي الطريق صادفنا أحد الحواجز الذي ظهر أمامنا بشكل مباغت، ولكنه ولحسن الحظ كان حاجزا للجيش السوري. كنا نسير بحذر شديد، فلم يكن هنالك طريق مضمون بالأمان، وما كان ذلك ليشكل فرقاً لدى المهندس حسام، همه هو أن لا يقصّر مع مولاته زينب الكبرى عليها السلام ، حين يكون قريبا منها ولا يزورها.

وأذكر جيدا أنه عندما وصلنا إلى المقام، ورآه مغلقاً، لم ييأس، إنما توجه إلى الشخص المعني بالحراسة هناك، ليسمح له بالدخول، توسل إليه كثيراً ليفتح لنا الباب، ولم تكن عنده مشكلة أن يتوسل طويلاً ويرجوه، حالة الاذلال التي وضع نفسه بها أمام هذا الشخص لم تكن تهمه، فنفسه ليست أعز عليه من زيارة لمولاته، وكان لابد للحارس أمام لهفة المهندس ان يفتح له الباب، وما إن فتح الحارس الباب حتى دخل المهندس باكياً، راكعاً عند عتبة الضريح، يمسح خدّيه ودموعه بأرض مدخلها، وعلى الباب وقف طويلاً وقد أسند جبهته إليه، كان جسده يهتز من شدة البكاء، ثم مشى إلى ضريحها كالعليل، خاشعاً كالمتردد في خطاه، كالمتقدم بين يدي ملكة عظيمة الهيبة والسلطان، حتى إذا وصل عندها جلس ممسكاً بحلقات الضريح، متوسلاً باكياً يرجو شفاعتها.

لا يمكنني التعبير عن حالة المهندس وهو يزور السيدة زينب عليها السلام ، فعلاقته بالسيدة زينب كان لها معنى خاص، كان يترك لنفسه العنان في المقام، لا يبالي بمن حوله، كأنه ينسى، أو يغيب، فلا يعود يرى أحداً، كأنه هو وحده مع مولاته زينب، يجهش بالبكاء، يصرخ، أو يعبر بطرق وجدانية. وإذا غرق في قراءة الزيارة والدعاء أبكانا جميعاً.

سحر التواضع

من رواية **المهندس عباس قطايا***

كان له سحر خاص، يؤثر به على الناس، فهل من المعقول أن مسؤولا مثله، يحتك بهذا العدد الكبير جدا من الناس، دون أن تجد أحداً يستطيع أن يلومه، أو أنه ترك أثراً سلبياً عنده، بل العكس هو الصحيح، لقد أحبه جميع من التقى بهم، وإن اختلفت مواقعهم ، أو انتماءاتهم الدينية أو السياسية، إنه فعلاً رجل ساحر، يستطيع أن يترك مثل هذا الاثر عند كل من عرفه، غنياً كان أم فقيراً، كبيراً أم صغيراً، لم يغضب منه أحد طوال استلامه لمسؤوليته.

مع كل هذه المواصفات والجديّة في العمل، وما أظهره من التفاني والإخلاص، نحن نتكلم عن شخص يتمتع بروح مرحة، لا يعرف وجهه العبوس، ولا تراه عاقد الحاجبين أبداً، فهو دائم الابتسام، بالرغم من كل تلك المشاكل والتعقيدات التي كانت تحيط به.

كان حسن العشرة بشكل غريب، خاصة في تواضعه الذي لا يصدق، فكيف يكون رجل في مثل مكانته، والموقع الذي هو فيه، بهذا الكم من التواضع الذي هو زائد عن حده المألوف؟!

مكتبه على سبيل المثال، لم يكن مكتب مدير، ليس له خصوصية معينة، كما هو الحال في مكاتب من هم أقل منه شاناً بكثير، فالداخل والخارج يسلم عليه، دون الحاجة إلى وسيط، أو حاجب، أو مدير مكتب، ولا حتى سكرتير، يخبره بوجود الشخص الذي يريده . حتى أثاث المكتب لم يكن يبالي به، لم يشارك بانتقائه، لا اللون، ولا الصنف، ولا النوعية، يعترض فقط حين يكون باهظ الثمن، أو مترفاً، أو يوحي بأهمية صاحبه وعلو شأنه، لقد اعتدنا على مثل هذا منه، وبتنا نعرف مع الوقت هذا الطبع فيه، حتى قيل لي بعد ذلك ان كرسي مكتبه أصبح مهترئاً لكثرة الاستعمال، ولم يعد صالحاً لكونه أصبح غير مريح، ويشكون من عيوب في بنيته، وحين جاءوا له بكرسي جديد اعترض على ذلك ورفض بشده، وطالبهم بالكرسي القديم، وحمل الكرسي الجديد وأعطاه لأحد الموظفين.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

حين يكون في مكتبه مع عدد من العاملين لديه، ويطرق أحد باب مكتبه، يقوم بنفسه ليفتح الباب، ولا ينتظر من يفتح الباب عنه، في مراعاة لموقعه كما هي العادة في مثل هذه الحال. وهو يقدِّم الضيافة بنفسه للحاضرين، كائنا من كانوا.
كان كريماً جداً، ولم يكن ليأكل شيئا دون إطعام جميع الحاضرين معه، وإن كانت قطعة صغيرة، قسّمها إلى قطع وأطعم منها كل من معه.
كانت الرُّمانة بين يديه تصل إلى كل الحاضرين، وهو يعلمنا طريقة الأكل، فله أساليبه الخاصة في أكل الرمان.

عاملاً في المطار أو نادلاً في المطعم

من رواية **المهندس عباس قطايا***

في الرحلة إلى ايران، رأينا منه ما أذهلنا وما سحرنا في آن، إذا راقبت أفعاله في تلك الرحلة، ولم تكن تعرفه، وأردت أن تضع له توصيفاً معيناً، فسوف يكون إما خادما في الحملة، أو عاملا في المطار، أو نادلاً في المطعم. هذا التواضع غريب علينا ولا نعرفه، لم نجد له مثيلاً أبداً، كان لا يجلس في المطعم ليتناول وجبته قبل أن يطمئن إلى أن الجميع قد جلس، وأمام كل واحد ما يحتاجه، علما أننا في تلك الرحلة كنا نبلغ 150 شخصا. وكان آخر من يسكب الطعام لنفسه، من باب الاطمئنان أن الجميع نالوا حصصهم.
لم يكن يستقل سيارته الخاصة في الرحلة ليلتقي بنا في الأماكن المتفق عليها في جدول الرحلة، بل كان يركب معنا في الباصات، ويتفقدنا فردا فردا، ويسأل عن حاجاتنا.
بعد الرحلة، وحين عدنا إلى لبنان، أضاف إلى ذكريات الرحلة عملاً جميلاً.لن ننساه، وذلك في مناسبة ولادة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، حيث اجتمعنا في استراحة "الفاميلي هاوس"، وكانت الدعوة لجميع الذين كانوا في تلك الرحلة، وبعد اجتماع الكل، أخذ ينشد باللغة الايرانية تواشيحاً للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، لم يكن حاجز الموقعية، أو المسؤولية ليمنعه من أن ينشد على سجيته أمام الناس، بصوته الجميل المؤثر.
يكفي ان نذكر قصة اختياره لشعار الهيئة، لنرى كل ذلك بوضوح، عنواناً لكل ذلك الذي هو فيه، واختصاراً لكل التصرف الفريد الصّادر عن المهندس حسام. لم يكن يريده شعاراً إعلاميا أو ما شابه ذلك، فهو أبعد ما يكون عن مثل تلك الشعارات، وقد أخذ وقتا كافيا لاختياره، وكنا قد اقترحنا عليه شعارات عدّة، قريبة مما كان يريد، منها مثلاً: "في خدمة الشعب اللبناني". ولكنه قال أنه يجب أن ننظر أو نذهب إلى ما هو أعمق من هذا، إلى أن اختار شعاراً وجده معبّراً تماماً عما يريد، وبقي حتى الآن شعاراً للهيئة، وهو قول الامام الخميني:
"لا تمنّوا على الناس بأنكم تخدمونهم بل هم يمنّون عليكم بأنهم طريقكم إلى الله".
هكذا كان يفكر، وتلك هي الرؤية الواضحة عنده بلا تردد أو غموض.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

أبٌ بلا نظير

من رواية **المهندس عباس قطايا***

لم يكن عددنا قليلاً نحن العاملون مع المهندس حسام، شاءت ظروفنا، وحسن حظنا، وابتسمت لنا أقدارنا إذ جمعتنا معه، تعلمنا منه الكثير، لم تكن دروساً شفهية أو مكتوبة، كانت عملاً صامتاً أبلغ من أي كلام، منهج حياة، تلك الاخلاق الرفيعة، وذاك الاهتمام والعطف الذي أحاطنا به، ذاك وحده كان مدرسة في التعامل، فبالرغم من مشاغله الكثيرة، كان يرعانا فرداً فرداً، ويبدي اهتماماً شخصياً بكل فرد منا.

إذا ما غاب موظف سأل عنه، فإن كان مريضاً زاره حاملاً هدية، متفقداً حاجته، وإن كانت لديه مشكلة أعانه في حلها، كان حريصا على حل مشاكل الإخوة سريعاً، ودون انتظار، وكأنها مشكلته هو. يسارع بالاتصال بهذا وذاك، حتى إذا استطاع المساعدة يهدأ، وكأن تلك المشكلة كانت حملاً ثقيلاً على ظهره، وقبل أن نلجأ إليه، هو من كان يبادر بالسؤال، وأنا واحد من الذين عايشوه، لقد سمعت ورأيت كل ذلك منه، فعلى عدد لقاءاتي به، كان عدد أسئلته عن عائلتي، أهلي، وأولادي، ليس سؤالاً عابراً وسريعاً، بل يسألني عن أحوالهم بالتفصيل، بأسمائهم واحداً واحداً.

في اليومين الأخيرين من الرحلة التي أخذنا فيها إلى ايران، أردنا أن ننزل إلى السوق، لكي نشتري حاجاتنا والهدايا قبل أن نغادر، ومن الطبيعي أن تحتاج جولة التسوق إلى خمس ساعات أو أكثر، وعندما عدنا إلى الفندق، وجدت المهندس قد أخذ ابنتي إلى المستشفى نتيجة عارض صحي أصابها خلال تواجدي في السوق، ورافقته زوجتي، لقد استقل سيارة أجرة ليأخذهما– هو يستطع أن يستدعي مئة سيارة بمكالمة هاتفية باعتبار موقعه ومكانته– لحقت بهم على جناح السرعة، ووجدته هناك، كان يتكلم مع الدكتور وكأنه أبوها، يتكلم ويتحرك بكل لهفة الاب، لقد اتم لها الفحص الطبي، وأخذ لها التحاليل المخبرية، طلبوا منا الرجوع عند الساعة الخامسة لأخذ نتائج التحاليل، وانتظرت في بهو الفندق، حتى يحين الوقت المحدد لموعد النتائج، وعندما أصبحت الساعة الخامسة إلا ربعاً، قمت لأذهب، فرأيته ينزل من على الدرج على عجل، ويقول للحاضرين:

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

– أنا ذاهب مشوار صغير ولن أتأخر.
– مهندس ...الى اين؟
أصر الحاضرون على سؤاله، فأجاب في عجلة:
– أنا ذاهب لجلب نتيجة التحاليل.
تقدمت وأنا اقول:
– لا يا مهندس.. أنا أذهب.
لكنه لم يوافق، وأخذنا في الجدال، لم أستطع أن أثنيه عن رايه، حتى وصلنا إلى تسوية مقبولة حين قال:
– أنت مصر على الذهاب.. نذهب معاً.
قد يكون هذا غريباً على اي أحد، ولكنه ليس غريباً على المهندس حسام.
في أحد الايام كنا عائدين وحدنا معاً من البقاع إلى بيروت، وهو كان يعلم أني أريد أن أوصله، ثم أعود لأصعد الى البقاع لتفقد عائلتي في القرية، ثم أعود إلى بيروت على عجل لضيق الوقت، كان يكفيني مجرد المرور والاطمئنان عليهم، فإذا بالمهندس حسام يقول:
– سأمر معك عند عائلتك فأنا أريد رؤيتهم.
طبعاً هو لم يكن بحاجة إلى رؤيتهم، ولكن قال ذلك بهدف تشجيعي على المرور، دون أن يعذبني بايصاله ثم العودة، وليتيح لي وقتاً اضافياً، وجهداً اقل، وذلك بتوفير مسافة الطريق، ما أريد قوله أن المهندس لم يكن مضطرا لأن يمر معي، وهو كان قد تحمل عناء ومشقة طوال النهار.
فكر بي ونسي نفسه، ولم يكتفِ بذلك، بل زاد عليه من أدبه، والخلق الرفيع، فحين وصلنا لم يجلس وينتظرني، لم يكن يريد أن يشعرني بهذا، قام يلاعب الأولاد كثيراً، وتحدث معهم، يريدني أن أنساه، ولم يطالبني بالرحيل، بل تركني على راحتي، وظل يلاعب الأطفال، وهو الذي يجيد ذلك، حتى بادرت أنا وطلبت الانصراف.
كان رؤوفا حنونا على الجميع، رغم اهتمامه بالعمل والدقة والحرص الذين يبديهما تجاه العمل، وهذا معروف عنه، رغم الحسم الذي يطلبه مثل هذا الإتقان، حتى مع الأخطاء التي لم يكن يتسامح معها. لقد أعد أحدهم يوماً كتابا وأخطأ في تدوين بعض الأرقام عن إهمال واضح، فكانت نتيجتها أن حصلت مشكلة بينه وبين مدير المالية، فما كان من الأخير الا أن طرده، كلنا يعلم أن هذا الموظف أخطأ بلا شك، لكن المهندس حسام لم يرضَ بردة

الفعل هذه، أعتبرها مبالغاً فيها، ولم يكتفِ بإلغاء قرار الفصل، بل ذهب لزيارة الموظف في منزله، واعتذر منه على حصول طرده.
لقد كان يستطيع الاتصال به، وكان ذلك كافياً ليكون المطرود سعيداً، لكنه لم يفعل، بل ذهب اليه، وطيب خاطره، وفي الوقت عينه أوضح لهذا الشخص، أنه لا يستطيع أن يتنازل له عن هذا الخطأ الذي قام به، وأن المعالجة ستكون في أماكنها وأطرها فقط.
ولم يكن ليكتفي باهتمامه شخصياً بكل فرد منا، بل كان يجمعنا معاً، يقارب بيننا، يسعى إلى حل خلافاتنا مع بعضنا، يصنع منا عائلة واحدة، وكان الأحب إليه أن يجمعنا على مائدة واحدة، إن في المطاعم، أو في أماكن العمل، كان يقدم لنا الطعام بنفسه، يطعمنا بيده لو استطاع، ويصنع جواً من الإلفة والمرح.
كان أباً، بل أباً مثالياً قل نظيره، أبا لعائلة جمعها بنفسه، وألَّف بين قلوبها، وعلّمها الكثير. ونحن إلى الآن كلما اجتمع بعضنا، تحسرنا، وخرجت الآهات الحبيسة من الصدور، ودمعت العيون شوقا اليه.

علاقته بوالده

من رواية **المهندس عباس قطايا***

في أحد الايام زار والد المهندس حسام لبنان، وكانت الزيارة الأولى له، لم يكن قد اعتاد على الطقس في لبنان، فتغير عليه حال الجو، ولم يلائم جسده مثل هذا التغير المفاجئ، فمرض مرضاً شديداً، فأخذه المهندس إلى المستشفى، وفور سماعي بالخبر لحقت به، فوجدته في قسم الطوارئ، جالساً إلى جانب والده في الانتظار، وقد بدا عليه التعب، فسألته:

- منذ متى وأنت هنا؟

- منذ ساعتين.

حين أخبرت الشباب عندنا لم يتحملوا هذا الخبر، اذ كيف يبقى المهندس كل هذه الفترة في الانتظار، وكل هذا الوقت في قسم الطوارئ، فتركته لأذهب إلى أدارة المستشفى لأتكلم معهم، ولكنه حين علم بذلك أعترض بشدة، ورفض رفضاً قاطعاً، وهو يقول باستنكار:

- لماذا تتكلم معهم... هم يعملون بالأولويات.

بقي والد المهندس حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً، ولم يقبل مراجعة أحد، طبعا المهندس حسام يستطيع أن يأخذ والده إلى أي مستشفى، وهذا من حقه، لكنه لم يفعل. أراد أن يكون كسواه من الناس، يحق له ما يحق لغيره من عامة الشعب.

كانت معاملته لوالده مؤثرة جداً، فيها من الحب والاحترام الكثير، لقد ترك ما يستطيع من أعماله، وكان يتابع باقي الأعمال على الهاتف، لم يغادر المستشفى للراحة والنوم ولو قليلا.

تذكرت حينها عندما كنا في الحج، وحجزناه في الحمام لنحلق شعر أبيه، ولكنه لم يقبل الا أن يحلق رأس أبيه بنفسه.

وقد عبر والده في إحدى المقابلات الاعلامية، بعد استشهاد المهندس حسام، بكلام مؤثر حين قال:

- إن الشهادة ليست أمرا مستغربا بالنسبة إلى شخص يسعى إليها منذ ثلاثين عاما.. فمن يسعى لغرضه طوال هذه المدة لا بد أن يصل. .. ..أنا أشعر بالحزن على فقده، ولكني أفتخر بشهادته.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

استثمار الموقع

من رواية **المهندس عباس قطايا***

كان يتعمد التكتم على شخصيته خوفا من استغلال ولو بسيط لموقعه ومكانته. كثيرة تلك الحوادث المثيرة للاستغراب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما حدث في ايران، في الرحلة التي اخذ فيها الموظفين في الهيئة، في رحلة زيارة وسياحة إلى ايران، وكان من ضمن البرنامج، زيارة إلى القصر الذي كان يسكنه الشاه، لقد كان العدد كبيراً جداً، ولهذا استلزم تقسيم دخول الزوار على دفعات، وبعد دخول دفعتين من وفدنا، قدم إلى القصر وفد ألماني يريد الدخول، فما كان من البواب إلا أن قطع دور أحد دفعاتنا، وأدخل الوفد الالماني بدلاً منهم، رفض المهندس هذا الخلل المتعمد، طالب البوّاب بتصحيح الوضع، لكن البواب رفض قائلاً:

– هذا الوفد وفد الماني مهم.

لكن المهندس حسام رفض هذا المنطق، وقال بإصرار:

– إن من معي هم أهم من أوروبا بأكملها.

فصرخ البواب بوجه المهندس قائلاً.

– أنا من يقرر وليس أنت

لم يفكر المهندس حسام، حتى مجرد التفكير أن يستعمل بطاقة التعريف، ليعرف عن نفسه، حتى لأخذ الحق الذي هو مقتنع به، ارتفع صوت البواب وهو يطرد المهندس، وبمجرد أن سمع اللبنانيون صراخ البوّاب يعلو في وجه المهندس حتى اسودت الدنيا في أعينهم، إنه المهندس حسام، هذا العملاق بالنسبة إليهم، ما هان عليهم، ولم يستطيعوا احتمال أن يصرخ أحد بوجه، فهجموا على البواب وضربوه.

في مثل هذا الجو المشحون لم يكن من الشهيد إلا أن يعمل على تهدئة الناس، لكنه كان مستاءً جداً من فعل الشباب، لأنهم انفعلوا واخطأوا، وكان عليهم أن يتركوا الأمر له، وهو قادر على حل المشكلة، وأخذ حقهم بطريقة اخرى. خلال هذا الوقت كان قد وصل الخبر إلى الادارة والموظفين في القصر، وعرفوا بأن هذا الشخص الذي منع من الدخول، هو ممثل رئيس

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

الجمهورية، وأن معه وفد الهيئة، فجاؤوا جميعا إلى الباب، ليعتذروا منه، ويصلحوا الحال، ويدعوه إلى الدخول برجاء واحترام شديد، لكنه رفض الدخول قبل أن يعتذر هو من البواب الذي ضُرب، وتأكد بعد أن قبّله بأنه راضٍ، توجه إلى مدير القصر ومن معه، وأخذ يعظهم قائلاً:

– عليكم أن تعطوا كل ذي حقه.. دون النظر إلى الموقعيّات أو سواها.. فلو جاء الألمانيون أولاً، كان من الواجب إدخالهم قبلنا.

وكان يستنكر بشدة كل من يستغل موقعه، أو يتصرف من وحي ذلك الموقع. حين كان هو والأخ كاظم، متوجهين إلى منطقة البقاع، كان عليهما أن يمرا بطريق ضيقة، وفجأة علت أصوات أبواق السيارات، وكانت تلك السيارات تابعة لموكب أحد السياسيين الكبار، وكانت تسير خلف سيارة المهندس، وتطلق جميعها الابواق كي يفسح له المجال، كان المطلوب أن تقف السيارة إلى أقصى جانب الطريق، ثم تنتظر الموكب حتى يمر بكامله، وكان كاظم مرتبكاً، ويحاول أن يفسح مكاناً في الطريق، فطلب منه المهندس حسام أن لا يفعل، اي أن لا يقف ولا يفسح لهم الطريق، وليفعلوا ما يشاؤون، وطبعاً كاظم يحب هذه الحركات، صار يحاول منعهم من التخطي، وهو يضحك سعيداً بهذه المهمة، لكن سيارتين من الموكب استطاعتا تخطي سيارتهما، أما الأخريات فبقيت خلفهما، تطلق الأبواق طوال الوقت، إلى أن اتسعت الطريق وحلت المشكلة، عندها سأله كاظم:

– لماذا طلبت مني ذلك؟

– هؤلاء السياسيون في لبنان لديهم عادات سيئة.. فهم يخافون على أنفسهم، ويمارسون التصرفات الأمنية التي لا تراعي أرواح المواطنين.

كان يقصد المهندس أن هذا السياسي الكبير، يعلم أن الطريق ضيقة، وأن أي محاولة من السائق للافساح في الطريق، قد تعرضه للخطر، وبالرغم من ذلك فهو لا يكترث.

كي لا يخجلوا

من رواية **المهندس عباس قطايا***

كان رجلاً رياضياً ولاعباً جيداً لكرة القدم، أنشأ معنا فريقاً لكرة القدم، وكان يولي اهتماماً خاصاً بالشباب وبالرياضة، وقمنا كهيئة ايرانية بإنشاء ملاعب لكرة القدم في الضاحية الجنوبية، وكنا سعداء لأننا نستطيع متى شئنا استثمار تلك الملاعب، حين يتسنى لنا الوقت لنحدد زمناً لمباراة بيننا في الهيئة، وكنا نريد أن نلعب على الملاعب التي أنشأناها، وعندما قررنا أن نلعب في أحد الايام، طلب مني المهندس أن أذهب وأنسّق الحجز مع أحد الملاعب التي أنشأناها حديثاً، لكنه اشترط عليَّ أن لا أصرح بأننا من الهيئة الإيرانية، استغربت ذلك وسألته:

– لماذا يا مهندس؟

– كي لا يخجلوا منك.. كي يأخذوا نقوداً.. ويعطونا دوراً في النظام.

– ولكن يا مهندس.. إن كان لصاحب الملعب صديق أو قريب يستطيع أن يأخذ في الوقت الذي يريد، ونحن أنشأنا هذا الملعب...

– لا نستطيع نحن.. كل واحد يأخذ بالنظام.

كان يريد منا أن نجمع بدل الإيجار، منا ومنه، كما يفعل سوانا. وخاف أن تكون الأوقات محجوزة، ويعطونا دورٍ فريق آخر، فبالنسبة اليه هذا هو الحق الذي يجب الالتزام به. ويتابع قائلاً:

– إذا لم يكن دور.. لا مشكلة.

نظرت إلى شبابنا ضاحكاً، والتأفف بادٍ على وجوههم، باعتبار أننا كهيئة أولى أن نقوم نحن باختيار الزمان والمكان اللذين يناسباننا، ولكن بالنسبة إليه، وهو مدير الهيئة، ويمثل ما يمثل، الأمر مختلف عنده، لا مانع لديه من أن نبحث، وإن لوقت طويل عن ملعب شاغر آخر ونحجز فيه. هذا التذمر دفعنا لنقول:

– وإن لم نجد يا مهندس؟!!

فأجاب بكل بساطه:

– لا مشكلة.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

إنه منهم

من رواية **المهندس عباس قطايا***

عندما بدأنا نناقش الملف الاعلامي في حديقة ايران في مارون الراس، اقترح المهندس حسام أن نسمي كل خيمة على اسم شهيد من شهداء قرية مارون، لكننا كلبنانيين لم نجد الأمر مناسباً، ناقشناه في ذلك، وأعطيناه مثالاً، بأنه إذا سأل أحدنا عن الآخر : اين أنت؟ فسيقول: أنا جالس في خيمة الشهيد فلان. وفي الخيمة أراكيل ولهو، وما شابه ذلك، قد يترك هذا انطباعاً سلبياً لا يقبل به عوائل هؤلاء الشهداء، فاقتنع وتراجع عن الفكرة فوراً، فهو يريد تخليد الشهداء، ولا يريد إزعاج ذويهم، فذاك خط أحمر عنده، ولكنه أصرَّ أن يفعل شيئاً للشهداء في تلك الحديقة التي كانت عزيزة عليه.

ثم اقترحنا عليه تسمية الخيم باسم المحافظات الإيرانية، ولكنه لم يقتنع، فالجهاد والمجاهدون هم دائماً في رأس اهتماماته، وأوعزنا إلى من حوله بأن يضغطوا عليه ويقنعوه، حتى وافق أخيراً، ولكن موافقته كانت مشروطة، والشرط هو أن يحمل كل "تراس" لوحة تعريفية عن كل محافظة، ويظهر فيها بوضوح، أسماء شهدائها، وجرحاها، ومعوقيها من المجاهدين.

كان هذا هاجسه الدائم، حتى عندما أردنا أن نضع النصب التذكارية في الحديقة، وبالرغم من كونها حديقة ايران، لم يقبل بأن يراعي فقط القومية الايرانية، بل كان يريد تخليد ذكرى الأعلام الحديثة للإسلام، أو أعلام الحقبة الأخيرة، كالشهيد بهشتي، والشهيد محمد باقر الصدر، والسيد موسى الصدر، والإمام الخميني.

لطالما كنت أتساءل عن هذا الحب والشغف الذي يبديه للمجاهدين والشهداء، حتى إذا نظرت إلى ماضيه عرفت الإجابة، فهذا الرجل منهم، له تاريخ طويل وحافل في كل ساحات الجهاد في إيران، قبل انتصار الثورة وبعدها، حبه للمجاهدين نابع من كونه منهم، كما يحب المرء نفسه، إنهم هو، وهم ما كان وما يريد أن يكون، لم يبتعد، ولم يستطع الانسلاخ عن كل هذا الذي هو فيه، وما شغفه بالشهداء وحبه لآثارهم إلا انعكاس لما هو فيه.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

حين وصلت إلى هذه النتيجة داهمني حزن كبير، شعرت بمرارة انقبض لها قلبي، رايت نتيجة ما كنت أراه من قبل، خيّم عليّ حزن عميق وأنا أردد واثقاً بيني وبين نفسي:

– لن يبقى هذا الرجل الفذ طويلاً.. إنه منهم.

عرفت بعد ذلك رجلاً اسمه إحسان رجب، وهو مصور معتمد عند الإمام القائد، أعدّ كتابا مصوراً مهمّاً عن الحرب الإيرانية العراقية، ويعتبر من أجمل الكتب. وأعدّ فيلماً مصوراً عن لبنان. كان يخبرني إحسان هذه القصة وهو يبكي، حدثني أنه عندما طلب إليه المهندس حسام أن يأخذ له صورة، قام إحسان رجب بالإعداد للصورة، ولكنه توقف، ورفض أن يصور، فسأله المهندس حسام عن السبب، فأجاب احسان:

– إن آلة تصويري هذه عندما أمارس عملي معها تنتابني مشاعر مختلفة، فإن شعرت بشغف شديد مع الشخص الذي أصوره، فإنه يستشهد، وأنا اشعر بهذا الشغف معك.

ضحك المهندس حسام وقال:

– لا تبالي.. أنا أريدك أن تصورني.

من رواية **المهندس عباس قطايا***

كنا في البقاع مع شخص ثالث، وهذا الرجل من منطقة البقاع، وعندما جعنا، كلفه المهندس بتأمين الغداء، باعتباره من سكان المنطقة ويعرف ما فيها، وأحب هذا الشخص أن يكرم المهندس، فطلب من الطعام ما يكفي لستة أشخاص، بينما نحن ثلاثة فقط، استنكر طبعا المهندس هذا العمل، وحدثه بأدب عن الاسراف، وعن الحاجة، ولم تكن العودة عن هذا الخطأ ممكنه، فالطعام جُهّز من أجلنا. اكلنا ما كنا نريد أكله، وبقي الكثير من الطعام. لم يخجل المهندس، ووسط دهشة الرجل، طلب من العامل في المطعم، أن يوضّب له الطعام ليأخذه معه. وضع الطعام في السيارة التي أعادتنا إلى بيروت، وما أن وصلنا إلى مشارف الضاحية، وإذا بأحد المتسولين يستعطينا مالاً، فسأله المهندس:

– لماذا تريد مالاً؟

– لا يوجد عندنا طعام.. أنا جائع.

فناوله المهندس كيس الطعام وقال له:

– إذا أنت جائع فأنت تحتاج لهذا الكيس.

كانت علاقتي به متينة، ولشدة حبي له كنت أتجنب كثيراً إغضابه، ولو بمقدار بسيط، وهو يعاملني بكثير من الإلفة، ولكني في ذلك اليوم أغضبته، حين طلب مني أن أناوله محرمة، وعلى عجل ناولته أربعة محارم، نظر إليّ بغضب وقد جحظت عيناه وقال:

– عباااس... قلت محرمة.

– ولكن أنا...

– حاجتي هي واحدة.. لماذا تعطيني أربعة.

ثم قال بعد ذلك بهدوء الأب المعلم:

– الكثرة في هذا لا تعبّر عن مدى الارتباط.. أو الحب.. إنه تبذير يا عباس.. لأن حاجتي هي لواحدة فقط.. لأنك تحبني لو طلبت منك أربعة وأنت تعلم أن واحدة تكفيني فاعطني واحدة فقط.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

أحسن.. أوفر.. أسرع

من رواية **المهندس عباس قطايا***

وصل المهندس من السفر، كنا على ابواب السنة الجديدة، وكان ما يشغل بالي في ذلك الوقت هو المفكرة التي نقدمها في بداية كل عام جديد، إذ كان علينا إصدارها قبل بداية العام ليتسنى لنا توزيعها بشكل معقول، لكن المهندس طلب إليّ ملف الهيئة، وملف المفكرة معاً، فقلت له:

– يا مهندس، دعنا ننتهي من ملف المفكرة، لأن الوقت ضاق والسنة الجديدة ستبدأ، علينا أن نهتم الآن بهذا الملف أولاً وقبل كل شيء.

نظر إليّ وقد بدا عليه عدم الاقتناع بكلامي، ثم طلب إليّ أن أجلس، وقال:

– انت تذكرني بحكاية السائق في افغانستان.

– ماهي حكايته ؟

– عندما كنت في أفغانستان، وقد استلمت ملفاً مشابها لهذا الملف في لبنان، وهو ملف إعادة الإعمار. وفي أحد الايام كنت ذاهباً في إحدى رحلات العمل، وكان معي سائق، لم نكن نتكلم، فقد كنت خلال الطريق مشغولا بأوراقي، وحين انتهيت منها، أردت الاستفادة منه، لأسأله بعض الاسئلة التي تتعلق بالمنطقة، فقلت له : أريد أن أسألك بعض الأسئلة. فإذا بالسائق يخفف السير وهو يأخذ الجانب الايمن من الطريق، ثم أوقف السيارة. ظننت أن هناك مشكلة ما، أو ان شيئاً أصاب السيارة، فسألته: لماذا أوقفت السيارة ؟!. فأجاب السائق: لا أستطيع أن أقود وأسمع في نفس الوقت. .. ما رايك ؟. أتريدنا أن نعمل بهذه الطريقة ونحن نستطيع انجاز العديد من الملفات في الوقت نفسه. نحن لو عملنا بهذه الطريقة لما كان بإمكاننا مجاراة العالم، لذلك علينا أن نعمل في عشرات الملفات في الوقت نفسه.

وحين اقترب وقت إنجاز المفكرة، وكي لا يداهمنا الوقت، ونقصّر في انجازها، بقينا لمدة أسبوعين، ونحن نعمل على انجازها بشكل يومي، من الساعة السابعة بعد صلاة العشاء وحتى ساعات الصباح الاولى. كان يترك العمل فيها إلى الليل، فلديه الكثير من الأعمال في النهار.

في أحد الايام كنا مضغوطين بالوقت، فبقينا حتى صلاة الصبح، وكان معنا

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

الأخ عبد الله، وهو متكفل بتأمين مقومات الراحة والصمود، والأخ دانيال الذي كان يساعدنا ايضاً، ولكنه كان مرتبطاً في النهار، لديه برنامج تعليمي يبدأ عند الساعة السابعة والنصف صباحاً، أما أنا، فقد حلّ عليّ الإرهاق، وبدأ جسدي يطلب الراحة بشدة، لكننا كنا خجلين منه، فهو ايضاً لا بد أن يكون مرهقاً، وبحاجة للراحة، ولديه الكثير من الاعمال التي تنتظره في الغد.

كنا ننتظر منه أن يقوم هو بطلب الراحة، لكنه لم يفعل، فانتظرنا حتى ذهب المهندس إلى الصلاة، وبدأت في محاولة إقناع الأخ دانيال بالهرب قبل أن ينتهي المهندس من صلاته التي تطول عادة، ولكن الأخ دانيال كان في بادئ الأمر رافضاً، لكن تعبه أوصله إلى الاقتناع، فهو لن يستطيع التعليم غداً إذا لم يذهب الآن ويأخذ قسطاً من الراحة، استطعت إقناعه وسارعنا في الهروب. وما إن وصلت إلى منزلي حتى رن جرس الهاتف، رفعت السماعة فإذا بصوت المهندس حسام:

– عباس انت وين، ليش رحت عالبيت..؟!

كنت خجلاً منه فهو مازال يعمل، لكنه كعادته في شدة لطفه تابع يقول بلطف وبصوته الحنون ولهجته الثقيلة:

– طيب، أنا بانتظارك عشية.

لا أستطيع القول أن العمل بمثل هذه الطريقة له علاقة بالتفاني والإخلاص فقط، بل هو أسلوب ونمط حياة.

هذه بعض من النماذج والأمثلة، وهناك الكثير منها، فهي توضح تماماً، كيفية تعاطيه وإدارته لملف الهيئة بشكل عام، يكفينا شعاره الذي كان يردده، ويعمل ضمنه، وفي حدوده، ويطالبنا باعتماده كمنهج عمل وهو:

– أحسن عمل.. وأوفر كلفة.. بأسرع وقت.

والى الآن، تبقى إنجازاته مضرباً للمثل، وأنا أؤكد أن كل الادارات التي تعاقبت من بعده على وزارة الأشغال، واطلعت على ملف الهيئة، أذهلهم ما شاهدوه في ذلك الملف، لم يستوعبوا كيف أن الهيئة نفذت كل هذه المشاريع بهذه الجودة، وهذه الكلفة، وبتلك السرعة القياسية.

من رواية **المهندس عباس قطايا***

كنا نعجب من هذا الرجل الكثير المشاغل، الكبير في موقعه ومكانته، كيف يولي الأطفال القسم الكبير من اهتمامه، فلهم الأولوية في الحدائق العامة والمنتزهات، يفكر في لعبهم ولهوهم، في سعادتهم، وفي وسائل الحماية والأمان لهم، وكان يفكر ايضاً في تطوير لياقاتهم البدنية والفكرية.

ستبقى في ذاكرتي تلك المشاهد الجميلة للمهندس حسام، وهو يلعب مع الأطفال في كرة القدم، أو عندما يجالسهم ويحدثهم، مشاهد ظلت عالقة في الذهن، وأنا أستعيدها بكثير من التأثر، فله طريقة فريدة في التعامل معهم.

كنت معه في طريقنا إلى العمل، وكنا نركب سيارة كبيرة رباعية الدفع "جيب" وبينما كنا نمرُّ في إحدى القرى فإذا به يرى طفلاً يركب دراجته، فتوقف بالقرب منه، وترجّل من السيارة، وتوجه إلى الطفل، وانحنى يتحدث اليه، ثم طلب إليه أن يعيره الدراجة، اعطاه الطفل الدراجة، فركبها المهندس شوطاً قصيراً وأعادها إليه وهو ينظر إليها مطولاً، وبإعجاب شديد، ثم يقول له:

– دراجتك جميلة جداً... انها دراجة قوية... أجمل بكثير من سيارتي

وكنت أنا انظر إلى الصغير، وهو يمسح بيده على دراجته، وقد تضاعف حبه لها، ينظر إليها بفخر شديد. ازدادت سعادته بها أضعاف ما كانت عليه.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

بوابة فاطمة الزهراء

من رواية **المهندس عباس قطايا***

بوابة فاطمة مكان مميز بالنسبة إليه، ذلك المكان الذي هو أقرب الأماكن إلى فلسطين المحتلة، فهو ملاصق تماما للحدود.

سألني يوما عن سبب تسمية هذه المنطقة الملاصقة للحدود باسم فاطمة، فحدثته عن سبب التسمية وعن قصة مأساوية لفتاة اسمها فاطمة، وهناك أكثر من قصه مأساويه لهذه الفتاة، فقال لي:

– أريد أن أمحي قصة فاطمة الفتاة البائسة من أذهان الناس، وأستبدل اسم البوابة ب "بوابة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام".. فالارتباط بما يبهج القلب يكون أقوى من الارتباط بالمأساة.

واقترح حينها أن يعمل حديقة طولية، تحوي آلات رياضية على اختلاف أنواعها، وتناسب كل الأعمار، لقد أولاها الكثير من الاهتمام، ومنحها الكثير من جهده وإبداعه، حتى أصبحت حديقةً رائعةً تناسب كل الاعمار كما أراد، وصارت محجة يزدحم عليها الزوار. يتوجه إليها الناس باكراً بكل فئاتهم العمرية، تمر على شكل مجموعات، تنزل من قرية (كفركلا) وتقصد الحديقة لممارسة الرياضة، مما أزعج قوات الاحتلال المرابطة على الحدود. كان العدو يراقب بكثير من الانزعاج والتوتر تلك النقطة الملاصقة للحدود، ونتيجة لأصوات المحركات الصادرة من تلك الألعاب، وفرح الناس والأطفال أمام أعينهم، وهذا التواجد الكثيف الملاصق لهم، بكل الفرح الذي يظهره الناس أزعجهم كثيراً، وهو ما نعتقد أنه من الأسباب الرئيسية التي جعلت قوات الاحتلال الاسرائيلي تُنشئ الجدار العازل المقابل لهذه الحديقة، وترفعه عالياً، ولكن المهندس كان يملك مشروعاً يرد به على الجدار، فقد كان يسعى لتحصيل موافقة من الدولة اللبنانية، لإنشاء جسر صممه ليكون أعلى من جدارهم.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

الوجه الثاني

من رواية **المهندس عباس قطايا***

لكم كان مثيراً للإعجاب، أن نعرف أن للمهندس حسام هوايات أخرى، فبالإضافة إلى القراءة وحبه للأدب، كان ايضاً من هواة كرة القدم، ولم يكن هاوياً فحسب، بل كان لاعباً ماهراً ومن الطراز الأول، كل فريق يريده أن يكون معه ليستقوي به على الفريق المقابل، كان يلعب ويمارس دور التحكيم في الوقت نفسه، وكنا نفضل أن نلعب معه وان يكون هو الحكم ايضاً، وذلك لسببين: الاول لأنه خبير كثير المعرفة باحكام هذه اللعبة، وثانياً لكونه عادلاً ومنصفاً في مهمة التحكيم، حيث يعطي لكلّ ذي حق حقه.

كان كثير الاهتمام بهذه الرياضة، ويشجع عليها، وسعى إلى إنشاء ملاعب لها في غير مكان، وأراد يوماً أن يجمع المنتخب الإيراني باللبناني في حديقة ايران في مارون الراس ليتنافسا.

وما يثير الاعجاب أكثر، أن له هوايات أخرى، أحدها ركوب الخيل كخيال أصيل، كنت أراه بارعاً في ذلك، فهو يحسن إدارة الجواد، وفي مرة أدهشتني قدرته على السيطرة على جواده وقلت له:

– أنت خيال ماهر يا مهندس!.

– نعم أنا احب الخيل.. الخيل جميل.

– أنت تحبه من زمان؟

– نعم أحبه كثيراً.. الخيل جيد.. أولاً الرسول (ص) أوصى بركوبه.. وثانياً أنا أفرح به.. هو أكثر مكان أشعر فيه بالحرية والانطلاق.

وكانت له هوايات أخرى، ومنها السباحة. وهواية أخرى كان يهتم بها كثيراً، ومنها التصوير الذي كان يغني له أكثر من هواية، فله علاقة حميمة مع الكاميرا، فهي تكاد لا تفارقه، نرى ذلك من خلال الملف الكبير للصور التي التقطها، والتي تعبر عن حبه للبنان، فلا يوجد منطقة إلا ولها البومها الخاص عنده.

* المسؤول الإعلامي في الهيئة الإيرانية

هذا مكان مقدس

من رواية **والدة الشهيد عماد مغنية**

لقد كان المهندس حسام على علاقة بالشهيد عماد قبل استشهاده، ولم نكن نعرفه نحن كعائلة، لقد تعرفنا إلى الشهيد المهندس بعد حرب تموز، من خلال تلك العلاقة التي كانت تربطه بالشهيد عماد، وبعد استشهاده تطورت علاقتنا معه كعائلة، وازدادت اللقاءات الشخصية به. كان يزورنا من وقت لآخر، في زيارات عديدة، حيث كان يصطحب الوفود الايرانية وغيرهم من الزائرين إلينا، لكي يلتقي بنا، ويسعى من خلال هذه اللقاءات إلى تعميق علاقتنا به أكثر فأكثر.

أثناء لقاءاتنا تلك، تعرفنا إلى جوانب عديدة من شخصيته. وراينا كم أنه رجل شديد التدين، محب وعطوف، متعلق بالمقاومة وأهلها، لا سيما الشهداء، كان تأثره باستشهاد الحاج عماد كبيراً جداً، لقد أحب الحاج عماد كما أحببناه نحن أهله، كان دائما يقول عن شهادته:

– لقد فقدت أعز الناس لدي.

يحدثنا بالكثير من التأثر عن علاقته بالحاج عماد، تلك العلاقة التي امتدت حتى إلى ما بعد استشهاده، وكان يقول:

– إني دائما أشعر أن الحاج عماد موجود وحاضر معي..

واللافت في زياراته لنا على كثرتها، أنه يبقى دائما متأثرا جداً في كل مرة، وأثناء تكلمنا معه، وفي كل الاحاديث التي كانت تدور بيننا، كان يُظهر حبه الشديد لنا، لدرجة أننا كنا نشعر أنه يريد أن يعوضنا غياب الشهيد عماد عنا.

إنه شخص غير عادي، بل هو متميّز. كانت محبته واحترامه يظهران للجميع وخاصة لنا نحن عوائل الشهداء.

أذكر مرة عند زيارته لنا كنا نتبادل الأحاديث حول الشهيد عماد وأعماله وشخصيته، فبدا عليه الكثير من التأثر، حتى دمعت عيناه، وإذا به يقوم من مكانه، ويتوجه إلى وسط الغرفة، ويقف فوق السجادة الدائرية التي اعتدت أن أضعها فوق أرضية الغرفة، وطلب إليّ أن أقف أمامه على هذه

السجادة، قمت ووقفت إلى جانبه فوق السجادة دون أن أدري ما هو مقصده، لشدة تأثره أطعته دون أن أسأله، ثم دعاني للعودة إلى مكاني. نظرت إليه فإذا به ينحني بدوره، ثم يهوي إلى الأرض، يقبل ويشم المكان الذي كنت أقف فوقه، ثم نظر إليّ وقال:

– هذا مكان مقدس.. وأنتم أناس مقدسون...

مكانه ليس هنا

من رواية **الحاج أبو مصطفى حجازي***

ترافق بداية العمل في مليتا في أوائل 2006 مع مجيئ المهندس حسام إلى لبنان، سبقته تلك الهالة التي تسبق الشخصيات القيادية المهمة، فهو رسول الجمهورية، وهو الشخص المنتدب من طرف الإمام القائد. عندما جاءنا كنا في غاية الارتباك والرهبة عند استقباله.

كان هو المبادر لأول لقاء، دعوته إلى الغداء لكنه خجل، وطلب أن نذهب إلى مكان آخر لأنه لا يحب الرسميات، لقد سعى إلى تبديدها منذ اللقاء الأول.

سعى أن يزيل كل بوابات الإدارة والرتب، هو من كان يفتح العلاقات، ويمزح ويضحك ويزيل الحواجز. ومن ثم استطاع رفع هذه الحواجز تماما أثناء العمل، وفي الجلسات الخاصة، سعى بتواضعه ودماثة أخلاقه ان يزيح هذه الهالة التي ما أحب وجودها أبداً.

كان يتعاطى مع كل الناس بحميمية وتواضع شديد، مهما كانت أعمارهم أو مستوياتهم التنظيمية، أو العملية، أصغرنا شأنا كان يشعر أنه صديق للحاج حسام، وكانت لديه قدرة غريبة على الدخول إلى القلب وكأنه صديق قديم، قريب كالأرحام، وقدرة غريبة ايضاً على المحافظة على الصداقة، فلم يكن يصدر منه ما يؤذيها أو يشوهها، بل على العكس من ذلك، كانت تتعمق مع الوقت تلك العلاقة وتصفو، وتظهر جوانب اخرى من شخصيته، تجعلنا نزداد عشقا له مع الوقت، بالإضافة إلى التواضع الذي ظهر منذ اللقاء الأول، وأزداد وضوحاً، وظهرت جوانب أخرى، من تلك الشخصية الفذة، في براعته، وذكائه، وأسلوبه المميز في طريقة عمله، وفي أفكاره.

التقى مرات عديدة بالمهندسين العاملين في مليتا حيث أعمل، وأعطى الكثير من الأفكار المبدعة، وكان اللافت في أفكاره أنها كانت تتمحور حول تدينه، وحبه للمقاومة، هذا الحب النابع من إيمانه بالله، بعض تلك الأفكار لم تنفذ، وإن شاء الله ستتحقق، فنحن نميل إلى تنفيذها، ومنها فكرة: المسار الراجل، وهي أن يكون هناك مسار جانبي، إلى جانب طريق السيارات، لمن يرغب من الناس أن يأتي مشياً على الأقدام إلى مليتا، كما

* مدير معلم مليتا السياحي (علاقة شخصية مع المهندس)

كان يفعل المجاهدون حين كانت مليتا موقعاً متقدماً للمقاومة.
وكان دائماً يقول أنه يجب أن يُؤرخ للمقاومة، ابتداء من رسول الله ﷺ، أي منذ منشئها الاول، في فكرتها، ومنهجيتها، وكما كان يقول:
– هي ليست طلقة في الهواء.. أنها مشروع تأسس منذ النبي آدم عليه السلام.
لا يريد للناس أن تفصل المقاومة عن جذورها، كان يقول:
– يجب أن نربط الناس بالأصل.. في ايران هناك شيء منفذ بهذا الشأن.. حتى وصلنا إلى المقاومة القائمة اليوم.. هناك امتداد، هذه هي النشأة والمنشأ.. إنه الإيمان.. إسلام النبي محمد ﷺ وإسلام الإمام علي عليه السلام وكربلاء..
أراد أن يكتب ذلك في مليتا، وفي مكان بارز، ليقرأه كل من يدخل إلى مليتا، ويقول:
– لو فهم الناس هذا لا يحتاج بعدها أحد إلى مناقشة جدوى المقاومة.
كثيراً ما كانت تؤثر فينا تلك الجوانب المضيئة في شخصية المهندس حسام، وجوده معنا تلك الفترة أعاد إلينا صورة جميلة جداً، صورة عشقناها من الأيام الأولى للثورة ، عن قائدها الإمام الخميني (قده)، الإمام الذي كان يقول:
– أفضّل أن تقولوا لي مئة مرة خادم، على أن تقولوا لي قائد.
طوال حياتي لم تكن تغيب عن ذهني صورة الإمام الخميني قدس سره وهو يحمل صينية الشاي. ولا أدري لماذا في كل مرة رأيت فيها الحاج حسام، كانت تسقط في ذهني هذه الصورة بوضوح شديد، كان الشهيد حسام من هذه المدرسة، مثالاً حياً لها في نظري.
المهندس حسام، هذا الشخص العزيز، عندما كنت أراه بملابس العمل، يعمل بنفسه كأي عامل، يتصبب منه العرق، ويتعب جسده. تلك طريقته في معاملته لنفسه، لن أبالغ إن قلت انه كان أكثرنا عملاً، وأقلنا راحة، كانت السيارة هي منزله وفراشه، غرفة ملابسه وغرفة طعامه.
إنسان عاش بهذا الأسلوب كيف لا يكون مثالاً؟
ولم يكن تواضعه وايمانه يتوقف عند هذا الحد، لطالما ردد أمامنا بكل تواضعه: (أنا خادمكم). لم أرَ فيه سوى صورة الإمام الخميني قدس سره.
كان آخر من يأكل، وعندما كان يأتي إلى مليتا لم يكن ليقبل أن يأكل قبل أن

يتأكد أن كل الأخوة في مليتا قد تناولوا طعامهم، يتابعهم واحداً واحداً، كما كان يفعل الشيخ راغب حرب (رضوان الله عليه) عندما كان يرعى الايتام في المبرة، وكما كان يفعل السيد عباس الموسوي (رضوان الله عليه) عندما كان يطعم الاخوة المجاهدين في محاور القتال.
كان ينام آخر شخص، ويأكل آخر شخص، ويحمل المتاع بيده، هو من دخل إلى البيوت وزار الناس وتقرَّب إليهم. هو من بحث عنا وخدمنا وكنا نخجل من مبادراته. هذا الرجل امتاز بأمور لم أدركها إلا عندما رحل، كان يخفف من أثقاله لأنه استعجل الرحيل. تعززت الصورة أن هذا النوراني مكانه ليس هنا على الأرض.

سر التعلق الغريب

من رواية **المهندس سلطان أسعد***

لا أدري ماذا أسمي هذه العلاقة الغريبة في قوتها بين المهندس حسام وبين الشهداء والمجاهدين، هل هي نقطة ضعف فيه، أم هي نقطة قوة، لكنها بلا شك لم تكن علاقة عادية، أو قريبة من المألوف، حبه للمجاهدين والشهداء قد ملك قلبه وجوارحه، حتى بات هذا الحب يظهر في كل حركاته وسكناته، فهو دائم الذكر لهم، كأن عطرهم ينتشر في الهواء الذي يتنفس، وكأنه في حيرة يكاد يعجز فيها عن التعبير، يراهم بغير العيون التي نراهم نحن بها، هم في باله أينما حل، يعبر عن هذا التعلق الغريب بالكلام وبالفعل حيثما تسنى له ذلك.

مذ تعرفت عليه وأنا اتساءل، لم تكن معرفتي به معرفة وقت قصير، لقد تعرفت على الحاج حسام بعد حرب تموز 2006، وبعيد وقف إطلاق النار، عندما جاءت الهيئة الايرانية لإعادة اعمار لبنان، وكلفت أنا من قبل المجلس التنفيذي بمتابعة إعادة الإعمار، وكان من الطبيعي أن نلتقي مبكراً وتستمر الجلسات واللقاءات الميدانية حتى استشهاده. طوال تلك الفترة وأنا أتساءل عن السر، سر هذا التعلق الغريب.

حيث يتنسَّم عطر المقاومة والجهاد تتغيّر ملامحه، كما تتغيّر ملامح عاشق متيم إذا جاء ذكر الحبيبة، أو شاهد أثراً من آثارها، وهو يسأل ويستقصي ويتحرك بهذا الاتجاه. إخلاصه لحزب الله وتقديسه لمقاومته، والمحبة الخاصة جداً لسماحة السيد حسن تنبع من هذا الشغف الذي لا مثيل له للجهاد والمجاهدين، فهو يعتقد أن هذا القائد هو نعمة إلهية، ويعتبر أن عمله في لبنان هو فرصة ليعمل ضمن حزب الله، وكان أول لقاء قام به عندما أتى إلى لبنان هو لقاء سماحة السيد، حيث شرح له المهام التي سيقوم بها في لبنان، وأخذ موافقة مبدئية منه. والسيد حسن هو من طرح عليه تغيير اسمه، واقترح سماحة السيد أن يطل على الناس باسم آخر، غير حسن شاطري، وافق المهندس حسن شاطري على الفور، وتم اختيار اسم "حسام خوش نويس" الاسم الذي عرف به حتى استشهاده.

* معاون رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله ومعاونه لشؤون الهيئة الإيرانية

يحاول دائماً الاطمئنان على جهوزية المقاومة، يريد ان يعرف بشكل موثوق، إذا ما حصل أي عدوان على حزب الله أنه قادر على المواجهة كمقاومة وجمهور.

في إحدى المرات كنا في جولة على مشروع "الناقورة – مرجعيون"، وهو من المشاريع الكبرى التي عمل عليها، وعندما وصلنا إلى قرية "العزيّة" وهي منطقة جميلة تقع على جبل فيه أشجار، وتطل على البحر، وكان النهار جميلاً، تنهد الحاج حسام الصعداء وقال: هذه أجمل بقاع الأرض! فقلت له يا حاج حسام من يعرف ايران يعرف أن فيها ما هو أجمل من هذه المنطقة، ومن يعرف لبنان يعرف أن فيه أجمل من هذه المنطقة. إنها منطقة جميلة صحيح، لكن هناك مناطق كثيرة أجمل منها، وتنهدك هذا لا ينم عن جمال المنطقة كشيء مادي بل لقربها من فلسطين، تجلى جمال المكان لأنه مكان للمقاومة والجهاد. كان هذا واضحاً فمشاعره التي خرجت غير مرتبطة بجغرافيا المنطقة.

كان يرى بغير العيون التي نرى فيها، ويشعر بشكل مختلف في كل حواسه، للجهاد وحده يخفق قلبه بشده، وكأن قلبه أصبح حكراً عليه، لا مساحه فيه لغير الجهاد والمجاهدين، للشهداء وآثارهم، في فعله وردة فعله، في كلامه وصمته، وحديث ملامحه وعينيه.

أما تخليد ذكرى الشهداء فذاك دأبه، فمن السهل الملاحظة لكل من يمر على الطرقات التي عبّدت، أو أعيد تأهيلها، أو تلك التي وسّعت، أو شقت من جديد، سيجد أنها جميعاً تحمل أسماء الشهداء.

لا يوجد طلب لهم فكر في رفضه أو التغاضي عنه، ولا حتى التقليل منه أو اختصاره، كل تلك الطلبات كان يوقعها، ويحولها إلى التنفيذ، دون إبطاء. وإذا اعترض أحدهم أو قال له "ولكن.. " كان يقف مستغرباً هذا الاعتراض ويقول:

– ولكنهم أهل الشهيد... هم بركته التي تركها لنا..

ثم اكتشفت السر، وأصبح الأمر واضحاً بعد ذلك عندي، فهذا الرجل ما زال هناك، متعلقاً، مرتبطاً بحبل من الطهر القدسي، عينيه وروحه، قلبه وجوارحه كلها.

اكتشفت السر عند معرفتي بسيرته القديمة، أنه حسن شاطري، عنصر من عناصر الثورة الإسلامية في ايران، منذ بدايات تأسيسها، مذ كان فتى

لم يصل الى العقد الثاني من عمره بعد، ثم انخراطه في حرسها الثوري بعد ذلك، ومشاركاته الجهادية في جبهات القتال في الفترات الشديدة العصيبة، في كردستان التي تعدّ من أصعب الجبهات. في زرادشت وسواها، هناك في الخطوط الأمامية للجهاد ترك خلفه حيث كان، الكثير من المواقف والبطولات، وعدداً من رفاقه الشهداء، هناك كان قريباً من السماء، قريباً إلى الدرجة التي اخترقت قلبه ووجدانه، وهناك تعلق وارتبط بالسماء، بكل تلك الوجوه التي لم يمسح عنها غبار الجهاد، الوجوه التي لبس ملامحها العشق للجمال المطلق.

لم يستطع الانسلاخ عنها، ولا هو أراد ذلك، بقي متعلقاً بذلك الحبل المقدس، لا يريد لنفسه فكاكاً، وظل يرنو اليه وان اختلف المكان، يبحث عن عطره في المجاهدين، في الشهداء وآثارهم، حتى إذا استبد به الشوق دعا باكياً راجياً للقاء قريب.

في الأشهر الأخيرة بدا ذلك واضحاً فيه، بل شديد الوضوح، كأنه أصبح في مكان آخر، وكان الموضوع السوري وقتها قد تملك في وجدانه، وبدا ان تطوراً جديداً قد احتل ملامحه وحركته وابتسامته، كمن هو على وشك الانتقال، ليس انتقالاً من لبنان الى سوريا، كما ليس من ايران الى لبنان، انتقال ليس في مكان على الارض، انتقال الى مكان مختلف، لا يعرفه إلا أمثاله وحدهم. كنا نفكر أن لقاء العمل هذا سيتبعه لقاء عمل آخر، لكن شيئاً في ملامح وجهه لم يكن كذلك، ولا سيما في اللقاء الاخير.

استشرناه في بعض الامور وأعطى رأيه، وقال لنا أنه سيذهب إلى سوريا، وعند عودته يكون قد تم تحضير الأوراق لزوم التسلم والتسليم، لكنه كان على عجل، فقلبه قد ملّ شوقه والانتظار.

مفهوم الرحمة

من رواية **السيد يعقوب قصير***

لم يكن المهندس حسام متدينا بالمعنى السطحي للكلمة، شخصيته هي شخصية تتسم بالتقوى، وخاصة في العمل، كان يسعى إلى ما هو الأقرب إلى الكمال في كل شيء، وقد برز ذلك من خلال مواقف عدة كنت شاهداً عليها.

كان المهندس حسام يتفاجأ دائماً بالمنهجية المتبعة في لبنان خلال تنفيذ المشاريع، وفي مشاريع الطرقات على وجه الخصوص، ينظر بامتعاض إلى تلك العقليّة التي تربى عليها الناس، حتى أن بعضهم يعد من المتدينين، ويقومون بعمل غير متقن، كان يغضب ممن لا يؤدي عمله كما يجب، يعترض بشدة على الاعمال التي كان يراها من المتعهد اللبناني، فهو يقوم بتعبيد الطريق في العام الأول، ثم يقوم بتعبيدها في العام الثاني، وهكذا، لان العمل فيها لم يكن متقنا، ولم يراع الشروط المطلوبة، فيخرج العمل ضعيفاً غير قادر على البقاء، ولم يكن يقبل بأي مبررات تساق للدفاع عن هذا التقصير، وإن كانت تتعلق في ضيق الوقت المتاح، أو في قلة المال المرصود لهذه المهمة، كما كان يقول أصحاب متعهدي هذه المشاريع وهم يدافعون عن أنفسهم، فهو يرى أن إتقان العمل كان لا يحتاج إلا إلى القليل من التدبير، والكثير من الإخلاص، كان يردد دائماً للعاملين معه: رحم الله من عمل عملاً فأتقنه.

وإذا شاهد عملاً جيداً قال لصاحبه:

– أن رحمة الله ستنزل عليك.

في رأيه أن الرحمة التي يستنزلها الإتقان لن تكون مقتصرة على الصعيد الفردي فقط، فحين تصبح الأعمال أفضل، وأكثر إتقاناً، فالرحمة ستنزل على الجميع ككل، كل من شارك بهذا الاتقان، وإن بشكل بسيط، المجتمع اللبناني، أو المتبرع الايراني، أو أي مساهم آخر. كان المهندس حسام إذا شاهد عملاً غير متقن يتأسف بشدة ويقول لأصحاب هذا العمل:

– إن هذا العمل ليس فيه رحمة أبداً

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

فيفهم صاحب العمل أن عمله غير متقن، وكان يخاطبهم ويقول:
– أنت تقوم بعمل ليس فيه رحمة وتهدر حياتك..
كثيراً ما كان يحدث المتعهدين والعاملين معه عن هذا، وكنت أترجم لهم ما يقول، كان يحثهم دائما على الاتقان، ويربطه بالرحمة، وبكل تواضعه وأدبه كان يقول لهم بعد ذلك:
– لست بواعظ ديني، لكن ذلك يتحول إلى أسلوب حياة.. وإذا كنا نريد لرحمة الله أن تنزل علينا، علينا إذا أن نتقن العمل بشكل فردي وجماعي.
فهو لا يرضى بالمبررات، وكان يقول لمن لم يتقن عمله:
– إنك إذا أردت أن تتقن العمل، لكن المبلغ المرصود لك من الحكومة أو من الهيئة لا يعجبك، تعال واستشرني يا أخي، أو اعتبرها صدقة جارية عنك وعن أسرتك، عن حياتك، فهذا الطريق يمكن أن يخدم الكثير من الناس لسنوات طويلة، وطالما هو موجود فهو صدقة جارية.
ومن سعيه لطلب الرحمة، عندما يجلس في مكان كان يستمع للصغير والكبير، حتى إذا جاء طفل صغير، ويريد أن يقول له كلمة، كان يصغي وبانتباه شديد، ويقول لي:
– استمع اليه، لعل هناك سراً أو أمراً ما يريد أن يخبرنا به، ويكون فيه فائدة. أستفيد منه.. أو أتعلم منه.
حتى عندما نكون في جمع من الناس يطلب منهم التكلم واحداً واحداً، ويطلب مني أن أصغي وأسجل ما يقولون، ويبرر ذلك قائلاً:
– مهما نكون قد درسنا المشروع، أو أي شيء نقوم به، فإنه من الممكن أن هناك ثغرات لم نلتفت إليها، أو أمراً لم نطلع عليه، لأن دورنا اكتشاف معاناة الناس، ووضع يدنا على جراحهم، وتضميدها لهم، فالجرح يعرفه المجروح أكثر مما يعرفه غيره، وهؤلاء هم الجرحى، انزل إلى الأرض، واسمع منهم، وسجل ملاحظاتهم.

ثمن الشاي

من رواية **السيد يعقوب قصير***

لقد كان الاستيقاظ عنده قبل طلوع الفجر، من أجل صلاة الليل، ثم يبدأ بالعمل مباشرة بعد صلاة الصبح، وعندما كنت أصل عند الثامنة صباحاً إلى المكتب، كنت أراه قد أنهى شوطاً كبيراً من الاعمال.
كنت أرافقه كمترجم، وحين ينتهي العمل يدعوني أحيانا لأشرب معه فنجان شاي، لكنه يرفض أن يسجل ثمن الشاي على حساب العمل، ويقول:
– هذا ليس من حساب الهيئة، هو من حسابي.
ويدفع من جيبه ثمن فنجاني وفنجانه، كان لا يقبل أن يصرف مال الهيئة ولو فنجانين من الشاي، بثمن لا يتجاوز 2000 ليرة لبنانية، لأنها دعوة فيها شيء من الشخصية، يعترض بشدة ويقول:
– أنا أنهيت عملي، وأنا جالس معك الآن.
لقد علمني الكثير، ما زلت اتأثر بالكثير من أحاديثه تلك، كان يقول لي:
– يا يعقوب، كل عمل نقوم به هو ليس صدقة عني وعنك فقط، هو صدقة عن المقاومة، عن عوائل الشهداء، وعن السيد القائد، والجمهورية الاسلامية، وعن الامام المهدي.
خلال السنوات الخمس التي عملت فيها معه لم أسمع منه كلمة "أنا" كان كتوماً إلى أقصى الدراجات على تلك الصدقات، على كل الخير الذي كان يقوم به، لا يقول أنا قمت بهذا العمل، بل كان يقول نحن قمنا بهذا العمل.

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

سيمرون من هنا

من رواية **السيد يعقوب قصير***

في بعلبك كان يقيس سماكة طبقة الباطون تحت الإسفلت، وهذا لا يستخدم عادة، لكن المهندس بخبرته كان يعلم أن منطقة بعلبك غنية بالمياه، كان يقول:

– إذا لم نضع باطون تحت الزفت تصبح الطريق متحركة.

كنت أقول له، مستغرباً هذا الجهد الكبير على كامل الطريق الطويل:

– لماذا كل هذه الكلفة والجهد الصعب على كل الطريق.. هذه الطريق بطول 25 كلم وهذه مسألة صعبة.

فيجيبني وهو على قناعة تامة قائلاً:

– على هذه الطريق سيمر أناس يذهبون إلى الجبهة ويستشهدون.. فعندما يمرون من هنا سوف يدعون لي، ويدعون لك، ولكل من عمل معنا.

هذا كلام لم أسمع مثله من قبل، لم يفكر احد بالطريق على هذا النحو، سمعته مراراً يقول:

– سيمر شهداء على هذه الطريق، لهذا أريد أن تكون متينة لتكون سهلة وتبقى طويلاً.

وكثيراً ما كنت اسمعه يقول:

– إن جميع الأموال التي ندفعها لا تساوي قطرة دم شهيد من شهداء المقاومة الإسلامية.

هذا القول، وهذه الطريقة في العمل، لم تكن فقط على طريق البقاع، بل على جميع الطرق التي نفذها المهندس حسام، هكذا كان ينظر إلى الشهداء حتى أصبح واحداً منهم.

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

شحنة اضافية

من رواية **السيد يعقوب قصير***

خلال جولاتنا، وعندما يصل إلى مكان ما، يكون الجميع في انتظاره لاستقباله والسلام عليه، حتى ولو لم يكن بينه وبينهم اي علاقة، أو بالمشروع الذي يقوم بتنفيذه. يريدون التعرف إلى المهندس حسام، إلى ممثل ايران، كانت شهرته تسبقه إليهم، وكان الناس من مختلف الطوائف، مسلمين ومسيحيين ودروز، يدعونه إلى منازلهم، وعلى رأسهم أهم الشخصيات والوجهاء ذوي الرتب الاجتماعية المتواجدة في المكان الذي نقصده، وكان عليه أن يختار، والمتوقع أن يختار أهم تلك الشخصيات وأرفعها مقاماً، لكنه كان يقول لي:

– أنا أقبل دعوة أفقر واحد بينهم.

– طيب ماذا لو لم يكن لديه شيء لضيافتك؟

– أنت تقوم بالمهمة يا يعقوب.

كان يحاول دائماً بعد إصرار الأهالي أن يدخل إلى بيوت أفقر الناس، أما إذا كان في القرية بيت لشهيد، فالأمر مختلف تماماً، فهو يزوره أولاً، وقبل القيام بأي عمل، بل هو أفضل الأعمال لديه، وحين تشير إليه عائلة الشهيد هناك باي طلب مهما كان نوعه، يسعى إلى تنفيذه، كأنه واجب لا نقاش فيه ولا تأخير. سعيد بالسلام عليهم، فخور بالتحية، وبدعوة الزيارة راجيا منهم الدعاء، وتدمع عيناه لشدة حبه لهم، يستأنس بهم، ويسألهم عن الشهيد بدقة، عن تفاصيل حياته واستشهاده، وينصت في حالة وجدانية كأنه يعيش تماماً في تلك التفاصيل. كنت أسأله:

– لماذا تصر على أن تعرف كل هذه التفاصيل عن حياة الشهداء.

– هؤلاء هم المدرسة، مدرسة كاملة يا يعقوب.

وعندما نخرج من منزل أهل الشهيد كان يتنهد ويقول:

– أخذنا اليوم شحنة إضافية!

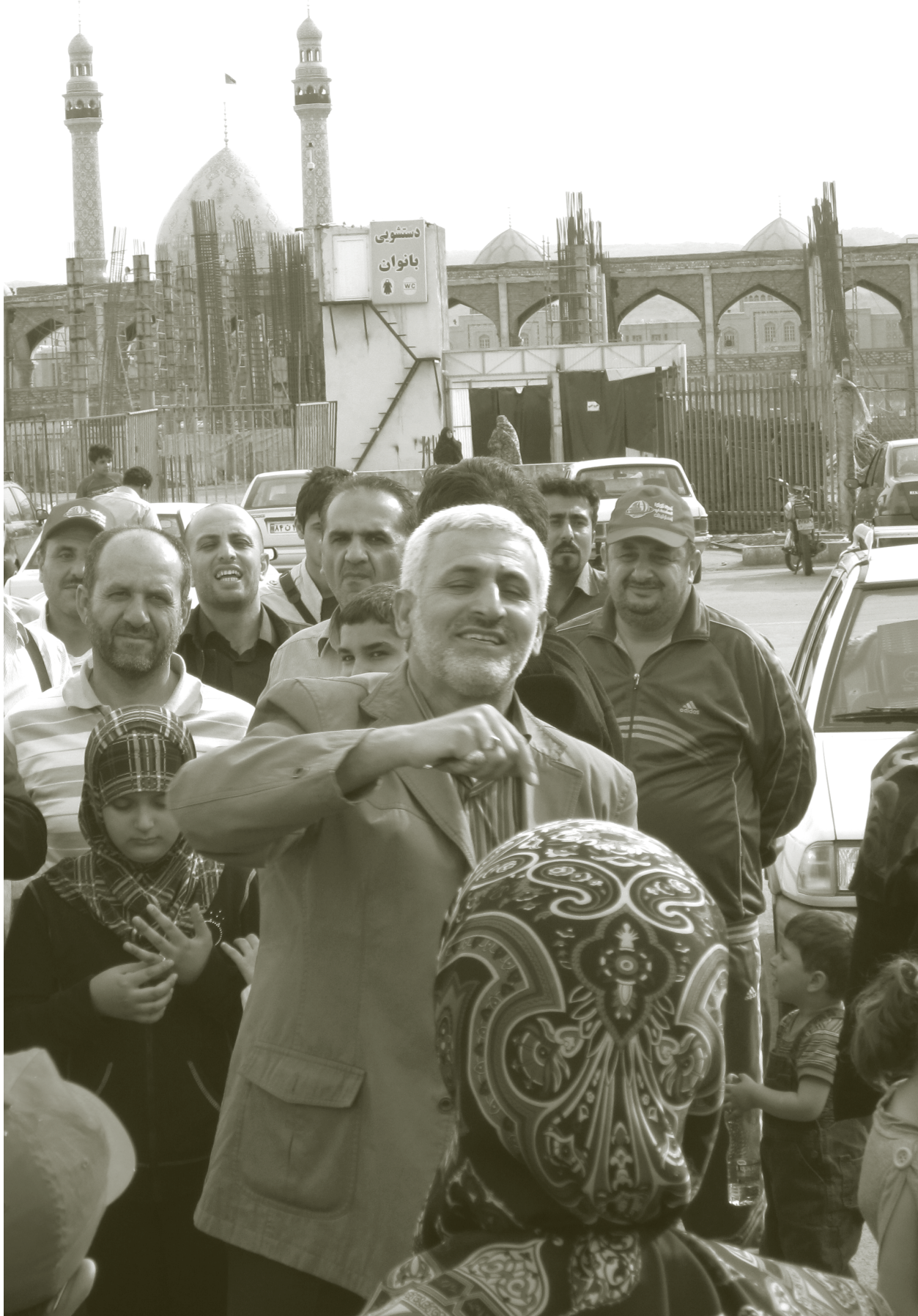

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

أبكي على نفسي

من رواية **السيد يعقوب قصير***

عندما استشهد الشهيد عماد مغنية، ذهبت إلى العمل، وأبلغته خبر استشهاده، فقال لي: لقد وصلني الخبر. ذهبت إلى مكتبي بعد ذلك، ورايته يخرج من مكتبه وعيناه مليئتان بالدموع، لقد أحزنني كثرة بكائه، أحببت أن أخفف من أحزانه فقلت له:

– عليك أن تتصبر.

فقال لي وهو يمسح دموعه التي تجري على خديه:

– أنا لا أبكي على الشهيد عماد، بل أبكي على نفسي، أنا أتيت إلى هذا البلد، حيث الجبهات مفتوحة أمام العدو الصهيوني، وها أنا أمامك لم أرزق بالشهادة.

ذكرني هذا بالإمام علي عليه السلام عندما أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له وعدتني بالشهادة فاين هي؟ فاستشهد الإمام علي عليه السلام ليس على الجبهات، وهو يحمل سيفه بل في محراب الصلاة، واستشهد الشهيد حسام في محراب المهمة، حيث كان في خدمة عوائل الشهداء، والمقاومين، وأهلنا المستضعفين.

في لقائنا الأخير، كنت أريد أن أوصل إليه رسالة، وكان ذلك بعد إجرائه مقابلة مع تلفزيون المنار بمناسبة يوم القدس، قلت له:

– تبدو اليوم سعيداً؟

فقال لي ضاحكاً:

– طبعاً سأكون سعيداً، الإخوان في تلفزيون المنار أهدوني مفتاح فلسطين.

كان سعيداً به فوق العادة، فهو عادة عندما يهديه أحد هدية رمزية تظل في إطار الرمزيّة عنده، لكنه مع هذه الهدية كان الوضع مختلفاً، وكأنه كان يشعر أن بإمكانه الآن أن يدخل إلى المسجد الأقصى من خلال هذا المفتاح. كنت أعلم أنه مشغول بإعادة إعمار بعض ما دمرته الحرب في سوريا، فنظرت إلى عينيه، وقلت في نفسي: الله يحفظك يا مهندس. فقال له أحد

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

الموجودين مازحاً:

– مبين عليك يا مهندس حسام أنت أكثر من شهرين لن تعيش.

أنا عصر قلبي هذا المزاح، وتضايقت حينئذ من هذا الكلام بشدة، ولا أدري لماذا، ثم تذكرت هذا الكلام حين جاء خبر استشهاده.

سينشر شكواه في الصحيفة

من رواية **السيد يعقوب قصير***

كان المهندس حسام يتأسف بشدة لحالة الإهمال الموجودة في لبنان، وكان يقول:

– أنا عندما أتيت إلى لبنان كنت أعرف أن هناك مشاكل في الطرقات، لكنني اكتشفت أن هناك مآسٍ وآلام، جئنا لنبني طريقاً مختصراً، فتفاجأنا بأن بعض المناطق ما زالت بكراً، لم يمسها شيء اسمه بنى تحتية، جئنا بمهمة لإعادة إعمار ما دمرته الحرب، فراينا أن ما كان موجوداً هو كأن أحداً بنى جسراً من دون أعمدة، فاضطررننا إلى إعادة بناء الأعمدة قبل الجسر، لذلك طالت المهمة.

لم يكن يرضى بغير العمل الكامل والمتقن، وهذا هو الذي كان يعبر عنه دائماً في كل مواقفه، أن نقوم بالعمل بما يرضي الله.

كثيرة هي المشاكل والمعوقات التي كانت تحدث خلال تأديته لأعماله، مشاكل قد يستغلها غيره ويبرر فيها عدم الاتقان، أو التأخر في تقديم الأفضل، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة له، بعض المشاكل التي كانت تحصل في تنفيذ الطرقات، كان المهندس حسام يحسب بدقة حركة المياه على الطريق، وعلى كل طريق ينفذه يصر على وجود عبارات للمياه، حتى لا تعلق المياه على الأسفلت، ويقول:

– المياه والزفت لا يتفقان.

أحياناً، كان يؤدي ذلك إلى تأخير التنفيذ، لصعوبة ذلك في بعض الأماكن، كان يقول حينها:

– أيهما أفضل، أن ننفذ طريقاً يخرب بعد عام، أو أن ننفذ طريقاً يدوم أكثر من خمسين عاماً... لا مشكلة في بعض التأخير.

كثيراً ما كان يعاني من مشاكل طارئة تواجهه، وتبدو بلا حلول، لكنه يتجاوزها جميعاً، لا شيء يعيقه عن إتمام عمله بأفضل الوجوه. وفي بعض الأحيان، عندما نذهب لتنفيذ طريق يتضح أن هناك شبكات للهاتف لم تكن ملحوظة في الدراسة، فتبلغ وزارة الاتصالات بذلك، فتتأخر في الاستجابة،

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

أو لا تستجيب مطلقاً، فيعمد المهندس إلى اجتراح الحلول، كان يبني جسوراً فوق هذه الشبكات ليتم العبور عليها، كي لا تعيق تقدم الأعمال، وحين تعلم الوزارة بما فعل، ترسل اليه اللوم والشكوى على ما فعل، فكان يصمت ولا يبالي بردة الفعل هذه، بل كان يعود للعمل وكأنه لم يحدث شيء، ويقول متسائلاً:

– هل أوقف المشروع ونحن في حالة طوارئ؟

لقد تحمل الكثير من الكلام، وردّات الفعل غير المناسبة التي لا تستطيع ان تستوعب اخلاصه وتفانيه، كان يتحمل كل ذلك بطريقة مؤثرة، لا نملك معها سوى الاعجاب بقدرته على الصبر والاحتمال، لكن التأثير الأكبر هو عندما يتأذى أو يؤذيه أحدهم بالكلام أو التجريح، كان يلتزم الصمت التام، ويكمل عمله كأنه لم يسمع شيئاً طوال فترة عمله، وهو الذي يتعاطى مع عدة مقامات وشخصيات مختلفة، وفي بعض الأحيان كان عدداً من هؤلاء الناس يقسون عليه بالكلام، ويوجهون إليه الكثير من التجريح، فبعض النواب والوزراء كانوا يتصلون به، ويطلبون أن يعبد لهم طرقاً خاصة، وكان يرفض طبعاً وهو لا يقول لا لأحد، ولكنه لا يعده بشيء، ينظر إلى الاحقية لا إلى المناصب، فالناس عنده سواسية في الحقوق، وحين لا يرى حقا أو حاجة لا ينفذ، فيوجه له الآخرون تجريحاً شديداً، لكنه يصمت ويشد عزمه، ويكمل ما كان يقوم به عن قناعة واخلاص، كأن شيئاً لم يكن، كان يدقق في كل مطلب، حتى حين يرده شكوى أو لوم أو تجريح كان يعود ليراجع نفسه قائلاً:

– خلينا نشوف بماذا أخطأنا.

خلال تنفيذ طريق "بعلبك التوفيقية"، كان الناس أحياناً يمنعون شاحنات الزفت من الوصول إلى المكان، وذلك اعتراضاً منهم على عدم تعبيد طرقات بلداتهم، أو الطرقات الفرعية أمام منازلهم، ويقولون:

– نحن انتظرنا الزفت منذ 50 عاماً.. لن ندعه الآن يمر دون أن نستفيد منه.

كان الشهيد حسام لا يستاء من الناس رغم ما يسببونه من تعطيل للعمل، بالإضافة إلى ما يرتب ذلك من أكلاف إضافية على تنفيذ الطريق، ويتفهم المنطلقات التي ينطلقون منها، ويعرف أن السبب الأساسي هو الحرمان المتراكم من جيل إلى جيل، كان يتعاطف معهم، وينفذ لهم أغلب

مطالبهم، بل كان يوصي المتعهدين بأن لا يكون العمل سطحياً، وأن يتم التعبيد بكل المواصفات العالية التي يعتمدها في تعبيد الطرق المهمة، فيقول له المتعهدون:

– نحن سنضع لهم الزفت وهم يتصرفون فيه كما يريدون.

لكنه كان يرفض ذلك بشدة، وان رضي به الاهالي ، ويقول:

– الآن أصبح الزفت ملكاً لبيت مال المسلمين، ويجب أن يحمل المواصفات التي تجعله يدوم لفترة طويلة.

لقد تعرض المهندس للكثير من الأذى، والكثير من الإساءات، ولم يكن رده إلا جميلاً، ولم يكن يشكو أو يعلن عن تلك المشاكل والاساءات، حتى قيل له:

– لماذا لا تنشر ما يحصل في الصحف.

فكان رده البليغ الذي لم يعرف الكثيرون مغزاه:

– سينشر ذلك في الصحيفة الكبرى دون أن أطلب.

الزوجة والابن ولبنان

من رواية **السيد يعقوب قصير***

في تلك الفترة التي استقدم فيها المهندس حسام عائلته إلى لبنان، كنت أتردد معه إلى البيت كثيراً، لفتت انتباهي تلك العلاقة المميزة بين المهندس حسام وزجته، فهي لا تشبه العلاقة بين الأزواج كما أعرفها من خلال تجاربي وعلاقاتي، إذا قارنتها بكل العلاقات الزوجية الناجحة التي كنت أعرفها، كنت أرى أن علاقتهما تخطت ذلك، فبالإضافة للمودة الظاهرة بوضوح بينهما، كانت هناك علاقة احترام راقية جداً جداً، بشكل لا يمكن وصفه، كنت مبهورا بتلك العلاقة التي لفتت نظري في تفردها منذ اليوم الأول، كثير من الأحيان كنت أجالسهم لفترة طويلة، قد تمتد من الصباح إلى المساء ولمرات عديدة، ولم أسمع منه كلمة واحدة لا تتضمن هذا الاحترام والتقدير اللافت، حتى أنه كان يناديها سيدتي طوال الوقت. وهي التي تعامله بالطريقة نفسها ، كأن لا شائبة تشوب تلك العلاقة، لا فتور ولا عبوس. كثيراً ما كنت أسمعها تقول تلك الجمل الداعمة:

– الله يعطيك العافية.. أجرك عظيم.. أنت تجاهد بشكل صحيح.. هناك شيءٌ مطلوبُ منا معاً.. قل لي بماذا أستطيع مساعدتك.؟

وهو رغم أشغاله الكثيرة، والتي تحتم عليه الابتعاد عنهم لوقت طويل، إلا أنه يتابع أسرته ويعتمد على زوجته التي تلفت نظره لمواطن الضعف في سيرة حياته التي لا يستطيع رؤيتها بسبب غيابه، تذكره وتتابع. سمعت منهما مرة هذا الحوار:

– نريد أن نعمل هيئة مصغرة للمنزل.

– خير يا حجة..

– ابنك في سن المراهقة.. ولديه طاقات.. حركات شباب.. وأنا أخاف أن يذهب في طريق خطأ بسبب أصحاب السوء.

– وماذا تقترحين سيدتي.

– أن ترافقه أكثر.. أنت بطريقتك وأسلوبك الجميل تستطيع فعل الكثير.

بعد ذلك مباشرة حاول المهندس حسام التقرب إلى ولده بأسلوبه الخاص،

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

وجعل منه صديقاً، ولما لم يكن لديه الكثير من الوقت، كان يحضره معه إلى عمله، ليرافقه أطول فترة ممكنة، ويقف على حاجاته، ويكون تحت نظره. ومن أجل ان يساعده على صرف طاقته، ويعلمه الجديد، أدخله في العمل، ثم أراد أن يجعله يعمل في المكتب، فاستأذن من الموظفين في المكتب قائلاً:

– أنا لا أستطيع أن أترك عملي.. أو أن أوفر من وقت عملي.. فهل تسمحوا لي بأن أجلب معي ابني إلى المكتب؟

ثم ذهب إلى الشباب الذين يعملون على الحاسوب وقال لهم:

– أن الشاب المنطلق عادة يريد شيئاً يملأ به فراغه.. فهل تسمح لي بأن أحضر ابني للعمل معكم؟ ولأنني لا أستطيع أن أتفرغ له، ولا أستطيع أن أسلّمه لأحد ليتابعه، لأن اللغة الموجودة في محيطه هي غير لغته، فهل لكم أن تعلموه بعض الأمور ليعمل.؟ أنا لا آتي به كي أوظفه.. ولا أريد أن أصرف له راتباً.. أنا أعطيه مصروفه.

ثم فيما بعد، أصبح يأخذه معه في جولات العمل غير المرهقة، دون أن يجبره على ذلك، ويعتمد على أساليب عديدة لترغيبه، ليكون هو من يريد الذهاب، كان يقول لي اسأله أن يرافقنا، لكي لا يظهر ان أباه هو من يريد ذلك، فيشعر بأنه ملزم، لم يكن يريد ان يشعر ولده بشعور الواجب، الذي يفسد عليه فرصة الاستمتاع والانفتاح على الفائدة، أو يشعر بأن ذلك مفروض عليه فرضاً، ولم يمر بعدها الكثير من الوقت حتى قال لأبيه أريد أن أتزوج، فتركه يسافر إلى ايران، وخطب فتاة ايرانية، ثم تزوجها بعد ذلك.

لقد أحب المهندس حسام لبنان حباً لطالما كان يعبّر عنه في الكثير من أحاديثه، وما أكثر الذين أحبوا المهندس حسام من اللبنانيين وتعلقوا به، كانوا يفكرون أنه لابد ستنتهي مهمته ويعود إلى ايران، وربما لن يعود إلى لبنان بعد ذلك، ويتأسفون لفراقه، ويقولون له غداً تذهب إلى ايران ولا يبقى منك شيء في لبنان، عرض عليه بعض الأخوة لشدة محبتهم له أن يرتبط بلبنان بشيء، منزل عمل، أو اي شيء يبقيه بعد انتهاء المهمة الموكلة إليه، ووجدوا فكرة كانت معقولة بالنسبة اليهم، وتفي بالغرض، فعرضوها عليه بإصرار وإلحاح طويل، والفكرة هي بان المهندس حسام قد زوج ابنه الأصغر في ايران، فطلبوا منه أن يعرض على ابنه الأكبر أن يتزوج من فتاة لبنانية، فأعرب المهندس حسام عن موافقته، وقال:

– هذا يسعدني جداً.. ان شاء الله يحدث.

ودون أن يفرض عليه ذلك، وبمساعدة ومتابعة من الاخوة، وبعد زيارات عائلية عديدة، رغب الإبن بالزواج وصارح أباه، فسُرَّ المهندس حسام كثيراً بهذا الطلب، وأخبر الأخوة بذلك مظهراً فرحه واستبشاره قائلاً:

– رح صاهركم في لبنان.. طلبتم مني أن أُبقي شيئاً في لبنان وفعلت، لقد أبقيت ليس إعماراً وبناءً فقط، لقد أبقيت ابني ايضاً.

وبالفعل حصلت الخطبة، وقبل الزواج استشهد المهندس حسام.

بعد استشهاده ذهبنا لنعزي في ايران، والتقينا بزوجته الحاجة أم إحسان، كان حديثها لنا مؤثراً، جعلت الحاضرين يجدون صعوبة في حبس دموعهم، ثم قالت كلمة جوهريّة لن أنساها:

– يحزن الإنسان على فراق المهندس.. لكن ما يرضي الله سبحانه وتعالى يرضينا.. وتلك كانت رغبته، فهو الآن راض بهذا.. أجمل ما عندي هو أنني عندما أفكر أن المعصومين من الإمام علي عليه السلام إلى الامام العسكري قد قتلوا بيد أناس مثل هؤلاء تماماً من التكفيريين، والمحرفين للإسلام. والشهيد حسام اغتيل عندما كان قادماً من سوريا إلى لبنان على يد هؤلاء أنفسهم.. أن هذا يسرني كثيراً، وكيف لا يسرني أن الذين قتلوا زوجي هم الذين قتلوا الأئمة عليهم السلام ، لذا، لا بد أنه محشور مع ائمته عليهم السلام ...

مسحت دموعها ثم سكتت قليلاً وقالت:

– منذ اللحظة الأولى التي تزوجته فيها كنت أشعر أنني سأفقده يوماً كشهيد.. انتهت الحرب أو بدأت.. أنا كنت أنتظر هذا اليوم.

عملية جراحية

من رواية **السيد يعقوب قصير***

خلال زياراتنا الرسميّة كنا نلتقي برئيس الجمهورية، أو رئيس مجلس الوزراء، ونقدم لهم تقارير، وخلال تلك الجلسات تناقش الاتفاقات مع وزارة النقل. كان يجلس ويتكلم معهم بصدق وشفافية، يقول لهم:

– أنا لست دبلوماسياً.. لست إلا عنصراً صغيراً في خدمة دماء الشهداء، ومهما أديت من عمل فهو قليل، وأشعر انني لا أؤدي واجبي كاملاً، أنا مشكلتي لا أملك اللغة الدبلوماسية لأنني أتكلم بصدق.

كانوا يعتبون عليه ويلومونه بشدة، لأنه في أغلب الأحيان لا يتصرف كما يريدون، عندما يتعهد طريقاً رئيسية، أو غيرها، يعمد إلى تعبيد جميع الشوارع المرتبطة بتلك الطريق، فيلومونه على ذلك، لأنه لم يرد في الاتفاقيات، فيجيبهم بقوله:

– إذا كنت دكتوراً، وذهبت لتنفيذ عملية جراحيّة، الزائدة مثلاً، لشخص مريض، ووجدت وأنت تقوم بهذه العملية أن هناك ورم بجانب الموضع فهل تتركه ؟!.. كنا ننفذ المشروع ووجدنا أموراً أخرى تشكل آلام للناس هل نتركها؟.. ليس ذلك لأن أحداً ما من الناس له واسطة، إننا إذا لم ننفذ هذه الطرق يمكن أن تخلق فيما بعد مشاكل أخرى.. وأنتم تعترضون عليّ.. ماذا أفعل؟

لم يقتنعوا بهذا المنطق الواضح، فهو لا يرتبط بالسياسة، بل بالخدمة المباشرة للناس، يصرون على رأيهم قائلين:

– نحن في لبنان عندما ننفذ طريقاً يكون هناك غطاء سياسي للتنفيذ، ليس هناك في لبنان خدمة من دون مقابل سياسي.

في إحدى المرات اعترضوا عليه بشدة، لأنه نفذ طريقاً في منطقة جبيل كسروان، بحجة ان تلك الطريق لم تكن مما دمرته الحرب في تموز، فقال لهم:

– لقد جاء أهل القرية إليّ، وقدموا لي الطلب الأول، والثاني، والثالث، ورأيت كيف ان طرقهم كانت غير صالحة أبداً، ولا يستطيعون أن يمروا

* مترجم ومسؤول العلاقات العامة في الهيئة الإيرانية – مسؤول العلاقات العامة والاعلام في جمعية الإمداد الخيرية حالياً

عليها إلا بصعوبة، وأصبحت سياراتهم تعاني الكثير بسبب الخراب اللاحق بهذه الطرقات، والتي كانت تسبب الكثير من الحوادث، فبعثنا لكم بطلب لتوافقوا على تنفيذ هذه الطرقات، ثم ذهبنا للتنفيذ.

– لكنك ذهبت للتنفيذ قبل أن يأتيك الرد.

– مشكلتي أن الفترة عندي محدودة، وليس هناك مبرر لإضاعة الوقت، فالإمكانات عندي متوافرة، فهل أترك الناس وآلامها وهم طرقوا بابي أكثر من مرة؟

كثيرا ما كانوا يطلبون إليه أن يعطيهم المال، وهم يقومون بالذي يرونه مناسباً، كان يرفض ذلك ويقول:

– لست مكلفاً أن أعطيكم المال.. أنا مكلف أن أعمل بنفسي.

كان يعاني من ذلك التباين بين ما كان يقوم به، وبين ما كانوا يريدونه، فهو يريد التقرب إلى الله في رفع المعاناة عن الناس، وهم يبحثون عن مصالحهم الخاصة، كان يصارع بجهد وتعب تلك الموانع السياسية التي كانت تعيق عمله، لقد حارب على الكثير من الجبهات في فترة عمله، بين السياسة والفساد والاهمال والمصالح الشخصية، ما كان أحد سواه يستطيع مقارعة كل ذلك والوقوف بوجه كل تلك المشاكل، فطوال فترة العمل كانت هناك محاولات لعرقلة مهمته، وكان يصارع كل ذلك بمفهوم يلازمه دائماً، وحقيقة واضحة كالشمس بالنسبة اليه، يقف في وجههم ويقول:

– هذا المال ليس مالي، أو مال أحد، هذا المال هو مال الشهداء، مال لخدمة الناس... تريدون أن تأخذوا المال لتنفذوا أنتم المشاريع ويذهب أكثر من نصف المال هدراً.؟ هذا ما لا يحصل أبداً ولن تصلوا إليه.

في إحدى المرات، قام أحد المسؤولين الرسميين بزيارة إلى الجنوب، وفي جولة معه على مشاريع الهيئة توقفنا على مشروع جسر أنصار، فسأل المهندس المسؤول الرسمي:

– كم كلفكم هذا الجسر عند تنفيذه قبل العدوان الإسرائيلي؟

فاتصل المسؤول بمكتبه، وكان الجواب إن التكلفة بلغت 880.000$، فسأله المهندس حسام عن السنة التي نفذ فيها الجسر، فكان الجواب أن الجسر نُفّذ سنة 2003، فقال له المهندس حسام:

– ان القدرة الشرائية وثمن المواد الأولية قد ارتفعت كثيراً من ذلك الحين..

أنا لن أقول لك كم كلّفني، إنّ تصديق ذلك سيصعب عليكم..

نادى على المهندس الذي نفذ المشروع وقال له:

– أنا كم أعطيتك بدلاً من تنفيذ هذ الجسر؟

– 90.000$

– هذا مع العلم أن جسر أنصار كان العدو قد دمره تدميراً كاملاً مع محيطه.

ذهل الجميع وتفاجأوا من هذا الرقم، فبالحساب البسيط كان المهندس حسام يستطيع بالثمن الذي دفع قديما أن يبني عشرة جسور مثل هذا الجسر.

يبتسم ويقول لي:

– يسرني أن يعرف هؤلاء يوم القيامة بما فعلوا حين يقال لهم "وقفوهم إنهم مسؤولون.."

خلال اللقاءات المتعددة مع رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة، وبعض الوزراء المعنيين الذين كانوا لا يعلنون عما تقوم به الهيئة الايرانية، بالرغم من التقارير التي كنا نرسلها، والتي تتضمن إحصاءات تفصيلية وأرقاماً دقيقة عن المشاريع التي تقوم بها الهيئة. كنا نحن الذين ننشرها في الصحف، ومن خلال المقابلات، وفي إحدى المقابلات قال المهندس هذا المثل الايراني:

– هناك من يكون نائماً توقظه فيستيقظ، أما من يقوم بتمثيل دور النائم إن حاولت ايقاظه لا يستيقظ.

ثم طلب مني أن لا أترجم هذا الجزء من كلامه، لكنني وبعد كل الذي رايت من معاناته، ومدى استيائه مما يحدث، خالفت طلبه وقمت بترجمة هذا المثل لشدة تأثري بمعاناته، ثم ندمت بعد ذلك أشد الندم، لأن تلك الترجمة قد خلقت أزمة بين لبنان وايران، وتوترت العلاقة بين الحكومة والهيئة، وتدخلت حتى وزارة الخارجية الايرانية، واعترضوا على هذه الجملة، ثم تدخل الإخوان في حزب الله، وتمنّوا أن لا تدخل الهيئة في نقاش مع الحكومة، لأن ذلك لا يجدي نفعاً كما قالوا، لقد لمت نفسي كثيرا على ما فعلت، ولم أجد لنفسي تبريراً، وكنت في حالة نفسية صعبة، وذهبت لأعتذر منه على ما سببته له، تمنيت أن يلومني، أن يقول لي: كان من المفروض أن تقول ما أريد قوله. لكنه لم يقل شيئاً، بل قال لي:

– أنت أديت وأجبك امام الله يا يعقوب، وعبرت عن مكنوناتي.. كان يجب أن تقال كلمة حق في وجه حاكم ظالم.
لقد طمأنني بكلامه، وسكنت نفسي بعد أن كنت في غاية التوتر.

عندما يشيخ الاسد

من رواية **المهندس عزام كوثراني***

عزز لدي المهندس حسام ايماني وحبي للجمهورية الاسلامية ورجال ثورتها، وكنت أستشعر منه في الكثير من أحاديثه ظاهرة ولائه المطلق للجمهورية، ولقائدها الإمام الخامنئي (دام ظله)، وايمانه الراسخ بانتصارها.
وفي العام 2007 حيث علا صراخ أميركا وإسرائيل بالتهديد بضرب إيران، في ذلك الوقت خفنا جميعاً من إمكانية أن تُضرب ايران فعلاً، لقد كان الجو ملبداً بالخطر، وفي ليلة كان التوتر الاعلامي فيها شديداً، سألت المهندس حسام:
– ماذا تُعِد الجمهورية الإسلامية لذلك؟ وكم هي احتمالات الخطر، وهل سيحدث ذلك؟
نظر إليّ وقال مبتسماً:
– يا حاج عزام أنت ليس لديكم غابة في لبنان؟.
فقلت مستغربا سؤاله:
– وما علاقة ذلك بحديثنا يا مهندس؟
– إذا راقبت الأسد بشكل دائم وهو موجود في الغابة، سيتضح لك أن الأسد عندما يكون شاباً يلاحق طريدته بهدوء، ولا يشعرها بوجوده، وينقض عليها بهدوء تام، أما عندما يهرم الأسد فيصيح ويزمجر ويزأر بأعلى صوته ليرعب الآخرين، وليدلل على وجوده، هكذا أصبحت أميركا اليوم، أصبحت كالأسد الهرم، تصرخ، وتهدد، وتزأر، وما هو إلا زئير في النهاية.

* مدير مكتب شركة معمار للهندسة والإنماء في الجنوب – معاون مدير شركة معمار لشؤون الهيئة الإيرانية حالياً

اغتيال الانسان

من رواية **السيد سمير دكاش***

بعد حرب تموز التي دمرت ما لا يقل عن 300 مبنى في حارة حريك، كل مبنى مؤلف من ثمانية أو عشرة طوابق، وألحقت أضراراً جسيمة بحوالي 300 مبنى آخر، كما تضررت البنى التحتية، وصلت نسبة الأضرارٍ إلى 90%. قامت الدولة اللبنانية برفع الأنقاض فقط، وهذا ما تطلّب أشهراً عديدة من جرافات وشاحنات وعمال لرفع أنقاض المباني. لم يكن بإمكانها إعمار ما تهدَّم، وكان لا بد بعد انتهاء العدوان من البدء بإعادة الإعمار، وكان الكل يبحث عن وسيلة لإعمار المنطقة، فجاءت الهيئة الايرانية، ولا شيء أحسن من مجيئها، برئيسها الفريد والمميز.

وكنت في هذا الوقت رئساً لبلدية حارة حريك، وتعرفت الى رئيس الهيئة الايرانية المهندس حسام بعد أشهر من انتهاء الحرب، إذ حضر برفقة السيد حسن جشي إلى مكتبي في البلديّة، وكان بحوزتهما أفكار عن إعادة بناء ما تهدم في حارة حريك، وتعددت اللقاءات بعد ذلك.

لم نكن نشعر نحن الاعضاء المسيحيينٍ بالحاجز بين مسيحيتنا وإسلام المهندس حسام، كان الانسان فيه طاغياً وهاجاً، في إخلاصه، وصدقه، في تعاطفه، وأمانته، في حسن خلقه، وتواضعه. كانت بحوزته أفكار ذات قيمة عالية، أفكار فريدة لم يعرضها أحد من قبل، فالأفكار التي عرضها لإعادة البناء، والطريقة التي يفكر فيها، أي بناء حارة حريك جديدة، ليس فقط بناؤها كما كانت سابقاً، كان يريدها أفضل مما كانت بكثير، أقصد طريقة هندسة الأبنية، والطرقات، والبنى التحتية.

عندما يريدٍ أن ينفذ ايٍ مشروعٍ كان يعود للبلدية ويأخذ رأيها، خططه كانت تحمل فكراً راقياً، وفناً رفيعاً من علم وثقافة، لذلك كانت تخرج بأفضل ما يكون، ويأخذ بما نقوله، وبما يفيد المصلحة العامة، كان همه الوحيد هو إعادة إعمار المنطقة، وإعادة الأهالي الى بيوتهم بأسرع وقت ممكن.

وكان يستمع إلى السكان، ويطلعهم علىٍ الخرائط في مشروع "وعد"، ويشرح لهم بصبر عجيب. كان متواضعاً جداً، يقابل كل من يريد مقابلته، يسمع راي كل شخص باحترام مهما كان هذا الراي.

أهالي حارة حريك المقيمين وغير المقيمين تعرفوا اليه خارج الحارة، كان يجتمع بهم في المجلس البلدي، وهم من المسيحيين والشيعة، يدوّن كل

* رئيس بلدية حارة حريك سابقاً – مسؤول عن متابعة أعمال الهيئة الإيرانية ضمن نطاق البلدية

صغيرة وكبيرة من طلبات الأهالي، حيث يقوم الأهالي باختيار حتى البلاط ونوع الدهان، ولونه الذي يريدونه، في حالٍ نقصت مساحة بيت حوالي نصف متر، كان صاحب المنزل يطلب تعويضاً فيُعطى ليخرج راضياً، وكان معه مهندسون لبنانيون، وايرانيون، يعاونونه لتحقيق هذه الأهداف.

قمنا بعدة جولات على أرض الميدان مع المهندس حسام، كان يناقش أفكاره مع الكل، مع المتعهد، ومع المهندس المشرف على المشاريع، وحتى مع العامل، وهو يتنقل بين الحارة والشياح والجنوب والبقاع، لم يكن ينام، كان يعمل ليل نهار، وهمه الوحيد إعادة إعمار لبنان، خاصة حارة حريك التي هي قلب المقاومة ونبضها، ونحن أسميناها عاصمة المقاومة.

لم يكن هناك اختلاف في وجهات النظر بيننا وبينه أبداً، فعندما يطرح فكرة لتنفيذ المشروع، ونقول له فكرة أخرى، كان يوافق على اقتراحنا ويقول:

– لم لا، يمكن أن نفعلها هكذا.

باختصار أقول: إن ما قامت به الهيئة الايرانية في حارة حريك بشخص المهندس حسام، وبمعاونة مشروع "وعد"، لم يحدث في التاريخ، إذ لا يمكن إنجاز مشروع بهذا الحجم بمثل تلك السرعة، وبهذا الاتقان.

لقد تركت بلدية حارة حريك كرئيس، لأنه لا يجوز أن يستمر شخص 12 سنة بمنصبه فالمداورة ضرورية، لكنني بقيت عضواً في البلدية . وما زلنا نحن الاعضاء نتذكر في كل مناسبة المهندس حسام، والاثر الذي تركه على الارض، وفي القلوب، نترحم على الشهيد حسام، آسفين على مثل هذه الخسارة، كنا نتمنى أن يبقى بيننا لكنها مشيئة الله.

قيل أن اغتياله هو اغتيال سياسي، والبعض قال أنه عسكري، وأنا أقول هو اغتيال ثقافي، اغتيال للفكر. ما أريد أن أقوله هنا: إنهم اغتالوا الانسان باغتيالهم هذا النموذج الانساني الذي قل نظيره. إنهم لا يريدون مثله في كل هذا الظلام الذي يحيط بأمتنا.

إني أفتقد المهندس حسام في حارة حريك، وباسم أهالي حارة حريك، من المسيحيين وسواهم، المقيمين منهم وغير المقيمين، كل الذين تعرفوا اليه، وعايشوا الانسان فيه، بكل رقيّه وايمانه، برأيه الصائب دائماً. قد أحبه الجميع، أشكره في غيابه وحضوره الذي سيبقى بيننا، في المجلس البلدي، نذكره دائماً بكل مخططات البلدية، نراه في شوارعها، وساحاتها، والأبنية، الكل يشكر حضوره والخدمات الجليلة، وسيظل في ذاكرتنا ما دمنا أحياء.

من رواية **المحامي عباس دبوق***

لقد كانت وظيفتي من الناحية العملية هي الإشراف القانوني على الأمور التي ينظمها المهندس حسام مع الحكومة اللبنانية، وعلى العقود والاتفاقيات التي ينظمها مع غير الحكومة من شركات ومتعهدين، كنا نتعاطى مع أشخاص في الحكومة على مستوى من الوعي والفهم القانوني، وفي المقابل، كنا نتعامل مع متعهدين أقل معرفة بالأمور القانونية، فغالبا ما نتصادم معهم في حق يطالبون به، أو يدّعون أن لديهم حق عندنا، ومع ذلك كان المهندس يطلب إليّ ألا أختلف مع هؤلاء الأشخاص لأننا هنا من أجل خدمتهم كما كان يقول.

أما فيما يخص العقود التي كانت توقع مع الجهات الخارجية، فكان يصر أن تكون كل البنود واضحة للطرف الآخر، كي لا يوقعوا على أمر يجهلونه، ويكون في غير مصلحتهم، خاصة تلك البنود التي تهمهم، قبل البنود التي تصب في مصلحة الهيئة، وكنت أقول له:

– ليس من الضروري الإضاءة على كل البنود.

إلا أن الشهيد كان يصر على إيضاحها، لأنه ينظر إلى الأمور بطريقة أخلاقية، ودائماً يقف إلى جانب الحق بغض النظر مع من هذا الحق، وفي المقابل لا يتنازل عن حقه إذا تم الاتفاق، ولا يأكل حقوق الآخرين، وإن بمقدار شعرة.

في احدى المرات كانت هناك مشكلة حصلت مع إحدى الشركات، تلك الشركة التي التزمت أعمال الإضاءة على الطاقة الشمسية، على طريق مارون، إلا أن هذه الأخيرة لم تقم بإنجاز الأعمال وفق دفتر الشروط، فوقع الخلاف بين الهيئة وبين الشركة، ورفع الأمر إلي، إلا أن المهندس حسام تدخل بالموضوع وطلب مني أن أكون محامي هذه الشركة، ادافع عن حقها قبل حق الهيئة، دفعاً لاي ظلم قد يلحق بهذه الشركة.

وقبل 5 أو 6 أشهر من استشهاد المهندس حسام خوش نويس، كنا في البقاع للإشراف على طريق يتم تنفيذه هناك، ولأن المهندس حسام كان يلزّم الأعمال لمتعهدين صغار، لأنه يريد تشجيعهم ومساعدتهم، بالرغم

* محامي الهيئة الإيرانية

من انهم لا يمتلكون مواصفات الشركات الكبيرة من الناحية القانونية، ومنها التأمين، وعندما كنا نشرف على سير العمل هناك. حدث حادث في فترة وجودنا، إذ كان هناك عامل يقوم بتربيط الحديد، وهو يعمل لدى المتعهد الذي التزم العمل، وإذ بأحد الرجال يركب "المحدلة" ويشغل محركها، فسارت إلى الأمام، ثم رجعت على العامل. فقمنا بنقله إلى المستشفى، مع العلم أن العامل ليس تابعاً للهيئة، إلا أن الشهيد حسام لم يكتفِ بنقله إلى المستشفى، بل ترك أعماله وظل إلى جانبه حتى أطمأن عليه، وقام بدفع تكاليف علاجه التي كان على المتعهد دفعها، بعد ان امتنعت شركة التامين عن دفع التكاليف، لأن العامل ليس تابعا للهيئة، وظل يتابعه حتى تماثل للشفاء، ولم يكتفِ بذلك، بل ظل يساعده مادياً بعد خروجه من المستشفى، حتى أنه قرر أن يشتري له بيتاً، ليستفيد منه ماديا هو وعائلته، لكن سعر المنازل مرتفعٌ جداً، ولم يتمكن المهندس حسام من شرائه، فتوصل في النهاية إلى جمع مبلغ من المال من كل الأشخاص الذين تمكنوا من ذلك، خاصة الذين كان يعمل معهم العامل المصاب، وظل هذا العامل يتردد إلى مركز الهيئة من فترة إلى اخرى، يطالب بالتعويض، وهو ليس من العاملين في الهيئة، إلى أن صادف لقاؤه بالمهندس حسام في إحدى المرات التي كان المهندس متواجداً فيها داخل مكتب الهيئة، وكانت هذه آخر مرة يلتقيه فيها، حيث تفقد أوضاعه، وأخذ عنوان منزله في سوريا، ليزوره هناك، إلا أن شهادة المهندس حسام حالت دون أن يقوم بتلك الزيارة.

رجل ذو طمع

من رواية **المحامي عباس دبوق***

هو رمز للإنسان الزاهد العابد المتواضع، كان تواضعه يظهر من خلال لباسه، من خلال تعاطيه مع الآخرين، وطريقة تعامله معهم، فهو يعاملك في اي مكان يلتقيك وكأنك في بيته دائما، ، يقوم بضيافتك إلى درجة أنه إذا صادف وجودك عنده وهو يحمل كوب شاي يقوم بتقديمه إليك، أما إذا كنت متواجداً عنده وقت الغداء فلا يدعك تغادر قبل أن تشاركه الطعام، وبإلحاح يجعلك تخجل من رفض كرمه.

لقد سبقني الشهيد حسام إلى الحج بأربعة ايام، وعندما لحقت به، كنت تواقاً إلى لقائه، وفور وصولي إلى هناك بادرت للسؤال عنه، لم أجده بسهولة، لأنه كان مشغولاً، وعندها علمت أن معه 25 حاجاً ايرانياً، يقوم على خدمتهم، مسخِّراً نفسه لهم بالكامل، حيث يقوم بتلبية جميع طلباتهم، وعندما سألته عن سبب القيام بخدمتهم طوال الوقت، أجابني قائلاً:

– من هؤلاء أستطيع أن أكسب الكثير... فأنا رجل ذو طمع.. أريد الكثير من الأجر.

وجهه دائم البشر، لا تمل من النظر إليه، فالابتسامة لا تفارقه أبداً، عندما يذهب الحجيج لأداء المزيد من العبادات، يكون هو منهمكاً بتأمين طلبات الوفد الذي يرافقه، ونحن كنا نريد اللحاق بالحجيج، ولكننا كنا نشعر بالخجل منه، اذ كيف نتركه ونلتحق بهم، ولكنه كان يدفعنا إلى تركه دفعاً، طالباً إلينا الدعاء له. هكذا كان طوال وقت الحج، وحتى عند عودتنا من الحج، وحين كنا في الطائرة قام من مقعده وأجلس شخصاً آخر، وجلس هو في آخر الطائرة على كرسي للمضيفة بجانب الحمام.

عند زيارتي إلى ايران أنا وعائلتي، كانت المرة الأولى التي تلتقي به عائلتي، أذهلها بتصرفه وحسن أخلاقه، كان مكرساً نفسه لخدمة من معه، حيث تجده في أي لحظة في خدمتك، ولا يقبل الشكر من أحد، فهذا يزعجه ويحزنه، ويعتبر أن ما يقوم به تجاه الآخرين هو واجب، ويسعى سعي

* محامي الهيئة الإيرانية

الذي يخاف من أن يقصّر فيه، يسعى دائما لراحتك، كأنك أنت هدفه، حيث يستغل كل الأوقات للاستفادة منها لخدمة من معه، ويحاول إعطاء الآخرين كل ما لديه.

عندما كنا نتكلم عن الشهادة، كان المهندس حسام يسترسل في حديثه، يتحدث بشغف وتتغير ملامح وجهه، كمن يتحدث عن أمر يعشقه، كنا نشعر بهذا الشوق في عينيه، وفي صوته وكلماته، وكأنه كان يشعر بحرارة الشوق للقاء ربه. لقد شعر المهندس حسام باقتراب هذا اللقاء، لقد بدا سعيداً في الفترة الأخيرة، حيث قام قُبيل استشهاده بإقفال كل الملفات وإنهائها، وكان يطلب إلى كل شخص يعمل معه أن ينهي هذا الملف وذاك.

البرنامج الحافل

من رواية **السيد حسن شعيتلي***

في زيارتنا لايران، كان لا يشعر بالراحة، لا يطلبها، ولا يهتم بنفسه، لا يهدأ إلا عندما يتأكد من وجود الجميع، ويطمئن عليهم واحداً واحداً، مثل أب عطوف لعائلة كبيرة، كذلك أثناء الطعام، وعند ركوب الحافلة، يساعد الناس حتى في حمل الحقائب، وكان يبادر للمساعدة في كل شيء.

كان البرنامج طويلاً وحافلاً في تلك الزيارة، فقد زرنا ايران بكاملها تقريباً، المقامات والأماكن السياحية، وأضرحة الشهداء والمجاهدين، كلما ذهبت إلى ايران أتذكر أنه أرشدنا إلى أماكن عديدة، من الصعب أن نصل إليها من دونه.

ذهبنا إلى أهواز، حيث استشهد آلاف الشهداء في الحرب الايرانية العراقية، وحيث استشهد الدكتور الشهيد مصطفى شمران الذي رسّخ في رؤوسنا ثقافة الجهاد ضد العدو الإسرائيلي، وكان من المؤسسين مع السيد موسى الصدر لحركة أمل، وفي القاعة كان هناك شخص يشرح عن الشهيد شمران، فاستأذنت المهندس حسام في أن أشرح تجربتي مع الشهيد شمران، فقد كنا سوياً في بداية العمل مع حركة أمل، فشجعني على ذلك، وتحدثت بما اعرفه، وعند ضريح الشهيد شمران طلب مني المهندس حسام أن أقول الذي قلته في القاعة عن الشهيد شمران أمام التلفاز. وفي ذلك اليوم نُظّم تكريم لعوائل الشهداء الذين يرافقوننا في الرحلة، قام بتكريمي مع عوائل الشهداء، لم أكن أنتظر منه ذلك، لقد تأثرت كثيراً، ولم أكن أعلم أن المهندس حسام يعرف أن أخي حسين هو من الشهداء، فأنا لم أخبره أن لي أخاً شهيداً، هو من سأل دون علمي، هو من سعى إلى معرفة ذلك، وكان أخي قد استشهد في حسينية معركة مع الشهيد محمد سعد.

كان المهندس حسام يذهب دائما إلى سوريا، وقد اعتدت أن أتصل به اسبوعياً، وعندما لا أتصل به يبادر ويتصل بي، ويطمئن علي وعلى والدي، ويزورنا في المنزل ويحدث والدي بكل ذلك الاحترام الذي تميز به، يتضاعف ذلك الاحترام أمام أبي لكونه والد شهيد، بالرغم من أنه مضغوط في عمله

* صاحب ومدير شركة الإسراء للتجارة والمقاولات – عمل مع الهيئة الإيرانية في تنفيذ مشاريع مختلفة – من كوادر حركة أمل – شقيق الشهيد حسين شعيتلي

ووقته، وإن لم يتمكن من الزيارة يتصل تلفونياً، يطمئن على والدي، ويشدد عليّ إبلاغه السلام، ويسأله الدعاء.

والدي الذي تعلق بالمهندس حسام وأحبه كثيراً، حزن أشد الحزن لاستشهاده. عندما يذكر الآن اسم الشهيد حسام أمام والدي تجري دموعه على خدّيه.

آخر مرة التقيت فيها بالمهندس حسام كان في مكتب الهيئة، لم يسمح لنا بالمغادرة إلا بعد أن نتناول طعام الغداء. وفي ذلك اليوم شعرت أنه اللقاء الأخير بيننا، فصافحته أكثر من مرة، وضممته إلى صدري وقبلته.

وإن كان وزيراً

من رواية **الشيخ فايز علوية***

كنا ننوي التخطيط لبعض الطرقات، فاتصل ليسأل عن كلفة المتر المربع لتخطيط الطريق، وبعد أن وصل إلى أفضل الاسعار، فكر قليلاً ثم اتصل ليسأل عن سعر ماكنة التخطيط، وأسعار المواد الاولية، من دهان وغير ذلك، وأجرى حسابات سريعة، وانتهى بخلاصة مفادها أن يشتري الماكنة والمواد، ويستأجر عمالاً يعملون على التنفيذ، وهذا ما تم فعلاً، وكان الفارق كبيراً في التكلفة وفي جودة العمل.

وايضا بالنسبة للأسفلت، خلص إلى أن ينشئ مجبلاً للزفت، وأنشأ كسارة واشترى آليات. كان يعمل وكأنه المالك للمشروع، وليس مندوبا مكلفاً. أذهل الجميع حتى من هم في وزارة الأشغال بهذا العمل، فهو قد بدأ العمل بعد حرب تموز بشهرين تقريباً، واستطاع ان ينشئ مجبلاً للزفت، وكسارة، ذهل الجميع من نسبة التوفير الكبيرة التي تمكن من الحصول عليها، لم تسبق لاي جهة مانحة أن قامت بمثل هذا الأداء.

لقد عوّد الناس على العمل بطرق مغايرة عما اعتادوا عليه، مثال ذلك انه اشترط على أن يكون التعاطي مباشراً مع المتعهدين، دون وسيط، ليتمكن من المتابعة المباشرة، وليوفر مبلغا مهدوراً عند دخول الوسيط، وهكذا لم يصمد معه الا الأقوياء في مصالحهم، ومن اصحاب الخبرة، والمخلصين في عملهم.

لا يوجد شيء في العمل "ما بيضبط" لا شيء عنده مستحيل، كل شيء ممكن، ينظر اليك بدهشة إن قلت له مستحيل، ويقول:

– لا تقول مستحيل.. قل صعب.. قل انك لا تريد.. لكن لا تقول مستحيل.

ويثبت عملياً، وعلى الأرض أن مستحيلك ممكن، فهو يقوم بإنجازه على أكمل وجه، وكأن الصعوبات تتذلل أمام اصراره وعناده، أمام قدرته الكبيرة على اختراع الحلول. اخلاصه هو الذي كان يصنع كل ذلك.

استمعت اليه في أحد الايام وانا راكب معه في السيارة، حين رن جرس هاتفه، وكان على الطرف الآخر أحد الوزراء، وبعد أن عرفه على نفسه قائلاً

* مدير مكتب جمعية العمل البلدي في منطقة جنوب النهر (المنطقة الأولى) في حزب الله – التنسيق مع الهيئة الإيرانية فيما يخص مشاريع البلديات الواقعة ضمن نطاق المنطقة

انه الوزير الفلاني، طلب إليه أن يعبّد له الطريق المؤدي إلى بستانه، فطلب إليّ وقتها المهندس حسام أن نذهب سوياً للكشف عن تلك الطريق. ذهبت معه وسلكناها كلها، فوجدناها طريقاً معبدة من أولها حتى آخرها، وكانت طريقاً طويلة، وكنت أقف بالقرب من المهندس حسام حين اتصل بذلك الوزير وقال له أنها معبدة ولا بأس بها، فأجابه الوزير لا مانع من تعبيدها بوجه اضافي لتصبح أفضل، فما كان من المهندس حسام إلا أن قال:

– حرام أن أحرم آخرين من الاستفادة بهذه الأموال لأزفت لك طريق ليست بحاجة إلى تعبيد.

الكثير من الناس غير المهندس حسام، يسعدهم خدمة النافذين وتوطيد العلاقة بهم لاستثمار تلك العلاقات عند الحاجة، لكنه لم يكن بحاجة سوى إلى استثمار علاقته بالله.

قَالُوا فِي الشَّهِيد

نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

الشيخ عبد الأمير قبلان

من الواقع أن نقول المهندس حسام أحب الجنوب اللبناني، واختلط مع الناس حتى أصبح جزءًا أصيلاً من الشعب الجنوبي، لذلك إذا جئت من مكان بعيد واجتمعت بالمهندس حسام تراه جنوبياً أكثر من الجنوبيين.

رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله

السيد هاشم صفي الدين

"افتقدنا أخاً وحبيباً وعزيزاً، خدم المقاومة ومجتمع المقاومة لسنوات بكل إخلاص، وبكل تفان، لقد عرفناه لفترة وجيزة وكأننا عرفناه لسنوات طويلة، دخل إلى قلوبنا، ودخل إلى بيوتنا، ودخل إلى بلداتنا، وقرانا، وأعرافنا، وتقاليدنا بشكل سريع جداً، وبشكل ثابت وراسخ في الوقت ذاته. لم يكن الشهيد حسام مهندساً فحسب، كان مجاهداً، ومضحياً، ومعطاءً، يتميز بالعمل الميداني، وبسرعة الانتاج، ونحن بأمسّ الحاجة في عملنا إلى نماذج تحاكي هذا النموذج، وإن كان – ولله الحمد – لدينا نماذج طيبة ومعطاءة، ولكن يظلّ الشهيد حسام نموذجاً راقياً جداً، وتجربةً تعكس أصالة التجربة الإيرانية، تجربة التدين والثورة وتجربة أبناء الامام الخميني (قده)، وتبقى هذه التجربة حُجّة قائمة علينا جميعاً."

سفير الجمهورية الإسلامية الايرانية السابق في لبنان

الدكتور غضنفر ركن أبادي

"كان يحاول أن يُترجم أفكار الإمام الخميني (قدس سّره)، والإمام الخامنئي (دام ظله) في المجتمع اللبناني ليل نهار، وهذا يحتاج إلى جهد كبير، لكنه كان يقوم به، بحبّ لذلك لم يكن يشعر بالتعب يوماً بل بالعشق، كأنه يصلي أو يصوم، وقد تفاجأت يوم تقبل التعازي في السفارة الإيرانية في بيروت بعدد الناس الذين أتوا إلى السفارة للتعزية، فبعض العائلات جاءت من قرى وبلدات بعيدة لتعبّر عن شكرها وامتنانها للشهيد، وهذا لا يحصل إلا إذا كان الشخص عاشقاً للقضية والرسالة التي يؤديها، ولذلك كرّمه الله بالشهادة."

نائب رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله

الشيخ نبيل قاووق

"قالوا عنه: مهندس ناجح، وقالوا عنه: مجاهد صادق، وقالوا عنه: قائد مخلص لا يعرف التعب، وقالوا عنه: عاشق للشهادة، يطلبها في كل ميادين الجهاد من أفغانستان وإيران إلى العراق ولبنان، وقالوا: إنها كاريزما الحاج حسام، لكن الحق أنها روح الإيمان والتقوى والإخلاص التي أفاضت صدقاً وخدمة وتواضعاً وجهاداً وولاء للإمام الخميني (قدس سّره) والإمام الخامنئي (دام ظله) وشوقاً للشهادة تحت راية قائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف)."

وزير الاشغال العام والنقل (2008–2013)

الأستاذ غازي العريضي

الإنجازات التي حققتها الهيئة الايرانية، والتي كانت مرتبطة بوزارة الاشغال كانت مميزة لجهة النوعيّة الجيدة للعمل، ولحجم الاعمال الكبيرة من جهة ثانية، وارتياح الناس لما نفذ من مشاريع في مناطق بعيدة، ومحرومة هي من الأساس كانت مظلومة، وجاءت اسرائيل لتزيد الظلم والقهر عليها، لذلك لم تكن العمليّة بناء جسر أو ترميم طريق فقط، لكنها أيضاً ساهمت في تعزيز ثقة المواطن اللبناني، وصموده، والإطمئنان والإرتياح الى ما أنجز من مشاريع.

نحن نذكر هذا الرجل بأعماله، والناس تُذكر بأعمالها، فهذا الرجل ترك بصمات إيجابية، وأثراً إيجابياً، سيبقى محفوراً في ذاكرة اللبنانيين.

قاضي شرع صيدا

الشيخ أحمد الزين

كان المهندس حسام الذي لن ننسى فضله وخدماته في لبنان وفي سوريا وفي المنطقة برمتها، إنما يعبر عن سياسة الجمهوريّة الاسلاميّة الايرانيّة التي تدعو من خلال حضارتها الاسلامية العريقة للأخوة والتراحم بين الشعوب على اختلاف مذاهبهم، وقومياتهم، ولغاتهم، لقد وجدنا هذا بارزاً وجلياً في شخص المهندس حسام الذي نطلب من الله وندعو له صادقين بالرحمة وأن يسكنه الجنة.

رئيسة مؤسسات الامام الصدر

السيدة رباب الصدر

إن المهندس حسام كان يؤمن بالأسلوب الذي مارسه الإمام الصدر في تقديم المساعدة والعون للجميع دون استثناء، ودون تفرقة أو تمييز.
لذلك كانت النتيجة ان جميع الناس كانو يكنّون له إحتراماً خاصاً.

عضو هيئة الرئاسة في حركة امل

د. خليل حمدان

"لقد عاينت عن قرب مرة مشهداً من جدية وإخلاص الشهيد حسام في إدارة عمله على طريق في منطقة الجنوب، سألت حينها: لماذا تُركن شاحنتان محملتان بالإسفلت إلى جانب الطريق، في الوقت الذي أرى فيه شاحنات أخرى تفرغ حمولتها؟ قيل لي: هاتان الشاحنتان تأخر سائقهما بعض الوقت فبرد الاسفلت، وقد أمر المهندس حسام بعدم تفريغهما وردّهما لأنهما خرجتا عن دائرة المواصفات... هذا أمر غريب في بلدنا."

المسؤول التنظيمي لإقليم جبل لبنان في حركة أمل

سعيد ناصر الدين

"في الجولات الميدانية التي كنا نقوم بها خصوصاً بعد الحرب مباشرة، كان يتأثّر كثيراً لحجم الدمار، ويتألم عندما يرى أحوال الناس وكأنه عاش معهم ويلات الحرب، لذلك كان يقدم كل وقته للعمل من أجل رفع آثار العدوان بأسرع وقت ممكن، وهو لهذه الغاية، وعند قدومه إلى لبنان، ترك عائلته وأهله في البداية، وحتى يتفرغ أكثر للعمل، جاء بهم بعد ذلك إلى لبنان، وهذا ما يدل على مدى حبه أن يعطي أكثر، فهو كان مهندساً ناجحاً، وكان خير من كُلّف من قبل الجمهورية الاسلامية التي تشكر على ما قدمته لأجلنا في لبنان.
رحم الله الشهيد حسام، لقد خسرنا رجلاً استثنائياً."

معاون رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله

المهندس سلطان أسعد

"بحسب الهندسة كمهنة وكعلم، هناك نمطان من العمل الهندسي: النمط الشائع والكلاسيكي، وهو أن تتدرج بالمشروع من الفكرة إلى إعداد الدراسة واحتساب الكلفة لتنطلق بعدها للتنفيذ، والنمط الثاني هو النمط الإبداعي حيث يستطيع المهندس أن يحول الفكرة الموجودة في الذهن إلى التنفيذ مباشرة، قلة نادرة من المهندسين يستطيعون ذلك. الشهيد حسام كان من هذا النمط. وكان عامل الوقت أساسياً في نجاح مهمته في لبنان أو فشلها، فالأضرار كبيرة، والناس تريد العودة إلى بيوتها وأعمالها، فلو كان سيتبّع الطريقة الأولى، أي طريقة انتظار الدراسة حتى تُنجز، كان سيضيّع الكثير من الوقت لكن نتيجة خبرته الهندسية كان قادراً على المزج بين سير الدراسة، وسير التحضيرات الهندسية، وإذا طرأت أي مشكلة أثناء التنفيذ كان قادراً على معالجتها فنياً دون تعطيل المشروع لإنجاز الدراسة. هذا أمر استثنائي."

مسؤول وحدة المهن الحرة في حزب الله

المهندس حسن حجازي

"الشهيد حسام أسس مدرسة جديدة في الاعمار عنوانها أولاً الحضور الميداني والمواكبة الشاملة للأعمال، فهو لا يدير أعماله من المكتب حتى في أوقات الحر والصوم، ويقضي يومه من الصباح الباكر وحتى ساعات متأخرة من الليل في تفقد المشاريع، إلى جانب ذلك، قدّم أسلوباً جديداً في العطاء، فهو يعطي بلا منّة، بل يعتبر أن ما يقوم به هو أقل الواجب مع شعب قدّم الدّم الذي هو أغلى بكثير مما يقدمه، ويتعاطى مع مهمته على أنها عمل عبادي ومقاوم، فهو بخدمته لهؤلاء الناس يقاوم، وبذلك يُصبح جزءاً من الانتصار."

مسؤول منطقة جبل لبنان والشمال في حزب الله

الشيخ حسين زعيتر

"في الوقت الذي كان فيه الشهيد حسام قائداً على مستوى مقامه ومسؤوليته، كان يتعاطى كجندي في ميدان العمل. كانت حركته الجهادية على مستوى العمل كشلال متدفق من العطاء والتضحية في سبيل القضية التي انتصر لها، وانتصر بها، فاستحق من خلال المميزات الشخصية والصفات الأخلاقية التي يحملها لقب "الشهيد الحي" قبل استشهاده، واستحق من خلال ممارسته وإيمانه العميق بأن خدمة الله تكون من خلال خدمة عيال الله لقب "الشهيد" بعد استشهاده."

المستشار الثقافي للإمام السيد علي الخامنئي

الشيخ علي رضا باناهيان

"لقد قدم الشهيد شاطري إلى لبنان لكي يعيد إعماره، لكن ما فعله هو أعظم من ذلك بكثير. في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث على الأجر الكبير لمعمّري المساجد، لكن بحسب التفاسير يقال ان إعمار المسجد المقصود في القرآن هو ليس الإعمار الفيزيولوجي، أو المادي، بل المعنوي، وهذا ما فعله الشهيد شاطري، لقد أعاد اعمار لبنان معنوياً، وكان الإعمار المادي هو الوسيلة."

النائب في البرلمان اللبناني (كتلة الوفاء للمقاومة)

السيد نواف الموسوي

"لن ينسى لبنان ولا الجنوب الأيادي البيضاء للشهيد حسام خوش نويس، ففي كل مكان نسير فيه سنتذّكر أن من شقّ هذه الطريق هو الشهيد حسام خوش نويس – وهنا يحق القول ان جنوب لبنان لم يكن ليشهد يوماً طرقات بالجودة التي نفذتها الهيئة الإيرانية – ، وفي كل مكان ستؤدي فيه الناس عباداتها ستتذكر أن من أعاد بناءها بعد العدوان الاسرائيلي هي يد المهندس حسام خوش نويس، وستبقى ذكراه الطيبة عالقة في ذاكرة اللبنانيين جميعاً."

النائب في البرلمان اللبناني (كتلة التنمية والتحرير)

الأستاذ عبد المجيد صالح

"الشهيد حسام ماسة نادرة وسط بحر الفساد الذي نعيش فيه، فبرغم ضخامة الأعمال التي قامت بها الهيئة الايرانية لم نسمع عن صفقات أو سمسرات كما هي العادة في لبنان، ويمكننا رصد حُسن الأداء في تنفيذ المشاريع، وعلى رأسها الطرقات، من خلال جودة ونوعية المواصفات التي تجعل الطرقات تخدم لعشرين عاماً، وهو من النماذج الرسالية التي يتمنى المرء أن تحكم مفاصل الحياة السياسية، والاجتماعية، والخدماتية، وبالقيم التي يحملها وعلى رأسها التواضع يشبه قائداً عظيماً آخراً عرفه لبنان، أعني به الدكتور مصطفى شمران."

النائب السابق في البرلمان اللبناني (كتلة الوفاء للمقاومة)

الدكتور جمال الطقش

"المهندس حسام إنسان أممي ليس لديه أي بعد مذهبي أو طائفي أو عنصري أو شعوبي، منفتح جداً، مستمع من الطراز الأول، ومبتسم دائماً. عند وصوله إلى لبنان بعد نصر تموز 2006 كان متحمساً لإعادة إعمار ما دمره العدو الصهيوني، لأنه يعتبر نفسه يقاوم بالجزء المعني فيه وهو إعادة الاعمار، لذا كان يعمل من كل قلبه، فالبرغم مما واجهه من صعوبات، لم يشتكِ يوماً، وظل الحماس لخدمة الناس صفة ملازمة له".

النائب في البرلمان اللبناني (كتلة التنمية والتحرير)

الأستاذ علي خريس

"الهمّ الأساسي الذي حمله الشهيد حسام هو همّ الناس، وكان يردّد أن إيران مهما فعلت لن تفي أهل لبنان، وأهل الجنوب كل العطاءات التي قدموها في وجه العدو الإسرائيلي، لذلك كان يصرّ أن تُنفّذ الأشغال بدقة دون أي خطأ، وبجودة عالية، واللافت أيضاً في شخصية الشهيد حسام أنه كان مثقفاً من الدرجة الأولى، فهو يناقش في القضايا اللبنانية – حتى التفصيلية منها – كأنه لبناني، ويتحدث عن القضية الفلسطينية كأنه فلسطيني، ويتحدث عن القضايا العربية كأنه عربي".

النائب في البرلمان اللبناني (كتلة الوفاء للمقاومة)

الدكتور علي المقداد

"عندما نستحضر الشهيد حسام نستحضر معه كل معاني الوفاء والطيبة والاستقامة والروح الإسلامية الموالية، وجاءت شهادته لتتوّج باكورة الأعمال العظيمة التي أنجزها في حياته، ولتضيف إلى روحه الطيبة قيمة معنوية كبيرة جداً."

النائب في البرلمان اللبناني (كتلة الوفاء للمقاومة)

الأستاذ نوار الساحلي

" أريد أن أركّز على جانب مهمّ في شخصية الشهيد حسام وهو الجمع بين التواضع من جهة، والسلطة والقوة من جهة أخرى، وهذه الصفات في الحقيقة متناقضة ومتنافرة فيما بينها، من هنا، أقول إنه كان يملك خُلق أهل البيت (ع)، إنه شخصية مميزة، لا نستطيع أن نوفيها حقّها مهما قلنا فيه، هو جندي مجهول ظهر عند استشهاده، وعرفنا أنه قائد، وهكذا يكون القادة، لا نعرف قيمتهم إلا عندما نفقدهم."

رئيس جمعية العمل البلدي/رئيس بلدية النبطية سابقاً

الدكتور مصطفى بدر الدين

" لم يكن الشهيد حسام ذلك الشخص التقني والعملي فقط، هو مهندس حادّ الذكاء، منفتح الذهن، سريع البديهة، ويستطيع اصطياد المعنى من الفكرة بشكل سريع، فعندما عرضنا عليه مجموعة مشاريع تعتزم بلدية النبطية تنفيذها، استأنس بها كثيراً، لأنها مزجت بين الحجر والبشر، أي أنها أعطت الهندسة بعداً إنسانياً، وبذلك أعطت مدينة النبطية الصورة المُثلى للمدينة التي يجب أن تكون عاصمة جبل عامل، وعاصمة الجنوب."

رئيس بلدية برج البراجنة

المهندس محمد الحركة

"عندما التقيت به بعد عدوان تموز مباشرة، تفاجأت بشدة نشاطه وحركته التي لا تهدأ في سبيل إعادة إعمار ما تهدم بأسرع وقت ممكن، فهو كان يردّد دائماً أن الانتصار لا يتحقق إلا إذا عادت الضاحية كما كانت وأجمل مما

كانت، فإسرائيل خلّفت وراءها آثاراً لعدوانها، ونحن عندما نلغي هذه الآثار، يبقى شيء واحد هو الانتصار."

رئيس بلدية الجرمق

الأستاذ نبيل شديد

"لم يتعاطَ الشهيد حسام يوماً بطائفية أو مذهبية مع أي شخص مهما اختلف معه، فالإنسان بالنسبة له إما أخوه في الدين وإما أخوه في الإنسانية، ولقد رفعتُ إلى السلطات المعنية في لبنان تسمية الطريق العام لبلدة الجرمق باسمه، فهو من قام بتعبيد جميع طرقات البلدة فليس كثيراً أن نسمي طريقاً باسمه، هو طبعاً لا ينتظر منا أن نكافئه، هو أعطى ورحل، ولكن على الأحياء أن يقدروا ما أعطى الشهيد حسام، ويخلدوا ذكراه."

رئيس بلدية الغبيري

السيد محمد سعيد الخنسا

"يشهد القاصي والداني، الصديق والعدو، بأن عمل رئيس الهيئة الإيرانية المهندس حسام ورفاقه من أجود أنواع العمل، ولم يسبق لها مثيل في الجودة والانتشار، فهل من منطقة أو قرية أو طريق لا تعرف حسام المتواضع، الخبير، التقي؟ عرفه أطفالنا وشبابنا وشيبنا، وكل شجرة ومنعطف في جبل عامل والضاحية والبقاع، عرفوا المهندس حسام سفير الاعمار الذي لا يهدأ، بكل فخر أقول، لقد عرف لبنان أكثر من غالب مسؤوليه وزرائه اللبنانيين."

مدير عام شركة آرش

المهندس وليد جابر

"تجمع شخصية الشهيد حسام جوانب عديدة، وقد أبدع فيها جميعاً، فهو المهندس الذي يُقتدى به في عالم الهندسة وتنفيذ المشاريع التي تميّزت بالجودة وحُسن التنفيذ، إضافة إلى الكلفة المادية، ومضرب المثل لدى رجال الأعمال، وهو المؤمن المسلم التقي الذي يُقتدى به في الإيمان والتدين والأخلاق الحميدة."

مدير مكتب الهيئة الايرانية في صور سابقاً

المهندس رضا عطوي

"لم يكن الشهيد حسام يعمل لأجل العمل، بل كان عنده رؤية وقضية مركزية تُوجهه، قال لي يوماً أنه يستطيع بالأموال المتوفرة لديه أن ينهي أعماله في لبنان خلال عام واحد، لكنه أراد أن يخدم بهذه الأموال أوسع شريحة من الناس، فلجأ إلى شراء مجابل زفت، وباطون في الجنوب والبقاع، وشراء المعدات اللازمة لعمله لأجل أن يوفر في كلفة المشاريع، الأمر الذي يسمح له بتوسيع دائرة خدماته. وكانت نظرته استراتيجية في هذا الموضوع."

مدير عام شركة معمار

المهندس حسين خير الدين

"ما لفتني في شخصية الشهيد حسام هو حضوره، وقدرته العالية على التواصل، فهو يستطيع في اللقاء نفسه أن يجمع بين الدور الرسمي الذي يمثله كرئيس للهيئة الإيرانية، وبين الدور الشعبي الذي يجعل الناس مهما كان شأنهم، أو مقامهم، تلتف حوله، وتحبه، وتتواصل معه كأنه صديق لكل واحد منهم."

مدير مكتب الهيئة الايرانية في البقاع

المهندس محمد الحاج موسى

"لقد خصّ الشهيد حسام منطقة البقاع بمشاريع هامة، وتعاطى معها بدرجة عالية من الإيجابية، وذلك بناء على توصية من سماحة السيد حسن نصر الله، ونظراً للحرمان والإهمال المزمن فيها، ورغم المشاكل التي واجهته ظل يتعاطى بهذه الإيجابية، قلت له مرة: لو أن أحداً غيرك واجه هذه المشاكل لكان ترك العمل، فأجابني: نحن نفرح عند قيامنا بالمهمات الصعبة، فكلما زادت المشاكل وزادت الصعوبات، زاد الأجر وزاد الثواب."

معاون مسؤول وحدة العلاقات العربية في حزب الله

الحاج عباس قدوح

"الشهيد حسام نموذج يمرّ كالطيف، خفيف الظل، لكن عظيم الأثر، فقد استطاع رفع مستوى المشاريع العمرانية في لبنان، واللافت في حركته، أنه لم يُسهم في إعمار الحجر فقط، إنما أسهم في إعمار البشر أيضاً، لم يكن همّه إنشاء حديقة، أو بناء جسر، أو فتح طريق، كان همّه تقديم خدمة ترفع من مستوى ثقافة وإدراك الإنسان في لبنان، وترتقي به ليكون بمستوى تطلعات المقاومة، فهدفه من إنشاء الحدائق على سبيل المثال لم يكن الجانب الترفيهي، بل إيجاد مساحة مكانية، وزمانية، ليروّح الإنسان عن نفسه، حتى يستطيع أن يفكر بشكل صحيح. كان يساهم في بناء المجتمع بكل ما للكلمة من معنى."

خطيب ومدرس في الحوزة العلمية

العلامة الشيخ صمدي آملي

"الشهيد شاطري هو مصداق للآية الشريفة "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً"، فكثيرة هي الميادين الجهادية التي عايشتُ فيها المهندس الشهيد إن في ايران او كردستان او لبنان أو أي منطقة خدم فيها. ما فعله الشهيد شاطري في كل مهماته هو حفظ ماء وجه الجمهورية الإسلامية، انا لا اصفه بسفير الجمهورية الإسلامية، بل هو ماء وجه الجمهورية الإسلامية وواجهة الإسلام.. لقد اعزّها وأعزّ الإسلام بخدماته."

مقالات الصحف

حسام خوش نويس: لو كشفنا الأرقام لأثرنا فضيحة

بسام القنطار*

مهندس إيراني يعمل 18 ساعة في اليوم منذ وصوله إلى لبنان مشرفاً على أعمال الهيئة الإيرانية للمساهمة في إعمار لبنان. عتب حسام خوش نويس على الحكومة التي تتجاهل إنجازات الهيئة، لا يخفف من اندفاعها للعمل ثلاث سنوات إضافية في لبنان يصعب إقناع المهندس حسام خوش نويس بإعطاء رقم مالي لحجم إنفاق الهيئة الإيرانية للمساهمة في إعمار لبنان منذ أن بدأت عملها مباشرةً بعد إعلان وقف الأعمال الحربية في 14 آب 2006. ممثل رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية للمساهمة في عملية إعادة الإعمار، والمقيم في لبنان بشكل دائم مشرفاً على مروحة واسعة من المشاريع، لا يخجل بالرقم المدفوع، وهو بالتأكيد كبيرٌ جداً، لكن «ما نفع الرقم من دون روح. نحن نريد أن يعرف الشعب ماذا أُنجز إلى اليوم، ولكن صدقني إذا كشفنا الرقم المدفوع وتولت شركة تدقيق مستقلة إجراء عملية حسابية تعتمد على تقويم المواصفات التي تم من خلالها إنجاز المشاريع فسيُفتح نقاش لا ينتهي في لبنان عن الهدر الكبير الذي حصل في مختلف المشاريع المنفذة. ما يهمنا هو أن يطمئن الشعب اللبناني إلى أننا راعينا تطبيق المواصفات الدولية الراقية، واستعنّا بالمهندسين المختصين والمستشارين والمخبريين، وراقبنا التنفيذ من جانب المتعهدين، وأشرفنا مباشرة على أعمالهم، وأجرينا اختبارات دورية للمشاريع المنفذة من أجل ضمان الجودة العالية في الأعمال الجارية». الطرقات من 11 مشروعاً رئيسياً نفذتها أو تعمل الهيئة الإيرانية علي تنفيذها، وهي خير مثال يعطيه خوش نويس ليشرح، بالتفصيل، فرادة ما أُنجز حتى الآن: 199 كلم قيد الإنجاز في 12 طريقاً رئيسياً أهمها أوتوستراد بعلبك البزالية، 109 كلم في 12 طريقاً رئيسياً آخر قيد الدراسة، 165 كلم نفّذت في 587 طريقاً فرعياً وداخلياً، 61 كلم في 72 طريقاً قيد الإنجاز، و52 كلم في 33 طريقاً قيد الدراسة. يتناول خوش نويس قلماً وورقة ويبدأ برسم مخطط تنفيذ الطرق: «في الشروط التي قرأتها من جانب البنك الدولي والبنك الإسلامي، والتي يجيزها مجلس الإنماء والإعمار، يضعون في الطريق 20 سنتيمتراً من البسكورس (وبين

* جريدة الأخبار الخميس 6 آذار 2008

سنتيمترين وأربعة سنتيمترات اسفلت. نحن لم نقبل بهذه المواصفات، لأن كل طريق بحاجة إلى دراسة سماكة البسكورس والاسفلت المستخدم بناءً على كشوف مخبرية، ولهذه الغاية أنشأنا مختبراً مركزياً لفحص التربة. اختبرنا عينات التربة عند كل 150 متراً من الطريق المنفذ، وللأسف عند الحفر لم نجد في الطرقات التي نفذت سابقاً إلا طبقات من الاسفلت المكدس، وهذا دليل على أن التنفيذ في السابق كان عبارة عن فلش الاسفلت من دون أن تكون هناك طبقة كافية من البسكورس التي تحميه». ويضيف: «أعلم أن هذا الأمر يثير فضيحة في لبنان، ولذلك كنا نسمع الناس يقولون إن بعض الطرقات يجري تعبيدها بالاسفلت كل عام لتخرب من جديد. عندما نفذنا الطرقات وضعنا في بعض الأماكن 70 سنتيمتراً من البسكورس وخمسة سنتيمترات من الاسفلت، كما عمدنا الى استيراد مادة عازلة تسمى جيوتكستال من تركيا وإيران واليونان، ووضعناها في أسفل الطريق، وهذا إجراء لم يكن متّبعاً في لبنان. كما قمنا بتوسيع الطرقات بنحو يبقيها سليمة مهما كانت عوامل المناخ وطبيعة المركبات التي تسير عليها». ويردف خوش نويس: «الخرائط التي وضعها مجلس الإنماء والإعمار لطريق بعلبك البزالية أشارت إلى قدرة استيعابية لمرور بين ثمانية ملايين وتسعة ملايين سيارة وشاحنة قبل أن تحتاج إلى صيانة من جديد، وكان قرارنا مضاعفة هذا الرقم لتصبح القدرة الاستيعابية للطريق 20 مليون سيارة وشاحنة، وهذا يستدعي رفع المواصفات الفنية على كل الأصعدة». الجسور ولموضوع بناء الجسور قصة أخرى. فقد حصل خوش نويس على كلفة بناء كل الجسور التي أنشئت بين عامي 1998 و2006، وكانت المفارقة أن الجسور التي بنتها الهيئة كلفت ثلث قيمة كلفة الجسور القديمة! وبالعودة إلى الأرقام، هناك 10 جسور رئيسية حيوية بنتها الهيئة وأربعة قيد الإنجاز وستة قيد الدرس. 13 جسراً فرعياً وعبّارة أنجزت و77 قيد الإنجاز. سبب التكتم عن الكلفة بات أكثر وضوحاً الآن. إعطاء أرقام مالية يعني فضيحة وانكشافاً لحقيقة الهدر في لبنان، وتبياناً لواحد من أبرز أسباب تراكم 44 مليار دولار ديناً عاماً على الشعب اللبناني. يرفض خوش نويس الاتهامات التي وجهت إلى الهيئة بأنها تعمل بخلفية سياسية، مؤكداً أن «سياسة الجمهورية الإسلامية مبنية على احترام كل المعتقدات»، ومعرباً عن خيبة أمله من طريقة تعاطي الحكومة اللبنانية والرئيس فؤاد السنيورة شخصياً مع الهيئة الإيرانية. ويقول: «لا

أريد تحقيق نقاط سياسية وسأدافع عن حقوقي إذا تعرض لها أحد. الرئيس السنيورة لم يكن لطيفاً معنا وتجاهلنا. رصدنا غالبية تصريحاته منذ مطلع عام 2007 وكنا في حينها قد انتهينا من تنفيذ المشاريع التي تحتاج إلى مدى قصير في إنجازها وأرسلنا تقارير إلى دولته عبر الجهات المختصة، فإذا به يقول إن الهيئة الإيرانية لا تشاورنا! هذه إهانة لا نقبلها. كل ما قمنا به هو من ضمن اتفاقيات موقّعة مع مجلس الإنماء والإعمار ومجلس الجنوب ووزارتي الصحة والتعليم والبلديات المعنية وبعض المراسيم التنفيذية وقعها هو شخصياً». ويوضح: «عندما قال (السنيورة) إن الهيئة تحقق في ترميم 60 مدرسة، كنا عملياً قد أنجزنا ترميم 102 مدرستين (140 مدرسة أنجزت إلى الآن و10 قيد الإنجاز و7 قيد الدرس). حتى وزير التربية خالد قباني تهرب من حضور افتتاح مدارس جرى ترميمها. وعلى رغم أنه وافق، بدايةً، على الحضور، عاد وتذرّع بأنه لم يفتتح أي مدرسة لأي جهة ولا يريد أن يكسر القاعدة. أما الرئيس السنيورة، فرغم تأكيد تمثيله في الاحتفالات عبر وعد قطعه لسفيرنا، عاد وتراجع متذرعاً بأن الاحتفالات تخص مدارس خاصة ولم تجر العادة أن يُنتدب ممثل عن رئيس الحكومة في احتفالات لمدارس خاصة. طريقة التعامل هذه تذكرني بمثل إيراني معروف يقول: إذا كان أحد ما نائماً فعندما توقظه يستيقظ. أما إذا كان متناوماً فمهما فعلت لإيقاظه فإنه، بطبيعة الحال، لن يستيقظ». يجاهر خويش نويس بأن رؤية الهيئة الإيرانية للعمل في لبنان «تعتمد على استراتيجية طويلة الأمد»، ولذلك مُدّد عمل الهيئة ثلاث سنوات إضافية، «وهي حالياً تعمل على توسيع قاعدة عملها الإنمائي وتتلقى مئات الطلبات من البلديات لتنفيذ مشاريع إنمائية»، مؤكداً «أننا لن نتوانى عن تنفيذ أي مشروع جديد، والتدخل لإنقاذ مشروع متعثر، ونحن نتعاطى مع الشعب اللبناني باعتباره شعباً مقاوماً ومضحياً، ومن الخطأ التعاطي معه على طريقة الاستجداء والتزلف. هذا الشعب تعرض للظلم طوال السنوات الماضية بسبب قلة العدالة في هذا العالم وهمجية العدوان الصهيوني». الحديث مع خوش نويس لا بد أن يلامس السياسة، لدى سؤاله عما إذا كانت هناك خشية من استمرار أعمال الهيئة مع بوادر التوتر التي تلوح في الأفق بقدوم البوارج الأميركية الى قبالة السواحل اللبنانية، يعلق المهندس الإيراني بالقول: «لبنان ليس شجرة ضعيفة تنكسر عند أول نسمة».

حسام خوش نويس

راجانا حمية*

– نحن هنا خدمة لشعب المقاومة

– فرح لأن ابني سيتزوج من لبنانية

يكرّم حزب الله، عند الرابعة من عصر اليوم، رئيس الهيئة الإيرانية لإعادة إعمار لبنان المهندس حسام خوش نويس في احتفال تأبيني يقام في المركز الثقافي لبلدية الغبيري. سيُحتفى بالرجل بسبب إنجازاته، فيما نذكره هنا إنساناً أحبّ لبنان ومقاومته

راجانا حمية

وحدهم، أبناء «حارته» اللبنانية يعرفون من هو الإيراني. يعرفونه مهندساً ورئيساً للهيئة الإيرانية للمساهمة في إعادة الإعمار بعد حرب مدمرة. يعرفونه إنساناً. يحمل اسماً كسائر البشر. لا يهم إن كان حقيقياً، أم لقباً جهادياً. ما كان يهم أنه «كان إنساناً مثلنا. يحبّ وقليلاً ما يكره». هكذا قال الملازمون له كظلّه في لبنان.

حسام خوش نويس أو حسن الشاطري. لا فرق. كان يمكن لحسام أن يأتي باسم حسن «ويبقى مهندساً متقناً لعمله»، يقول رئيس مجلس إدارة «مشروع وعد لإعادة الإعمار» حسن جشي.

عندما استشهد خوش نويس، أو نافيس كما يلفظ بالفارسية، غاص الكلّ في التحليل: من هو هذا الرجل؟ وماذا كان يفعل قائد في الحرس الثوري الإيراني في لبنان؟ ولمَ لم نستحق توضيحاً من الحكومة اللبنانية عن هويته؟ كل هذه الأسئلة سئلت. ولكن ماذا عنه كإنسان كانت له مساهمة كبيرة في إعادة إعمار مناطق كثيرة في لبنان؟

في 14 آب 2006. حضر خوش نويس إلى لبنان، رئيساً للهيئة الإيرانية لإعادة الإعمار في لبنان. جاء وحيداً. بلا عائلة. بمهمة خدماتية، كغيره من الآتين من دول مجاورة للمساعدة. لم يكن إنساناً غير عادي إطلاقاً. كانت له يومياته وحياته.

فور وصوله بدأ عمله. لم يعط جسده وقتاً للراحة. كان يكرّر دائماً «إننا هنا لخدمة شعب المقاومة»، يقول رفيقه المهندس حسن حجازي. ولأجل

* جريدة الأخبار الخميس 21 شباط 2013

ذلك، كان يقضي 18 ساعة في العمل، يومياً.
لا يحب هذا الرجل «شغلة المكاتب». كان المكتب ملجأه الأخير ليلاً للتفرغ لخرائط اليوم التالي ودفتر مذكراته، سينهيه مع الفجر نائماً على الكرسي أو «في الغرفة المجاورة التي صارت بيته»، يتابع حجازي. في الساعات الطويلة تلك، كان خوش نويس يتنقل بين المناطق التي تعمل فيها الهيئة «وفي اليوم نفسه، كان يجول في لبنان من الجنوب إلى الهرمل إلى الشمال، وعندما يعود ليلاً لا ينام».
في إحدى المرات، بقي مستيقظاً حتى الخامسة فجراً. وكان يساعده شابان في حينها، عباس قطايا، المسؤول الإعلامي في الهيئة، ودانيال علوية. يتذكر قطايا أنه نعس مع ساعات الفجر الأولى، ولكنه لم يكن قادراً وصديقه على الرحيل وترك خوش نويس وحيداً. بقيا منتظرين، حتى دخل ليصلي صلاة الفجر. عندها، هربا. وما كادا يصلان إلى البيت، حتى رنّ الهاتف وسمعه يقول له «شباب ارجع نصف ساعة بس».
على عكس الكثيرين، لم يكن الليل بالنسبة إليه للنوم. فقد كان «يكبو» عندما يعود من تجواله أو بعد صلاة الصبح. يستغرب المقرّبون منه كيف يعود ويستيقظ في اليوم التالي على هذا القدر من النشاط. فهو لم يستيقظ يوماً متأخراً عن اليوم الذي سبقه، كما أنه لم يتمسك ببعض العادات. يذكر قطايا أنه كان يصل صباحاً إلى مكتبه مع الترويقة، «التي كانت نفسها كل يوم: جبن وجوز وبعدها كوب الشاي مع التمر». أما في السيارة «فكان ينقطع عنا نهائياً أول ثلاثة أرباع الساعة، يستمع إلى القرآن ويرتله في الوقت نفسه». لا مكان للأحاديث الجانبية في حياته. مرتين حكى. في المرة الأولى، عندما لم يوافق رئيس الحكومة فؤاد السنيورة على السماح له بنزع الألغام. في تلك المرة، ظهر خوش نويس الهادئ بالمظهر الذي لا يشبهه «عصبي، وقد كانت هي تلك المرة الأولى التي تحدث فيها عن علاقته السيئة بالسنيورة»، يقول حجازي. والمرة الثانية كانت عن سرّ سعادته، التي كانت مفرطة في حينها. يومها، قال لحجازي «أنا فرح»، منتظراً من الأخير أن يسأله لماذا. وعندما سأله، قال له «ابني سيتزوج لبنانية». أحب «الشي الغريب في لبنان»، كما قال في إحدى المرات. ولكن، ليس لأن اسمه لبنان، بل «لأن فيه المقاومة». ويتذكر قطايا عنه أنه لم «يكن يمر أسبوع إلا ويطلب زيارة عائلة شهيد»، ودفتر

المواعيد يشهد على ذلك وجدران المكتب التي تمتلئ كل يوم بصورة شهيد جديد. وفي كل مرة كان يزور فيها بيت شهيد، كان يحرص على تقبيل يدي والده ويطلب صورة له. أما أولاد الشهداء، فكان يردد لهم عبارة واحدة حفظها الكل عن ظهر قلب «نحن نفتخر بكم». وهذا ما قاله لياسر عباس الموسوي في أول لقاء معه.
نادرة هي أوقات الفراغ التي كان يقضيها الرجل. ولكن، عندما تحدث، يستغلها في متابعة المباريات الرياضية أو لعب كرة القدم أو قراءة الروايات. وفي المرات النادرة التي كان يقصد فيها محلات الثياب، كان يحرص على «قراءة مكان المنشأ والصناعة، وفي غالب الأحيان لا يشتري إلا ثياباً إيرانية». أما الأكل، فلا دوام له، باستثناء الوجبة الصباحية. فقد يكون الغداء ليلاً، وقد يكون «سندويشاً على الطريق»، يقول حجازي. وإن دلّل نفسه قليلاً «فقد يطلب أكلة لبنانية يحبها، وأحبها إليه الفتوش أو التبولة والفروج المشوي».
لم يتذكر رفاقه كل تلك التفاصيل، إلا عندما استشهد وأقفلت الغرفة التي كانت مفتوحة على الدوام على دفتر مذكرات لا أحد يعرف من سيحتفظ به أخيراً.

سرّ الكتمان

عندما كان المهندس حسام خوش نويس يُسأل عن تكلفة المشاريع التي قامت بها الهيئة الإيرانية في لبنان، كان يختبئ خلف جواب واحد «ما قمنا به لا يساوي قطرة دم شهيد». لكن، ثمة سبب آخر لهذا الكتمان، وهو ما قاله لـ«الأخبار» في أيار 2008: «إذا كشفنا الرقم المدفوع على مشاريعنا وتولت شركة تدقيق مستقلة إجراء عملية حسابية فسيفتح نقاش لا ينتهي عن الهدر الكبير الذي حصل». عبارة تسببت يومها في احتجاج رسمي من قبل الرئيس فؤاد السنيورة، وانتهى بتعهد ألا يعود خوش نويس إلى التصريح الإعلامي.

الإيرانيون ينجزون مشاريع لإعادة الإعمار بكلفة تسعة بالمئة من التقديرات

زينب ياغي*

أي مساعدة تقدمها إيران للبنان تكون عادة مثيرة للجدل، مهما كانت إيجابية، كون إيران تساند وتدعم «حزب الله»، ولذلك، لم يكن مفاجئا أن تضع حكومة الرئيس فؤاد السنيورة شروطا على المساعدة الإيرانية بعد «حرب تموز»، ولكن تدريجيا، بدأت الحكومة تقبل بهذه المساعدات كأمر واقع؟

كان العرض الايراني كبير الأهمية، كما يوضح مدير الهيئة الايرانية للمساهمة في إعمار لبنان المهندس حسام خوش نويس، وهو يقضي بتولي إعادة بناء كل ما دمرته الحرب من مؤسسات وطرقات وجسور ومجار، أي كل ما يخص المواطنين من بنى حيوية، باستثناء المنازل التي كانت الحكومة تعد لها آلية تعويضات خاصة.

يقول نويس إنه بعد انتهاء الحرب جاء إلى لبنان وفد برئاسة مساعد رئيس الجمهورية الايرانية سعيد لو، يرافقه وزيرا الصحة والطاقة ووزير عمل الطوارئ وعرض الوفد المساعدات الايرانية خلال لقاءات عقدها مع رئيس الجمهورية السابق إميل لحود ورئيس مجلس النواب نبيه بري والرئيس فؤاد السنيورة. لكن رئيس الحكومة طلب أن تدفع إيران أموالا وتضعها في حساب الدولة في مصرف لبنان المركزي، على أن تقوم الحكومة بتنفيذ المشاريع، فرد رئيس الوفد قائلا إن تقديم الأموال من أسهل الأمور، لكن المسألة هي في إعادة بناء مؤسسات ومرافق حيوية دمرتها الحرب، وأوضح أن الحكومة الايرانية تفضل تولي العمل مباشرة لأن لدى الايرانيين تجربة في كيفية إعادة البناء السريع، لأن إيران شهدت حربا طويلة مع العراق وتشهد زلازل ونكبات طبيعية وسيولا، مبديا الاستعداد لوضع تلك الخبرة في تصرف اللبنانيين.

ويتابع أن مفاوضات صعبة جرت مع الرئيس السنيورة قال فيها أنتم جئتم لمساعدة حزب الله لا لمساعدتنا، مع العلم أن المشاريع تطال كل المناطق، ولدى سؤاله عندها لو دمرت الحرب مناطق غير الجنوب والضاحية هل كنتم

* جريدة السفير الخميس 31 كانون الثاني 2008

ستساعدون بالطريقة نفسها؟ فيجيب من دون تردد: طبعا، نحن نعتبر أن إسرائيل ظلمت الشعب اللبناني بأجمعه، ولا تفريق لدينا بين منطقة وأخرى، وتلك هي رؤية الجمهورية الايرانية للبنانيين وليست رؤية خاصة، مشيرا إلى أن المساعدات الايرانية للبنان بدأت منذ مطلع الثورة في العام 1979.

كلفة أقل وجودة أعلى

تبين أن المشاريع المتبقية عن الدول المانحة كثيرة يقوم بتنفيذها عدد من المتعهدين والمقاولين اللبنانيين، بإشراف خبراء إيرانيين، لمراقبة الجودة في التنفيذ.

لم يشأ خوش نويس الإفصاح عن الميزانية التي وضعت حتى الآن، لأن المسألة ليست في الاستعراض المالي، وإنما في تنفيذ مشاريع بمواصفات جيدة، لكنه أفصح أن نسبة الكلفة التي دفعتها إيران على المشاريع، بلغت تسعة بالمئة فقط من الكلفة الرسمية المقدرة، وأورد مثلا على ذلك عندما قال إن الكلفة الرسمية التي قدرت لدراسة وإشغال وتجهيز جسر أبو الاسود بلغت مليون دولار، وذلك الرقم منشور في المجلة الدورية التي ينشرها مجلس الانماء والاعمار عدد ايلول الماضي، بينما بلغت كلفة بناء الجسر الحقيقية ثمانية وتسعين ألف دولار، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى اعتماد الهيئة الايرانية متعهدين يقومون بتنفيذ الاعمال مباشرة وليس عبر تلزيمها إلى متعهدين آخرين، ويسأل هنا أيهما أهم: الميزانية، أم كيفية بناء الجسر؟ ويلاحظ أنه يجري هدر أموال كثيرة في مشاريع البناء التي تقدر بأكلاف عالية، قائلا: حسب علمي جرى تقديم مساعدات مالية إلى لبنان تفوق قيمتها كلفة ما دمرته الحرب، ولو قامت الحكومة بإدارة مشاريع إعادة البناء، ضمن جدول واضح، لتحول لبنان إلى جنة.

وأوضح أن هناك مقاولين أبدوا احتجاجهم، لدى رؤيتهم كيفية إعادة تأهيل الطرقات والجسور التي توليناها قائلين: لو أهلنا الطرقات على طريقتكم فسوف نعيش عاطلين عن العمل، لأننا نعبد الطرقات كل عامين تقريبا، بينما طريقتكم تجعلها صالحة لسنوات عدة.

المشاريع معلنة بتأكيد رسمي

يرد خوش على ما يقال بأن الهيئة الايرانية لمشروع الاعمار تشق طرقات وتعبدها في الجنوب من دون أن تدري بها الحكومة، ويعتبر أن ذلك مجرد رأي لأن الهيئة تحصل على تراخيص لدى الجهات المعنية بكل المشاريع التي نقوم بها، سواء من الوزارات المختصة أو البلديات، ويوضح أن الهيئة قدمت لوائح تفصيلية مرفقة بالخرائط إلى كل من وزارة الأشغال ومجلس الانماء والاعمار، ويفتح ملف الاعمار الذي بين يديه مشيرا الى الجداول التي تتضمن الطرقات والقرى الموجودة فيها.

من جهته، يوضح مصدر في وزارة الأشغال أن الوزارة تحصل على اللوائح الخاصة بالمشاريع الايرانية من رئاسة الحكومة، مثل باقي الدول المانحة، بينما أوضح مستشار رئيس الحكومة في ملف الاعمار غسان طاهر أن الهيئة الايرانية تقدم لوائح بمشاريعها إلى الوزارات المختصة ومجلس الانماء والاعمار، وأكد مجلس الانماء والاعمار من جهته تقديم الهيئة لوائح بالمشاريع التي تقوم بها.

الهيئة الإيرانية أنجزت تسعة جسور وستة للمشاة وأهّلت 600 طريق فرعية

فاتن قبيسي*

خويش نويس: «الكفالة المصرفية تضمن حسن التنفيذ وأضرار العدوان أولويتنا»

لافتات «الهيئة الايرانية للمساهمة في اعمار لبنان» مرفوعة في كثير من المناطق والبلدات اللبنانية التي تعرضت للقصف خلال «عدوان تموز». انها ابرز الجهات التي تعهدت تأهيل الطرق في المناطق المستهدفة (الى جانب مشاريع اعمارية معينة).

وفيما يدخل الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية في نطاق عمل الهيئة، الا ان الورش في الجنوب والبقاع لا تزال قائمة على قدم وساق، نظراً لضخامة عدد القرى المتضررة. في الضاحية أهّلت بلدية طهران تحت اشراف الهيئة، ستة جسور للمشاة على طريق المطار، اضافة الى طرقاتها الداخلية، بحسب مصدر في الهيئة.

ويرد المصدر السبب في وجود طرقات غير مؤهلة في الضاحية حتى الآن، «الى ان صلاحيات الهيئة تنحصر في تلك المتضررة حصراً من العدوان»، لافتاً إلى أن الهيئة طلبت أيضا من الدولة اللبنانية تأهيل جسري بئر العبد والحي الابيض، «فقيل لنا بان السعودية تكفلت بالمهمة».

أنجزت الهيئة الإيرانية حتى اليوم ستمئة طريق في لبنان، (إما داخلية او تربط القرى ببعضها)، وبمساحة اجمالية تمتد على 330 كيلومتراً.

في البقاع وحده انجزت الهيئة 92 طريقاً فرعياً، وبدأت العمل في 14 طريقاً اخرى، وبمساحة اجمالية تبلغ 45 كيلومتراً، اغلبها في مدينة بعلبك. كما انجزت جسري العاصي الرئيسي والفرعي. وباشرت العمل في طريق بعلبك التوفيقية (25 كيلومتراً)، بكلفة 25 مليون دولار، بناء على مذكرة تفاهم مع «مجلس الانماء والاعمار». وطريق بعلبك بوداي (12كلم)، بالاتفاق مع اربع بلديات، وكلفته حوالى مليون ونصف مليون دولار، على أن تتم المباشرة باشغال طريق كسارة تلال زحلة، بعد عيد الفطر، وذلك بموجب

* جريدة السفير الخميس 15 تشرين الأول 2007

مذكرة موقعة مع بلدية زحلة.
اما في الجنوب فقد تم تأهيل طرقات حوالى سبعين بلدة من اصل اكثر من 110 بلدات تقع جنوبي النهر، إلى جانب طرقات عدد من البلدات شماله.
كما انجزت سبعة جسور هي: جسر ابو الاسود (النبطية)، جسر العدوسية (النبطية)، جسر الصرفند، جسر السكسكية، جسر البابلية، جسر انصارية، جسر انصارية (دار تقلة)، فيما اصبح تأهيل جسر خيزران في مرحلته النهائية، ولا يزال جسرا الوادي الاخضر والشقعة قيد الانجاز.
غير ان هناك مشاريع اخرى في الجنوب والبقاع تنتظر البت الرسمي بها.
وثمة صعوبات تواجه احياناً اقرار المشاريع والتنفيذ على حد سواء.
ماذا في التفاصيل؟
يضج مكتب الهيئة في شارع «السفارات» في بيروت بالموظفين والدراسات والخرائط. البعض يتحدث اللغة الفارسية والبعض الآخر العربية باللهجة اللبنانية. يستعين ممثل الجمهورية الايرانية للمساهمة في اعمار لبنان حسام خوش نويس بخريطة وهو يتحدث عن مشاريع الطرقات. يجزم ان المكتب في بيروت يتمتع بصلاحيات كاملة، «وان القرارات المتعلقة بهذه المشاريع تتخذ هنا وليس في ايران».
يؤكد نويس «أن بعض الطرقات استهدفت في «حرب تموز» في اجزاء منها فقط، الا اننا قررنا تأهيلها كاملة». وان«الطرقات التي تربط البلدات ببعضها في الجنوب كانت تؤذي الناس كثيراً، فبدأنا بتأهيلها، بما فيها تلك التي كانت انجزتها وزارة الاشغال بعد العدوان، لأنها عادت «وخربت» مجدداً».

مذكرتا تفاهم

وكانت الهيئة باشرت نشاطها مع توقيع مذكرتي تفاهم مع الدولة اللبنانية، في تشرين الاول العام2006 تقضي الاولى باعادة بناء جسر العاصي، وتشمل الثانية «تأهيل وترميم كل الطرقات الداخلية في الجنوب، المتضررة مباشرة من «حرب تموز»، بموجب هبة عينية من ايران. كما تنص على اعادة بناء الجسور التالية: جسر خيزران، جسر البابلية، جسر ابو الاسود، جسر انصارية، جسر انصارية (دار تقلة)، جسر العدوسية، جسر السكسكية وجسر الصرفند.
وتضمنت المذكرة أيضاً التعهد بإعادة تأهيل أربع طرقات رئيسية هي:

طريق صور قانا تبنين، طريق صور برج رحال صريفا، طريق النبطية الغندورية بنت جبيل، وطريق النبطية كفرحونة مشغرة، على أن يصار إلى تنفيذ هذه الهبة بالتنسيق مع الاجهزة المختصة (وهنا وزارة الاشغال).
وحول قيمة الهبة المدرجة بمذكرة التفاهم، يشير خويش نويس الى «انها غير محددة تبعاً لكلفة الدراسات والمشاريع»، مشيراً إلى »أن كلفة الكيلومتر الواحد تتراوح بين 300 الف الى 400 الف دولار».
وحول المدة الزمنية لانجاز المشاريع يقول: «انهينا العمل بمعظم الجسور في الجنوب والبقاع. وكان يفترض انجاز الطرقات الاربع الرئيسية في الجنوب خلال ثمانية اشهرمن تاريخ انطلاق العمل في بداية السنة. لكن هطول الامطار ومشكلات شبكات البنى التحتية وغيرها، مددت الفترة الى 12 شهراً، علماً بأنه انجز منها حتى اليوم ما بين 50 الى 70 في المئة من مراحل العمل».
غير ان هناك صعوبات اخرى واجهت الهيئة، يقول خوش نويس: «لم يكن بايدينا اي دراسة او خريطة، وكنا نحتاج الى حد ادنى من المعطيات، وهذا لم يكن موجوداً لدى وزارة الاشغال، فبدأنا من الصفر. اجرينا مسحاً طوبوغرافيا، واخذنا عينات لفحص التربة من سطح الطريق الى تحتها بعمق متر ونصف المتر، ثم درسنا حجم تردد حركة السير، بحيث تم تفريغ عدد من الأشخاص لمراقبة عدد السيارات وانواعها (خفيفة او ثقيلة) لمدة شهرين، منذ الصباح وحتى المساء، للحصول على احصاء واقعي لحركة السير».
«ولفحص التربة، يضيف، حفرنا الطريق كل مئة متر، وصورناها وحددنا كمية الزفت الموجودة لتحديد الطبقات، واخذنا عينات لفحصها لمعرفة قدرة الطريق على التحمل، وقدرة «الباسكورس» الذي في اسفلها، وتحديد طبيعة الارض(رملية، او ترابية، بحصية او موحلة)، مستعينين بمختبرات في لبنان وايران».
«بعد الاختبار، يتابع نويس، وضعنا دراسة جديدة للطرقات، حددنا بموجبها الامكنة التي يجب نزع المواد منها، والامكنة التي يجب تعديل المواد فيها. وتقرر تبعاً لنوع الارض استخدام مادة «جيوتكستايل» (شبيهة بالموكيت تستورد من الخارج)، لضمان قدرة الارض على المقاومة. ثم وضع ثلاث طبقات من «الباسكورس» وطبقتين من الزفت».

أما الصعوبات الاخرى فتمثلت بوجود شبكات بنى تحتية في لبنان بطريقة غير مدروسة: «عندما نحفر الطرقات تطلع الشبكات معنا بالجرافة» يقول. لذا تم تعميق شبكات المياه في الأرض. وتم مد شبكة مجار (ريغار)على مسافة كل مئة متر على جانبي الطرقات، لضمان عدم تخريبها من قبل من ينوي بناء منزل مستقبلاً، حيث سيعمد الى مد القساطل دون الحاجة إلى الحفر مجدداً. كما وُضعت قنوات لتصريف مياه الأمطار على جانبي الطرقات، وانشئت عبارات في وسطها. والاهم هو انه تم توسيع الطرقات من عرض اربعة او خمسة امتار الى عشرة امتار، مع انشاء جدران دعم».

فرص عمل لفنيين وعمال لبنانيين

وعما اذا كان الفريق الايراني يستعين بخبرات او عمال لبنانيين، يقول نويس: «استعنا باستشاريين لبنانيين، ومختبرات لبنانية، ولدينا 14 مقاولاً من المصنفين «درجة أولى» في لبنان، يعملون في اشغال الطرقات الرئيسية الاربع. اما العمال الميدانيون فكلهم لبنانيون لسبب، وهو اننا عندما كنا نحضّر لاستحضار طاقم عمال ايراني، اكتشفنا ان قسماً كبيراً من المتعهدين في لبنان بعد «حرب تموز» عاطل عن العمل. وكل متعهد لديه حوالى خمسمئة عامل بين فنيين ومهندسين ومساحين وعمال. ونحن نتعامل مع 14 متعهداً لبنانياً».

لكن، هل يتم تدريبهم وفق المواصفات المعتمدة في مشاريع الهيئة؟ يعتبر نويس أن «التقيد بالمواصفات مسألة صعبة، ومع ذلك ندرّبهم. حتى العقود التي وقعناها مع المقاولين اللبنانيين محكمة وصعبة، وقد اعطيناهم بموجبها سلفة وحصلنا في مقابلها على كفالة مصرفية عالية، ليضمنوا لنا حسن تنفيذ المشاريع، وليتحملوا مسؤولية الاموال التي اخذوها.. نحن حسّاسون للتنفيذ وليس للدراسات. فأنا مندوب دولة، لكنني البس ثياب العمل كل ثلاثة ايام في الاسبوع، واعاين المشروع على مسافة خمسة كيلومترات سيراً على الاقدام. وفي كل مشروع، هناك عدد من المندوبين والمهندسين».

ولضمان تنفيذ المشاريع ايضاً، يضيف: «اجبرنا المقاولين على اجراء اختبارات على عملهم، وبعضهم حصل على نتيجة غير مطابقة للمواصفات، فطلبنا منه اعادة العمل. ويستشهد بحادثة معينة: «قصدت احد جسور

الزهراني، وكان العمال يصبون الباطون، فأجريت اختباراً للباطون في ارض المشروع، واكتشفت انه غير جيد، فطلبت إيقاف العمل واستبدال هذه المادة باخرى اكثر جودة».

ويشير نويس إلى أن: «البلديات تتعاون مع الهيئة، خصوصاً لجهة إزالة الاستملاكات الصغيرة، وتغيير شبكات المياه والكهرباء».

مشاريع على لائحة الانتظار

في موازاة الورش القائمة، هناك طرقات اخرى قيد الدراسة في الجنوب والبقاع وهي:

بعلبك الطيبة، حنية صديقين، بياضة يارين، الناقورة بنت جبيل مرجعيون، بلاط برغز مشغرة، النبطية عربصاليم جباع، الدوير الشرقية البابلية خط الساحل، ومليخ اللويزة. اضافة الى قسمين من مشروع طريق بعلبك القاع وهما: التوفيقية رأس بعلبك، ورأس بعلبك القاع، اللتان يعيق تنفيذهما وجود استملاكات، علماً بأن العمل بدأ في القسم الثالث المتعلق باوتوستراد بعلبك التوفيقية.

وردا على سؤال يؤكد ممثل الدولة الايرانية ان كل الطرقات المتضررة من العدوان الاخير مشمولة بلوائح الهيئة، باستثناء القرى والمناطق التي تتولى اعادة اعمارها قطر والسعودية. ويقول: «ان الهيئة حصلت على 350 طلباً حتى اليوم لتأهيل طرقات جديدة، من قبل عدد من البلديات في لبنان. لكننا وجدنا انها غير متضررة جراء العدوان، وذلك لا يدخل في اولوياتنا.. والامر قابل للبحث لاحقاً».

من هو المهندس حسام خوش نويس أوالجنرال حسن الشاطري؟

جريدة النهار*

في اللغة الفارسية تعني كلمة نويس الشخص الذي يتقن الكتابة. وهذا اسم يتناسب جيداً مع الهوية المزدوجة التي استخدمها المهندس حسام خوش نويس والذي تبين بعد مقتله انه هو ايضاً الجنرال حسن الشاطري. قليلة هي المعلومات المتوفرة عن هذه الشخصية المزدوجة، ولكن ما يعرف عنه انه كان من قدامى المحاربين في الحرب الإيرانية – العراقية التي دامت ثمانية اعوام، حيث قاتل في صفوف الباسدران الحرس الثوري او جيش النخبة. وسرعان ما لفت نظر المسؤولين عنه، فانضم الى فرقة القدس وهي الفرقة الخاصة المكلفة بالعمليات الخارجية. في سنة 2001 وبعد سقوط حكومة طالبان ذهب الى أفغانستان. ومن ثم انتقل الى لبنان في اعقاب حرب تموز سنة 2006 بين إسرائيل و"حزب الله"، وكانت مهمته العلنية اعادة اعمار ما هدمته الحرب.

في مقابلة اجرتها معه صحيفة لوس انجلوس تايمس سنة 2007، بوصفه الموفد الخاص لإيران من اجل اعادة اعمار لبنان قال نويس: "بعكس الدول الأخرى لم تضع الجمهورية الإسلامية ميزانية محددة لاعادة اعمار لبنان، وهي مستعدة لانفاق كل ما يتطلبه الامر". وذكر نويس للصحيفة ان المساعدة الإيرانية الى لبنان بلغت 155 مليون دولار. يقول الصحافي اللبناني الذي اجرى معه المقابلة ان الحديث جرى باللغة العربية في مكتبه في حارة حريك، وان خلفه كانت هناك صورة كبيرة للضاحية الجنوبية.

لكن الازدواجية في هوية نويس وفي مهماته وحقيقة دوره برزت بصورة خاصة من خلال النعي الذي أصدره كل من "حزب الله" والسفارة الإيرانية في لبنان والذي اعلنا فيه مقتل "المهندس حسامٍ خوشٍ نويس" على ايدي الارهابيين. بينما نشرت وكالة فارس الإيرانية بياناً صادراً عن الحرس الثوري جاء فيه بأن الجنرال حسن الشاطري وقع ضحية كمين نصبه له "مرتزقة يعملون لصالح الكيان الإسرائيلي". ويبدو أن نويس قد جذب انتباه واشنطن منذ سنة 2010 فقد وضعت الخزانة الأميركية اسمه على لائحة الأشخاص التي فرضت عليهم عقوبات بتهمة تقديم المساعدة المالية والتقنية إلى "حزب الله".

* نقلا عن صحيفة Le Figaro الفرنسية 15 شباط 2013

إغتيال جنرال الإعمار: طريق إيران لم تعد آمنة

علي الأمين*

بين اتهام "اسرائيل" و"المجموعات الارهابية" انقسمت الاتهامات الايرانية الرسمية حول مسؤولية اغتيال رئيس «الهيئة الإيرانية للمساهمة في إعمار لبنان» المهندس حسام خوش نويس اثناء عودته من دمشق باتجاه بيروت. وبحسب وكالة مهر الايرانية فقد "تم تشييع العميد حسام خوش نويس (امس الخميس) في طهران، بحضور القائد العام للحرس الثوري وجمع من القادة العسكريين". والمهندس نويس كشف اغتياله عن هوية أخرى يحملها هي هويّة "العميد حسن شاطري". ما طرح لدى العديد من المراقبين المزيد من التساؤلات حول أسباب اغتياله والجهة التي تقف وراء هذا الاغتيال، الذي أدّى الى سقوط لبنانيين لم يكشف عن هويتهما كانا برفقته، كما تؤكد بعض المصادر القريبة من السفارة الايرانية في بيروت.

أتيح لكاتب هذه السطور اجراء حوارات صحفية مطولة مع الشهيد نويس مرات عدّة خلال انهماكه في ادارة عملية الاعمار التي تولت ايران مباشرة جزءا اساسيا منها في الجنوب والبقاع ومناطق اخرى تضررت خلال حرب تموز 2006. محور الحوارات كانت الاضاءة على مشروع الهيئة التي اوكلت التخطيط والمباشرة بالاعمار. هذه الحوارات، التي نشر الجزء الاكبر من مضمونها في العامين 2007 و2008 في مجلة "شؤون جنوبية"، كشفت لي عن شخصية متخصصة في مضمار ادارة عملية الاعمار، من خلال اطلاعه الدقيق على طبيعة المهمة الاعمارية التي يخطط لها وينفذها، ومن موقع الاعتداد بانتمائه الى تجربة الحرس الثوري التي قامت عبر مؤسسات اعمارية انشأتها في ايران، وقامت بمهمات كبرى على مستوى اعادة اعمار ايران بعد الحرب العراقية الايرانية.

والذين يعرفون دور الحرس الثوري، في ايران، يدركون ان قوة جهاز الحرس الثوري الامنية والعسكرية تكمن ايضا في امتلاكه وادارته مؤسسات استثمارية وتنموية كبرى في بلاده. وليس من المستهجن في هذا السياق ان تكون «الهيئة الإيرانية للمساهمة في إعمار لبنان» هي احدى مؤسسات الحرس الثوري، وأنّ المهندس نويس احد جنرالاته.لكن اكاد اجزم ان نويس

* جريدة صدى البلد 15 شباط 2013

الذي ينتمي الى هذه المؤسسة الثورية الرسمية في ايران كان متفرغا بالكامل خلال السنوات بين 2007 و2011 الى متابعة ملف الاعمار، وسبب ذلك غنى اطلاعه على تفاصيل المشاريع العمرانية، واسماء القرى والبلدات المتضررة والجسور والطرق الفرعية والرئيسة، والمشكلات التي واجهت هذه المشاريع ميدانيا. حتى في الخصوصيات اللبنانية ضمن العلاقة مع المجتمع ومع الشركات المنفذة، فضلا عن الحساسيات السياسية.

باختصار كان ينجز مهمته باتقان واخلاص شهد لهما الكثيرون من اللبنانيين، خصوصا تلك البلدات التي انجزت الهيئة فيها طرق ومنشآت في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية.النجاح الذي حققه نويس على رأس "الهيئة" في تجربته اللبنانية فتحت الباب على استثمارها في اكثر من موقع. وسورية نموذج مرشح في المرحلة المقبلة لان يكون ساحة صراع على تقاسم حصص الاعمار فيه.بالتأكيد لم تتضح بعد معالم النظام المقبل في سورية. لكن الدول القوية تحاول ان تتحضر لكل الاحتمالات، وايران، التي دفعت ثمناً سياسيا وشعبيا باهظا في سورية لدعمها نظام الاسد، تحاول في المقابل ان توسع الثغرة التي حققتها في جدار المعارضة، بمزيد من تثبيت معادلة ان ايران، الشريكة في الازمة، هي شريكة في الحل ايضا. وان ايران التي دعمت نظام الاسد ليست في وارد ان تقف جانبا خلال إعمار سورية.

في أيّار العام 2007، وفي حوار منشور قال لي الراحل المهندس نويس، ردّا على سؤال: "لم نحدد مدة لخطة معينة لوجودنا في لبنان، ولكن طالما يوجد أضرار ويتطلّب ذلك العمل فنحن مستعدون لذلك...". لذا بقيت "الهيئة الايرانية" مقيمة في لبنان وتجاوزت مشاريعها حدود مهمة ترميم اضرار الحرب، الى تنفيذ مشاريع محدودة، تبرر استمرارها. الانتقال الى سورية امر تم تداوله في بعض وسائل الاعلام. وليس غريبا على السياسة الايرانية ان تولي خطط اعمار سورية اهتماما يترافق مع استبسالها في دعم نظام الاسد. والاغتيال الذي اودى بالمهندس نويس يمكن ان يكون رسالة استباقية لايران، ومحاولة لمنعها من النفاذ مجددا الى سورية عبر خطط اعمارية. من دون استبعاد ان يكون الاغتيال رسالة اسرائيلية تظهر من خلالها ان الطريق لن تكون آمنة بعد اليوم بين دمشق وبيروت.

فقد اشارت معلومات الى ان عملية الاغتيال حصلت في الزبداني. هذه الطريق التي يعلم الكثيرون انها خط ايراني باتجاه سورية، وحزب الله ضمنا، وبالعكس ايضا. وهي لم تعد آمنة، في وقت ينقل مقربون من الحزب ان اسرائيل اصبحت موجودة على هذا الخط عبر مجموعات عسكرية سورية. وسواء صحّت هذه المعلومات او لم تصح إلا أنّها تعكس المخاوف لدى الحزب من ان يصبح هذا الخط غير آمن، ما سيفرض شكلا من اشكال الحماية يرجح ان تشهد مواجهات او تكرار للغارة الاسرائيلية الأخيرة في جرنايا.

رئيس الهيئة الايرانية لإعادة إعمار لبنان المهندس حسام خوش نويس في حديث خاص لـ"الأمانة"

هيئة التحرير*

تتصدر الهيئة الايرانية للمساهمة باعادة اعمار لبنان قائمة الجهات المانحة التي وقفت الى جانب لبنان في عدوان تموز آب 2006، الا أن ما يميّز هذه الهيئة أنها عملت في عناوين عديدة، منها ما ارتبط بازالة آثار العدوان واعادة اعمار المنشآت التي دمرت أو تضررت، ولكن الأهم هو المشاريع التي استهدفت رفع مستوى البنية التحتية ولا سيما على مستوى الطرقات الرئيسية والفرعية، كما أنها تميزت بتقديم دعم وافر للبلديات من خلال عدد من المشاريع التي صبت في اطار تنمية المناطق التي كانت عرضة للعدوان الاسرائيلي. ويمكن أن تلاحظ خلال تجوالك بين المناطق خاصة الجنوب والبقاع والضاحية لمسات الهيئة الايرانية، بدءاً من تشييد جسور المشاة الى الحدائق والنوادي الرياضية والمدارس ودور العبادة، وصولاً الى المراكز الصحية ومشاريع الكهرباء وغيرها.

واذا كان الهدف من هذه المشاريع هو "مؤازرة الشعب اللبناني المقاوم والشريف والمساهمة في إعادة إعمار بعض من مخلفات الحرب الغاشمة"، كما يؤكد رئيس الهيئة المهندس حسام خوش نويس، فان خلف كل ذلك تقع رؤية نابعة من أصل الفكر الذي تنتمي اليه الجمهورية الاسلامية الايرانية وتجسيده "العمل بالحديث النبوي الشريف: من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم".

ويشدد المهندس نويس على أن المشاريع التي نفذتها وتنفذها الهيئة لا سيما على مستوى الطرقات تصب في اطار خلق دينامية تنموية من خلال تفعيل التواصل بين المناطق.

"الامانة" وفي اطار متابعتها لدور الدول المانحة التي وقفت الى جانب لبنان شعباً ودولة تستطلع في هذا العدد الدور الكبير للجمهورية الاسلامية الايرانية في مساندة الشعب اللبناني ترجمة لتوجيهات الامام السيد علي الخامنئي (حفظه الله) والقيادة الايرانية، من خلال هذا الحوار مع المهندس حسام خوش نويس.

* مجلة الأمانة/العمل البلدي 6 تشرين الثاني 2010

نبدأ من أصل تأسيس الهيئة الإيرانية، كيف انطلقت وما هي أهدافها؟

– بعد انتهاء حرب تموز 2006، قامت بعثة رفيعة المستوى برئاسة معاون رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحضور بعض وزراء الدولة بالسفر إلى الجمهورية اللبنانية، ولقاء المسؤولين اللبنانيين لتبيان الموقف الإيراني الداعم للشعب اللبناني في وجه العدو الصهيوني. وتم حينها تسمية الممثل المفوض لرئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية في إعادة إعمار لبنان، وبدأت عندها نشاطات الهيئة الإيرانية بشكل عملي. الهدف من الهيئة هو مؤازرة الشعب اللبناني المقاوم والشريف، والمساهمة في إعادة إعمار بعض من مخلفات الحرب الغاشمة، والعمل بالحديث النبوي الشريف "من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم".

اليوم وبعد أكثر من ثلاث سنوات على انطلاق المشروع، في أي مرحلة أصبحتم؟

– بعد مضي هذه المدة، حققنا تقدماً كبيراً في المشاريع بمختلف مجالاتها من بنى تحتية، طرقات، جسور، مدارس... الخ. ونحن الآن في صدد إكمال بعض من هذه المشاريع أيضاً. ومع أن حجم الأضرار والأعمال كان كبيراً جداً، فقد أتمت الهيئة الإيرانية ما يقارب السبعين بالمئة من نسبة مشاريعها، ولا تزال الثلاثين بالمئة المتبقية قيد الإنجاز. يجدر بنا أن نقول هنا، انه وفي حال لم تكمل باقي الدول مشاريعها بشكل كامل، وأوكل إكمالها إلى الهيئة الإيرانية، فبالطبع سوف يزيد ذلك من نسبة الأعمال.

هل الهيئة الإيرانية هي مشروع مستمر أم أنه محدود بأجل معين؟

– في البداية، حدد لهذه الهيئة سقف سنة واحدة، ولكن ونظراً إلى الحجم الكبير للأعمال وتوسيع نطاق المشاريع، تم تمديد المهلة إلى ثلاث سنوات، وحالياً يقدر لها أن تدوم أكثر من ذلك. إذ إن هنالك بعض الأعمال التي تلتزمها الهيئة الإيرانية بالاتفاق مع الدولة اللبنانية، وهي تحتاج لبعض الوقت، كما انه في حال تقرر البدء بمشروع رفع الحرمان في مناطق الجنوب والبقاع، فذلك سوف يؤثر بالتأكيد على المدة الزمنية.

أين تقع التنمية االمحلية في مشاريع الهيئة الإيرانية ؟

– بالطبع كما هو واضح للجميع، فإن أحد أهداف العدو الصهيوني هو ايجاد الحروب وانعدام الأمن في مختلف المناطق اللبنانية، وذلك ليمنع لبنان من التطور والتقدم وأسر رجاله وشبابه بمعترك الحياة اليومية والفقر والمشاكل. والدليل على هذا الموضوع هو الأهداف التي دمرت في الحرب الأخيرة، والتي كان معظمها من البنى التحتية، المدارس، المستشفيات، المساجد والكنائس، البيوت السكينة والجسور وباقي الموارد التي لا صلة لها بتاتاً بالأمور العسكرية. وفي هذا السياق يمكن القول بأن الهيئة الإيرانية قامت بخطوات ثنائية في مجال إعادة الإعمار. إذ إنها إضافة إلى إصلاح الأضرار والخسائر، كانت تقوم ببعض التحسينات في مشاريع متفرقة في المناطق المتضررة. فعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى إصلاح الطرقات، وزيادة عرض الأتوسترادات وأعمال الزفت التي تزيد نسبة الأمان في النقل وتؤدي الى تسهيل التواصل بين المناطق المختلفة، وبالتأكيد فان ذلك له تأثير مهم على المستوى الاقتصادي.

كيف جرى توزيع مشاريع الهيئة على المناطق وبأي نسب ؟

– تم توزيع المشاريع وأعمال الهيئة الإيرانية بناءً على نسبة الأضرار والخسائر الواردة في كل منطقة، وبالطبع بما أن مناطق الجنوب، البقاع والضاحية الجنوبية في بيروت، تكبدت النسبة الكبرى من حملات العدو الصهيوني والأضرار جراء ذلك، فقد كان لها الأولوية على باقي المناطق.

كيف تقوّمون تعاون البلديات ومؤسسات المجتمع المدني مع الهيئة الإيرانية ؟

– بحمد الله، في هذا الخصوص، كان الاتفاق والتعاون بين الهيئة الإيرانية والمؤسسات المدنية جيداً جداً، وكنا غالباً ما نصل وإياهم إلى نقاط مشتركة إن من ناحية المشاريع، أو التحسينات للمناطق، او الخدمات العامة، وطبعاً هذا الأمر لم يتمّ من دون مساعدة الأهالي الطيبين في المناطق. وأغتنم الفرصة هنا لأوجه تقديري وشكري إلى جميع رؤساء البديات، رؤساء اتحادات البلديات والأهالي في مختلف المناطق اللبنانية.

كيف تستفيد البلديات من مشاريع الهيئة الإيرانية ؟

– يجدر بي أن أوضح بأن الموضوع العمراني خاصة بما يتعلق بالخدمات في المدن التي ترتبط بالأمور اليومية والاجتماعية للناس، كان يتم بشكل من اثنين. أي إنه في بعض الحالات، تقدم إلينا الطلبات من قبل الناس او البلديات، فنضعها في برامجنا وبعد دراستها و إقرارها نقوم بتنفيذها. أما في حالات أخرى، تقوم الهيئة الإيرانية بدراسة فنية للإمكانيات الموجودة أساساً في المناطق، وتقدم بعدها مقترحاتها للبلديات، وعند حصول التوافق عليها، تتم المباشرة بتنفيذها.

من الواضح أن الهيئة الإيرانية واجهت العديد من الصعوبات من الدولة اللبنانية في بداية الأعمال. هل ما زالت هذه العوائق تعترضكم أم لا؟ وكيف تقوّمون العلاقة بينكم وبين الجهات الرسمية كوزارة الأشغال، ومجلس الإنماء والإعمار ؟

– الحمد لله إنه وبعد أن أصبح من الجلي تماماً بأن الهيئة الإيرانية تعمل بكل جهد وقوة ومن دون أي منة أو مقصد، فقط خدمةً للشعب اللبناني الشريف، تطورت العلاقة وتحسن التعاون والتنسيق مع الجهات الرسمية. خاصة أن بعض المسؤولين اللبنانيين من وزراة الأشغال العامة ومجلس الإنماء و الإعمار وباقي الجهات قاموا بزيارة مشاريع الهيئة الإيرانية وشاهدوا الجودة الفنية والهندسية العالية والتجهيزات الحديثة التي تقدمها الجمهورية الإسلامية عن قرب، ما أدى إلى ازالة الكثير من المشاكل والهواجس بيننا. ومع ذلك، نحن نعتقد بأنه ما زال هنالك مناخ وظروف جيدة، تسمح لتقديم خدمات أكثر للشعب اللبناني، ويجب على المسؤولين اللبنانيين أن يستفيدوا منها.

ما هي رسالتكم إلى الشعب اللبناني من الجمهورية الإسلامية ؟

– أنا شخصياً كممثل لرئيس الجمهورية الإسلامية ومسؤول ملف الإعمار، أوجه رسالتين، واحدة إلى الشعب اللبناني والثانية الى المسؤولين اللبنانيين. فأقول للشعب اللبناني الشريف بأن يصبر ويصمد في وجه الصعوبات ويسعى بكل جهده لأن يحفظ الوحدة والوفاق الوطني، وأن يساعد في حفظ ما تم إنجازه حتى الآن بدماء الشهداء وسواعد الأبطال. وان شاء الله سوف يكونون نموذجاً مثالياً لباقي دول المنطقة.

أما رسالتي إلى المسؤولين اللبنانيين فهي أن يحفظوا و يقدروا شعبهم، لأن الشعب اللبناني أثبت بأنه وفيّ دائماً لوطنه ودينه، ولذلك لا بد من العمل بجد لتوفير الراحة والأمان لهذا الشعب. وآمل أن يستطيع اللبنانيون بوحدتهم بين بعضهم ومع دولتهم، بأن يُذلوا جميع الأعداء الذين يتربصون بتراب بلدهم.

حسام خوش نويس سلاماً

الشيخ مهدي مصطفى*

كان عابراً للهنّات في بلد تقاس فيه الرجال بالهويات (أرشيف)

عند الصباح تحيّيك شمس بلادي، حيث تراك على ثراها تجول. تغازلها بترانيم الفجر، مع زقزقة طيور العشق في بقاع ضمّ بين حناياه صور الرسل، تمتمات سرها للراحلين في هودج الشهادة، وتلوّح لها عند المغيب مع يدي تلال عاملة السمراء، لتبتسم دون كشف لغزها، ليبقى في قلبها لقاء الحنين. تطوي الأيام على منوال العطاء، تزهر في كل بقعة صرحاً، تلمس الأحجار لتسكن ألمها الدفين، عمرها عمر السنين، إلى حيث لم تصل الأم في رعاية أبنائها، كانت أنامل حسام تزرع شتول البقاء في عيونك بعد المشرقين. تغزل من خيوط العزم حبائل الإصرار، لتلتئم بين يديك زهرات الياسمين. من هلال المسجد إلى صليب الكنيسة، من حروف العلم إلى أعشاش الحنين، من دروب القهر إلى سبل الوصل، تنطق الأرض باسمك يا حسام. هبة الله، في أرقى العطاء، من تخوم الوطن إلى قلبه المعذب، ترتسم صورتك بيد تبلسم جراح الزمان، وتكفكف دموع الأيام بمناديل الطهر، رمقتك عيون الوفاء في وهاد وطني. ورفعت رايتك هضاب تعتز بها البلدان، الجموع تعرفك، وهل من أحد لا يعرف حسام. الوطن ورشة سقيتها بيديك، كما ارتشفت مياه العاصي بهما، نما فيك الجهاد لتغدو من القلائل، مع الأوائل امتشقت سيف البناء، من خُلُق إلى خُلُق، من ريح العازف على أوتار الشهادة اقتبست الحروف، من مدرسة العارف بعمق الحياة تعلمت الوفاء. ومع رحيل الثائر في نهاية الثمانينيات، طاف وجدك محلقاً بين فضاءات الأيام ليرتوي من معين الحقيقة الأبدية. علّمك الإمام الخميني (قده) أنّ الهدوء في العطاء فناء قبل الممات، فكنت دائم الترحال حتى قدمت الحياة. هي بيروت موطن عشقك، فيها تنشقت عبير الأحرار، هو الجنوب قبلة وجهك، فغدوت جنوبي الهوى، وفي البقاع سهل عليك أن تتلمس موطئ الأبرار. حشرجات الروح قادتك إلينا حاملاً نموذجاً للحياة، بين يديك وضعت خريطة لبنان وبنظرة الجاد رسمت أناملك خطوطاً واتجاهات. هنا نشأ صرح وهناك دور العبادة، وعلى مساحة أخرى دروب الوصل في

* جريدة الأخبار 30 آذار 2013

الوطن، فغدا لبنان متشابك الأوصال بمسحتك الإيمانية الطاهرة، بعدما قطّعها حقد صهيوني قديم لينال من عزمها وعنفوانها، فأبت إلا أن تكون في الوجود بسحرك الميمون، فأكثر من سبعة عشر ألفاً وثلاثمئة وتسعة وعشرين مشروعاً تنموياً وإعمارياً تشهد لعينيك الناظرتين في البعيد، هاجراً صنوف التطييف والتصنيف، عابراً للهنّات في بلد تقاس فيه الرجال بالهويات، هل مرّ في تاريخ هذا الوطن الجريح مبلسماً يشابهك، هل شهد زمن العطاء لحسام في هامتك. أجول في شوارع البلد وأقرأ أسماءها، اللنبي، وديغول، وكليمنصو، ومدام كوري، وباريس، أسماء أعرف أن لها في صفحات التاريخ ما لها، أخذت من حيّز الجغرافيا مكاناً لتبقى في ذاكرة الأجيال، هل بنت لوطني ما بنيتَ، وهل سقت لأرضي ما سقيتَ، وهل بلسمت جراحات ما بلسمتَ، وهل وصلت فيه ما وصلتَ، لكن لا تثريب عليهم. إن الأيام لا تغفر لجاحد جحد حقاً، ولا تمحو الليالي منارات التضحية والعطاء، ولن تختفي بين غياهب الظلم والإجحاف كلمات نطقت بها شفتيكَ «أننا قد عملنا لكل الناس في لبنان من دون النظر إلى الهوية والطائفة والمذهب». سواء قدروا لك هذا الفداء أو لم يقدروا، وسواء شهدوا لك أو لم يشهدوا، سواء خلدوا اسمك في هذا الوطن أو لم يخلدوا، وسواء شعروا أو لم يشعروا، وسواء أبّنوك أو لم يؤبّنوا، وسواء اعترفوا أو لم يعترفوا. فأنت حسام البناء والإعمار، وأنت تجربة فريدة في تاريخ الوطن المقاوم، وأنت حروف أضاءت سماء طالما أسهمت ظلمات الجهل في الإطباق عليه. لذا، سيبقى وهج عطائك صادحاً في فضاء السماء وفي تخوم الأرض وعلى شرفات المنازل وفي دروب الحب والتضحية والفداء. سيظل اسمك خالداً في قلوب وعقول الأوفياء الذين عرفتهم والذين سيرعف الزمان بهم، سيظل اسمك مشهوراً حساماً صارخاً في وجه الظلم والطغيان والعدوان والحرمان، سيظل اسمك تتناقله الأجيال أنك رجل الإعمار في وطن المقاومة والعنفوان والكرامة، وسنظل نقول حسام خوش نويس سلاماً.

إيران تودع الشهيد المهندس "حسام خوش نويس"

حسن حيدر*

ودّعت الجمهورية الإسلامية رجل المهمات الصعبة، الشهيد العميد المهندس حسن شاطري (حسام خوش نويس) في مسقط رأسه، في مدينة سمنان مركز محافظة "سمنان" شمال إيران، وسط مشاعر الحزن البادية على وجوه العائلة المفجوعة برحيل ابنها الذي، اغتالته أيدي الغدر، بعد أن أفنى حياته في خدمة المقاومة، وتنفيذ آلاف المشاريع الانمائية والعمرانية في بلاده، والخارج لا سيما حملة إعادة إعمار لبنان إثر العدوان الإسرائيلي في العام 2006.

تشييع الشهيد المهندس حسن شاطري "حسام خوش نويس"

وللمفارقة، فإن المهندس الذي شارك في إعمار مدن وبلدات وأحياء ومنازل، لا يملك بيتاً في مدينته، التي شهدت إغلاقاً تاماً لاستقبال ابنها العائد، وهو مخضّب بدماء الشهداء دفاعاً عن مبادئ أمته الإسلامية.

هذا، وانطلقت مراسم التشييع، صباح الجمعة، لتجول العديد من شوارع "سمنان"، وسط مشاركة جماهير غلبت عليها دموع الفراق على من كان يعرفه أغلب أبناء مدينته، حتى وإن كانت لا تربطهم علاقة قريبة بالمهندس شاطري، فقد كان ما قيل عن الشهيد منذ اعلان استشهاده كفيلاً بأن يحظى الشهيد باحترام ومحبة من لم يعرفوه".

المشيعون يمتفون بالسير على درب المقاومة

والد الشهيد، تطرّق إلى سيرة ولده، في حديث خاص لموقع "العهد" الإخباري، فقال إن "المهندس حسن شاطري أحب المقاومة وأحب لبنان"، وتوجه الوالد "بالتحية إلى الشعب اللبناني والمقاومة وحزب الله"، وخاطبهم بالقول: "أنا والد الشهيد أقدم ولدي هدية لكم لعزتكم وكرامتكم، ولدي اقدمه من اجل المقاومة ولبنان وحزب الله".

وأكد نجل الشهيد، لـ"العهد" أن والده "كان عاشقاً للبنان وشعبه، وكان دائماً يخبرنا أن في لبنان شي غريب يسحره"، وأضاف ان الشهيد "كان يقول لنا أن في لبنان دفئاً وحباً وحناناً بين أهله، في شماله وجنوبه، وفي بقاعه

* موقع العهد الإخباري 15 شباط 2013

وجبله"، ولفت نجل الشهيد، وقد أغرورقت عيناه بالدموع، أن والده "كان فرحاً جداً عندما تزوجت من لبنانية"، وقال لي: "الآن أصبح لدينا علاقة وثيقة مع هذه الأرض، لأنه يمكننا أن نشعر بأن لبنان أصبح داخل عائلتنا، وأشار إلى ان الوالد "كان يعشق هواء فلسطين المحتلة الذي تنسمه خلال زياراته إلى الجنوب اللبناني".

حشود ضخمة تشارك في تشييع الشهيد "حسام خوش نفيس"

مراسم التشييع التي شارك فيها قيادات عسكرية وسياسية، وحضرها وفد كبير من حزب الله، استكملت بعد صلاة الجمعة، ليواري المهندس الراحل الثرى في روضة الشهداء في المدينة، بعدما أمَّ صلاة الميت السيد عيسى الطباطبائي، الذي حضر خصيصاً من لبنان ممثلاً السفارة الايرانية.

وفي بيان له، أشاد الرئيس الايراني محمود أحمدي نجاد بمناقبية الراحل، مشدداً على أن "يد الغدر الصهيونية وعملائها التي استهدفت الشهيد المهندس "حسام خوش نويس" هي دليل واضح على نجاح جهوده، وقوة، وقدرة المقاومة بوجه الاعداء".

وفي السياق، يشار الى أن اصدقاء الشهيد نقلوا تعازي وزير الاشغال اللبناني غازي العريضي إلى عائلة الفقيد.

المشاركون يطلقون صرخات الولاء لنهج الشهيد "حسام خوش نويس"

وكانت الجمهورية الإسلامية شيعت رئيس الهيئة الايرانية لإعادة اعمار لبنان تشييعا رمزياً، بمأتم مهيب في طهران، الخميس، قبل نقله إلى مدينة سمنان ليوارى الثرى فيها، وشارك في التشييع ممثل الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله)، وقائد الحرس الثوري الاسلامي في إيران العميد محمد علي جعفري وكبار القادة السياسيين والعسكريين الإيرانيين.

السيد عيسى الطباطبائي يؤم الصلاة على الشهيد

وفي لبنان، واصل السفير الإيراني في لبنان غضنفر ركن أبادي تقبل التعازي، بعد ظهر الجمعة، لليوم الثاني على التوالي في مقر السفارة في بئر حسن (غرب بيروت)، بالمهندس "حسام خوش نويس"، وزار السفارة الإيرانية معزياً بعد الظهر، وفود عدة من أبرزها، ممثل رئيس الجمهورية ميشال سليمان، "إيلي عساف"، وممثل مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني، الشيخ "محمود مسلماني"، والمفتي الجعفري الممتاز الشيخ

أحمد قبلان، والسفير السوري علي عبد الكريم علي، إضافة إلى عدد كبير من الشخصيات السياسية والاجتماعية والحزبية.

وأكد السفير الإيراني، في تصريح له الجمعة، أن "المهندس الشهيد كان له دور كبير في إعادة إعمار لبنان بعد العدوان الصهيوني في تموز 2006"، واعتبر أن سبب اغتيال العميد "حسام خوش نويس" يعود إلى دوره في هذا الصدد، وشدد على أن "هذا الطريق مستمر، فالشهيد كان يخدم المظلومين، ويدعم المقاومة، واغتياله خير دليل على أن العدو الإسرائيلي لا يريد نجاح هذا الخط"، ووعد آبادي بـ "الاستمرار في هذا النهج"، قائلا إن "لا شيء سيعرقل مسيرتنا في هذا الطريق".

حسام خوش نويس، دماء لأجل لبنان

علي عواضة*

المهندس حسام خوش نويس لطالما ارتبط اسمه بانجازات ومشاريع التنمية والإعمار الممولة من الجمهورية الاسلامية على الأراضي اللبنانية، كما في غيرها من الدول، إسم ليس بغريب عن الشعب اللبناني، وهو الذي كان له دور أساسي في الاشراف على اعادة اعمار مما دمرته آلة الحرب الاسرائيلية في عدوان حرب تموز 2006 من بنى تحتية ومدارس ودور عبادة ومستشفيات.

ولأن الحرب طالت كل لبنان، كانت انجازات الشهيد بحجمٍ الوطن حيث تمكن من الاشراف على مشاريع تعدت الـ 5480 مشروعاً، امتداداً من بيروت والبقاع وصولاً الى الجنوب حيث حرص على تقديمها بأفضل نوعية وبجودة عالية.

نويس مواليد عام 1960 كل ما يعرف عنه انه كان من قدامى المحاربين في الحرب الإيرانية – العراقية التي دامت ثمانية اعوام، حيث قاتل في صفوف «الباسدران»، الحرس الثوري. وسرعان ما لفت نظر المسؤولين عنه، فتم تكليفه بمهام خاصة ومسؤوليات عديدة. وفي سنة 2001 وبعد سقوط حكومة طالبان ذهب الى أفغانستان للمساعدة على إعادة الإعمار. ومن ثم انتقل لاحقاً الى لبنان في اعقاب حرب تموز، وكانت مهمته الرئيسية اعادة اعمار ما هدمته الحرب.

في مقابلة اجرتها معه صحيفة لوس انجلوس تايمس سنة 2007، بوصفه الموفد الخاص لإيران من اجل اعادة اعمار لبنان قال نويس: "بعكس الدول الأخرى لم تضع الجمهورية الإسلامية ميزانية محددة لاعادة اعمار لبنان، وهي مستعدة لانفاق كل ما يتطلبه الامر".

مذ اتى هذا المهندس الى هنا، لم يهدأ ولم ينم. يقضي ما يقارب 18 ساعة من العمل المتواصل يومياً. يستيقظ مع صلاة الفجر بهمة وحيوية لا تدلان على انه مضى على نومه ثلاث ساعات او اقل بعد نهار شاق وطويل. يصلي، يتناول فطوره الصباحي المعتاد: الجبن والجوز مع قليل من الشاي والتمر. ويبدأ بالعمل، دون تلكؤ، دون احاديث جانبية.

كان الشهيد يتابع ميدانياً كل هذه المشاريع، ويضع لمسته الخاصة فيها،

* موقع Slabnews الإلكتروني 11 شباط 2014

"فهو مدرسة في فن العمارة"؛ كما يقول رفيقه المهندس حسن حجازي، يذهب الى كل حديقة في الضاحية الجنوبية وفي الجنوب، وغيرها من الحدائق التي قامت الهيئة الايرانية بتشييدها يتفقد الورود والاشجار، يلامسها، هل قاموا بسقايتها؟ هل ذبلت بعض اوراقها؟ ويرعاها رعاية الاب لاطفاله، ليس فقط لأنه يحب اتقان عمله لا بل لأنه احب هذا البلد، واحب شعبه، وكان دائماً يردد:" نحن هنا لخدمة شعب المقاومة".

لم تهمه المظاهر يوماً، ولا المناصب، ولا الالقاب، لم يتخذ غرفة خاصة له، بل جعل مكتبه في الرواق.

كان على علاقة خاصة بالشهداء، فلا يمر اسبوع الا ويطلب زيارة عائلة شهيد، وفي كل مرة يزور فيها والد شهيد، ينحني امامه ويقبل يديه، ويطلب صورة لابنه حتى يضمها الى اخواتها من صور الشهداء في ملفه الخاص. اما مع ابناء الشهداء فكان كلما التقى بابن شهيد يقول له:"نحن نفتخر بكم".

ما قمنا به لا يساوي قطرة دم شهيد بهذه العبارة كان الشهيد يرد دائماً عندما يسأل عن تكلفة المشاريع التي قامت بها الهيئة الإيرانية في لبنان. خاصة بعد ان اعتبر انه هناك هدر كبير من قبل الجانب اللبناني في صرف التعويض عندما قال في مقابلة مع صحيفة الاخبار إذا كشفنا الرقم المدفوع على مشاريعنا وتولت شركة تدقيق مستقلة إجراء عملية حسابية فسيفتح نقاش لا ينتهي عن الهدر الكبير الذي حصل». عبارة تسببت يومها في احتجاج رسمي من قبل الرئيس فؤاد السنيورة.

عندما شارفت أعمال الهيئة الايرانية على الانتهاء، كان الشهيد حزيناً، وسُئل في احدى الجلسات، عن سبب حزنه، فأجاب "أحببت لبنان وأهل لبنان، فكيف أفارقهم؟". مما قاله الشهيد عن شعب لبنان: "إن جل ما أطلبه من الشعب اللبناني المقاوم والصبور هو المسامحة عن أي تقصير، سواءً صدر من ادارة الهيئة الايرانية أو من جانب الاخوة العاملين فيها، فهدفنا ورسالتنا في الهيئة الايرانية كانت اعادة الاعمار وبالتالي استكمال النصر كما يعبر سماحة سيد المقاومة الا أن النصر الذي حققه الشعب اللبناني يبقى اعظم بكثير من أي انجاز حققناه على صعيد الاعمار.. القيادة الايرانية كما الشعب الايراني العظيم لم ينسوا لبنان في أي وقت من الأوقات وسيبقون الى جانبكم أبداً..".